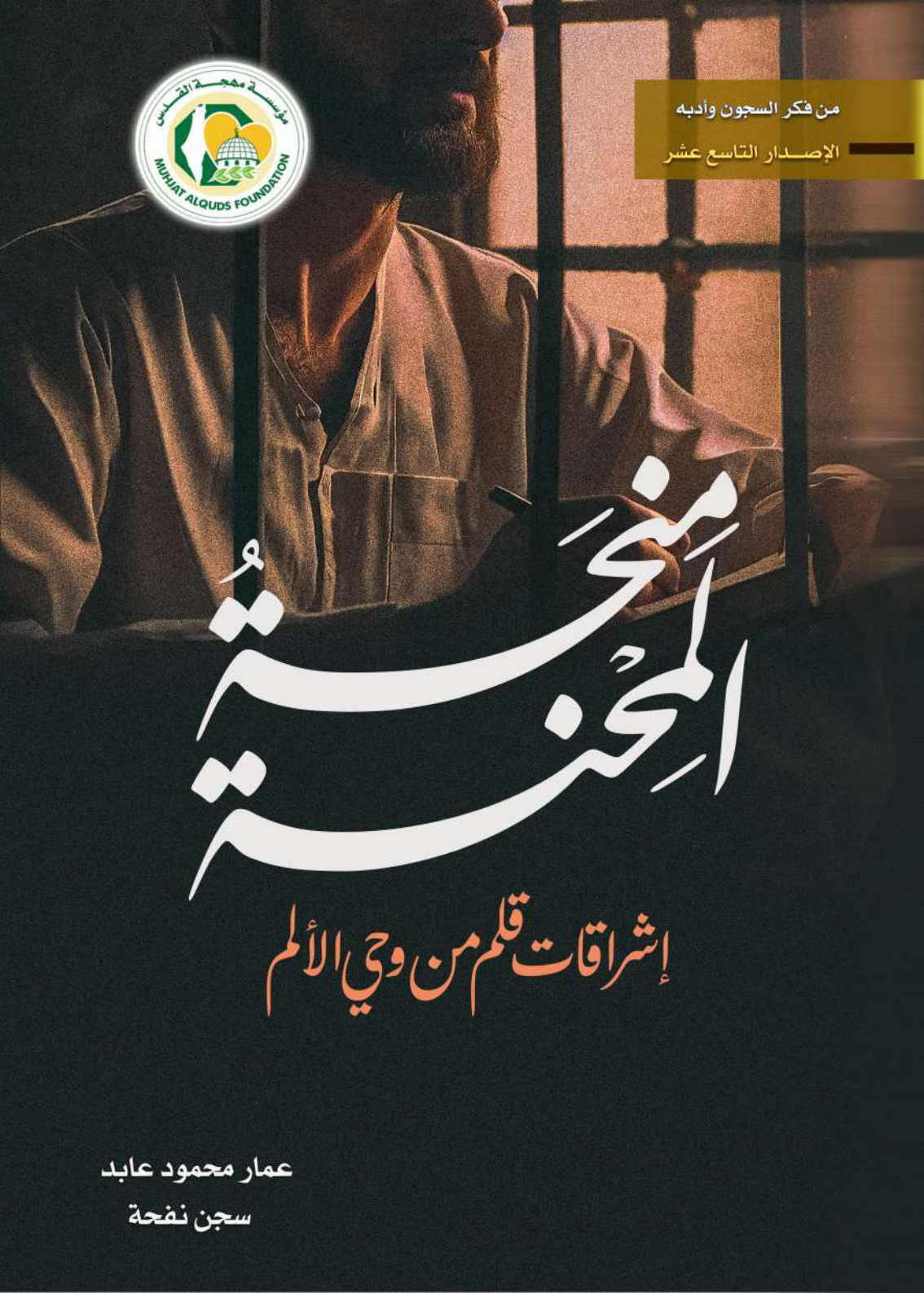

مؤسسة مهجة القدس
MUHJAT ALQUDS FOUNDATION

من فكر السجون وأدبه
الإصــدار التاسع عشر

منحة المحنة

إشراقات قلم من وحي الألم

عمار محمود عابد
سجن نفحة

منحة المحنة

إشراقات قلم من وحي الألم

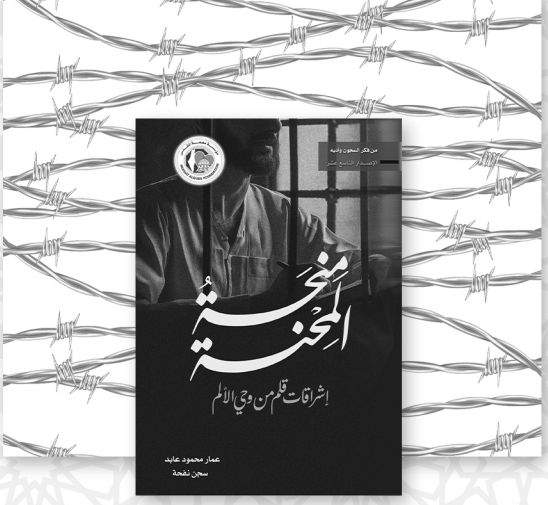

الكتاب: سلسلة فكر وأدب السجون (19)

منحة المحنة

إشراقات قلم من وحي الألم

المؤلف: الأسير المجاهد/ عمار محمود عابد

الناشر: مؤسسة مهجة القدس

غزة - فلسطين

الطبعة: الأولى

سنة النشر: رمضان 1444هـ
مارس - آذار 2023م

رقم الإيداع: 1980 / 2023

الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مؤسسة مهجة القدس

حقوق الطبع والنشر محفوظة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾

صدق الله العظيم

[الأنعام: 162-163]

إهداء

- إلى النبي الأمي، خاتم النبيين، وإمام المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.
- إلى شهداء فلسطين عماد أبو عيشة، سامي عبد السلام، ياسر المصدر، سائد قنديل.
- كل الناس بِأُم، لكني بأمهات، فإليكن جميعًا كل الحب والتقدير.
- إلى أبي الذي أدين له بكل نفس أتنفسه، وكل قطرة دم تجري في عروقي.
- إلى كل أسير صابر محتسب، ثابت على المبادئ والقيم.
- إلى أولى النهى والألباب.
- أبنائي الأحبة ومن هو في مقامهم.
- إليكم جميعًا أُهدي هذا العمل، إخلاصًا لذكرى العذابات والأشواق التي عشناها معًا.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على قلب نبيه القرآن، وعلّمه البيان، ومنحه فصاحة اللسان، فقد ساد من قبلَه ومن بعده من فرسان البلاغة والخطابة والبيان، فكل نطقه والحمد لله مصون عن الخطأ والزلل والنسيان.

صلى الله وسلم وبارك عليك سيدي يا رسول الله، وعلى آلك وصحبك، ومن سار على دربك من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،

ابني، بُنَيَ: ليس العلم ما حفظت، بل العلم ما انتفعت به، ونقلته لغيرك، فلقد وقفت وانتظرت لسنوات طويلة، كنت أسأل فيها نفسي: من هذا الذي سأنقل إليه ما حفظت، وما عُلّمت، وما كتبت من هذه الكلمات داخل أسوار السجن، في قلب المعاناة والألم، ومع صرخات المظلومين، وآهات المعذبين، وأنين المكلومين؟!

من هذا الذي سأكتب إليه؟ والبشرية اليوم تقف على حافة الهاوية، لا بسبب التهديد بالفناء المعلق على رأسها، فهذا عرض للمرض، وليس هو المرض _كما يقول سيد قطب_ ولكن بسبب إفلاسها في عالم القيم، التي يمكن أن تنمى الحياة الإنسانية في ضلالها، نموًا سليمًا وترتقي رقيًا صحيحًا.

وكما قضى العنوان أنها «منحة المحنة» فهي منحٌ من الله، لم أستخدم فيها الأسلوب العلمي في البحث، تنقسم الدراسة إلى أبواب وفصول، وكتابة مصدر وكل اقتباس، وأسماء المراجع وغيرها، بل هذه المنح هي خواطر، وشذرات، ومقتطفات، ومتفرقات من وحي القلم، ومن تجارب وخبرات السابقين، ومن وصايا الحاضرين، فالوصية تهذب الطبع، وتهبّ بالإنسان العاقل من اتجاه إلى اتجاه، ومن منهج إلى منهج، ومن سبيل إلى سبيل، فهي ضرب من ضروب التذكير، ونوع من أنواع النصيح. فمن هذا الذي سأوصيه؟!

أوراق متناثرة تناثر الأيام والسنين، لمن أجمعها؟ لمن أكتبها؟ من سيقدرها؟ من سيجد فيها قيمة لا ثمنًا؟ هذه السطور والكلمات نتاج سنوات مريرة، وأيام مديدة، وساعات عصيبة، مليئة بالقهر والغضب والألم؛ لأنه كلما عرفت أكثر، وصلتك الحقيقة أوضح، وإذا وصلت إليك الحقيقة أوضح، سترى بأم عينك حينها، كيف يجتمع الناس على الباطل؛ وستدرك أن اجتماع الناس على شيء، لا يعني أنهم على صواب حتمًا، بل إجماع اليوم باطل في الأغلب، وهذا يجعلك تتألم أكثر فأكثر؛ لأنك لن تستطيع إقناع أحد برأيك، وبعد فوات الأوان سيقتنع الجميع برأيك.

في ظل غياب القيم التي نتجت عن غياب الوعي الذي نتج عن غياب التربية؛ بسبب إهمال الأبناء، أصبح البديهي المعلوم من الدين بالضرورة منقرضًا ونادرًا، نسينا آداب المعاملة، وآداب الحديث، وآداب الطعام والشراب، والأخلاق، الكرم، الحب، العادات، التقاليد، المبادئ، والقائمة طويلة بطول بحر هذه المعاني وعمقه.

في ظل هذه الأزمة، لن يسمعك إلا محب مقدر لعملك، أو عاقل مميز مُغيّر لعاداته السيئة بعادات حميدة، أو طفل صغير ناشئ يقتدي بك؛ لأن التعلم في الصغر كالنقش في الحجر كما يقال.

وأخيرًا وبعد طول انتظار علمتُ لمن سأكتب: إنهم أبنائي المفترضون الذين لم أنجبهم بعد، وإن تزوجت وأنجبت فلا أظن أنني سأعيش لأراهم أطفالًا، وإن رأيتهم فلا أظنني سأراهم شبابًا! فأعمار المسلمين ما بين الستين والسبعين وأنت القارئ الفطين.

ابني، بُنيَ، أتقدم باسمي واسمك بالشكر لأخي وصديقي يسري المصري الذي تابع وراجع كل كلمة، كما أشكر الإخوة الذين سيساعدونه في إنجاز هذا العمل المتواضع.

ابني، بُنيَ، سأبقى أكتب إليك، رغم السجن وظلمه، رغم القيد، رغم الظلم، رغم قلة الإمكانيات وندرة المصادر والمراجع، ولن أكتفي بهذا الجزء، بل سيتبعه جزء آخر، فما زالت هناك أوراق متناثرة منذ سنوات طويلة، سأبذل جهدي لأجمعها، خذ العبرة منها، لا تهتم بأي سنة كتبت، أو في أي أسر حدثت، ما زال يجول في خاطري الكثير وفي صراع مستمر مع نفسي، ماذا أكتب؟ وماذا أترك؟ لكن الكمال لله، وكما قال القاضي البياني: إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غُيرَ هذا لكان أحسن، ولو زُيدَ هذا لكان يستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

لكـن أن تكتـب شـيئًا خـير مـن أن لا تكتـب، ولأن تـأتي متأخـرًا خـير من أن لا تـأتي، ومـا كتـب مـن القلـب فحتـمًا سـيصل إلى القلـب، وحتـمًا مـا كان مـن قلـب المعانـاة أصـدق وأبلغ.

اللهَ أسـألُ أن يلهمنـي الصـواب، وأن يجـد أبنائـي في هـذا قيمـة، وأن ينفع بـه القريـب ويقـرب بـه البعيد.

لأبنائـي ومـن هـم في مقامهـم مـن طليعـة الأمـة المرجـوة المرتقبـة أقـدم «منحـة المحنـة».

أخوكم الأسير/ عمار محمود عابد

سجن نفحة

النية والإخلاص

عادة ما تبدأ الكتب الدينية _خاصة كتب الفقه_ بموضوع النية، وعند الحديث عن النية فأول ما نكتب نبدأ بالحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر حين قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، ولِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى الله ورَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى الله ورَسولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إلَيْهِ» وهو حديث متواتر معنى لا لفظًا.

فلماذا البداية دائمًا مع النية؟ لأن النية هي الأصل، وهي الدين كله، وقال أهل العلم هي ثلث الدين، كما قالوا عن هذا الحديث إنه ثلث الإسلام، والسبب في ذلك أن الإنسان له نوايا محلها القلب، والكلام ينطق به، وله أعمال يقوم بها، فحينما يعبد هذا القلب ربه بإخلاص له _وهنا ربط النية مع الإخلاص_ يكون حقق ثلث الإسلام فهذا الحديث يساوي ثلث الإسلام.

وقال الشافعي: هذا الحديث يدخل في سبعين بابًا من أبواب العلم.

فالنية عبادة مستقلة، بينما أي عبادة أخرى تحتاج إلى نية، فالذي يميز العادة عن العبادة هي النية لذلك لا تحتاج إلى شيء.

النيـة متعلقـة بالقلـب، وعبـادة القلـب الإخـلاص، لذلـك النيـة والإخـلاص أمـران لا ينفـكان عـن بعضهـما أبـدًا، فقـد **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾. [سـورة البينـة: 5]

يقـول الشـيخ العلامـة محمـد راتـب النابلـسي: فالجـوارح تنصـاع إلى أمـر الله، والقلـب يخلـص لـه، وقـد قـال العلـماء في **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشـورى: 13]، قالـوا وصىَ الله نوحًـا بالإخـلاص في العبـادة، فالنيـة متعلقـة بالإخـلاص، والإخـلاص متعلـق بالتوحيـد وكلـما ازداد توحيـدك ازداد إخلاصـك وارتقـت نوايـاك.

فـما المقصـود بالنيـة إذًا؟ التعريـف العـام للنيـة: هـي انبعـاث القلـب نحـو مـا يـراد، موافقًـا لغـرض، مـن جلـب نفـع أو دفـع ضرر، حـالًا أو مـالًا.

أمـا التعريـف الشرعـي: هـي الإرادة المتوجهـة نحـو الفعـل لابتغـاء مرضـاة الله، وامتثـال حكمـه.

لذلـك لا صحـة لعمـل دون نيـة لقولـه صـلى الله عليـه وسـلم: «لا عمـل إلا بنيـة»، وهـذا يؤكـد نفـي صحـة العمـل أو نفـي كمالـه، لا نفـي العمـل نفسـه.

والنيـة عـلى ضربـين: ضرب يحمـل معنـى النيـة الحسـنة الطيبـة، والآخـر يحمـل معنـى النيـة الخبيثـة السـيئة، كـما أن النيـة تتغـير وتختلـف لقولـه تعـالى:

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ [الإسراء: 80]، فمن الممكن أن يدخل الإنسان في عمل بنية طيبة، وفي وسط الطريق تأتي مغانم كثيرة، حب النفس، الشهرة، والكبر، فتتشتت الأفكار وينسى الإنسان نيته الطيبة.

فكما يقول الشيخ النابلسي: إن النية الطيبة يجب أن تصاحب العمل طوال العمل، ويجب أن تكون شرطًا له؛ أي أن تنطلق منه وأن تكون سابقه للعمل، فلا يعقل _مثلًا_ أن تُعطى دينًا وعندما تيأس عن سداده، تقول سأحسبه عن الزكاة، فيجب أن تبدأ بالنية قبل أن تُعطى المال، لذلك قال العلماء: يجب أن لا تختلف النية عن أول العمل لتكون شرطًا، وأن تصاحبه لتكون من علامات صحته.

قال صلى الله عليه وسلم: «نِيَّةُ المُؤمنِ خَيرٌ مِن عَمَلِهِ، ونِيَّةُ الكافِرِ شَرٌّ مِن عَمَلِهِ»، المؤمن إذا أطعم يطعم مسكينًا يتمنى أن يطعم ألفًا، وإذا أنفق دينارًا يتمنى أن ينفق مليونًا، دائمًا المؤمن خيرٌ في عمله، ويتمنى أن يرزقه الله لينفق ويساعد ويجاهد، ويعالج، ويبني، ويزرع... إلخ.

وأما نية الكافر فشر من عمله، فإذا قتل إنسانًا يتمنى أن يقتل ألفًا، وإذا زنى بامرأة يتمنى أن يزني بمائة، وبشكل عام إذا ارتكب معصية فيتمنى أن يرتكب معاصي، فنيته شر من عمله، والإمام علي رضي الله عنه قال: «فاعل الخير خير من الخير، وفاعل الشر شر من الشر».

إن أكبر خير في الأرض ينتهي يوم القيامة، فافعل ما شئت من الخير فهو ينتهي يوم القيامة، إذًا الخير ينتهي، وكذلك كل من فعل الشر فإن الشر ينتهي، فأصعب المصائب تنتهي بالموت فالموت يحل مشكلات البشر كلهم، بل إن فاعل الخير يُفنى فما الذي يبقى؟ تبقى نية فاعل الخير يسعد بها إلى أبد الآبدين، وتبقى نية فاعل الشر، يشقى بها إلى أبد الآبدين، والخلق يبعثون على نياتهم، عن أبي موسى قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضبًا، ويقاتل حمية، فرفع إليه رأسه، قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائمًا»، فقال: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله». وقال صلى الله عليه وسلم: «رُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ اللهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ». فما أعظم الجهاد، الجهاد ذروة سنام الإسلام، وأعلى شيء في الإسلام الجهاد، فالمجاهد لا يضع ماله، يضع حياته، يضع روحه، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَن غَزَا في سبيلِ اللهِ ولم يَنْوِ إلا عِقالًا؛ فله ما نَوَى».

أي بُنيَ: إذا كنت مجاهدًا، فاحذر من اختلاط النوايا، وجدد النية دائمًا وأبدًا، وأحرص على أن يكون جهادك في سبيل الله، ومن أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، فبين النية الطيبة والنية الخبيثة شعرة رفيعة جدًا، احذر الشهرة والرياء، احذر العصبية والحزبية، احذر العنصرية والحمية، وإن تغلبت على هذا كله، فاحذر الانتقام والتنكيل، احذر الحقد والكره، وهذا أصعب من سابقه فنحن نقاتل الاحتلال الصهيوني، لما يفعلونه في الظاهر والباطن بالمسلمين، أي لتكون كلمة الله هي العليا. هذا الخيط الذي يفصل بين هذا وذاك لهو أرفع من الشعرة وأحد من السيف،

ليكن جهادك في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الإخلاص في الجهاد نقِ قلبك من الكره والحقد والانتقام، لا تجعل ما في قلبك إلا في سبيل الله، لا تجعل في قلبك إلا لتكون كلمة الله هي العليا.

صحيح نحن نكره الاحتلال، وننتقم لأفعالهم، ولا نواليهم، ونتبرأ منهم فهذا من الدين، وهذا لا بأس به فهو دافع للمسلم كي يجاهد في سبيل الله، لكن هناك مرتبة أعلى وأسمى وأرقى هي أن نطهر قلوبنا من كل هذا، ونخلص النية لله فقط، ولا يدفعنا للجهاد إلا حب الله، وتنفيذًا لأوامر الله، وشوقًا للقاء الله، وأملنا رضى الله.

بالعودة إلى القرآن، لنحمله كما حمله الإنسان، لا كما حمله الحمار، عندها نستطيع أن نصل إلى هذه المرحلة، ونحقق معنى إخلاص النية لله، حينها سيكون النصر حليفنا.

نحمل القرآن كما حمله الإنسان، متى؟ حين نفرّ إلى الله، حين نهاجر إلى الله، فقد قال العلماء أول هجرة للنبي عليه السلام لم تكن من مكة إلى المدينة، بل كانت إلى الله، حينما توجه إلى غار حراء، فالإنسان عندما يخلو مع ربه هذا نوع من أنواع الهجرة إلى الله، فأول هجرة كانت إلى الله ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: 50]، نفرّ من مشاغل الدنيا إلى بيت من بيوت الله، إلى شاطئ بحر هادئ، إلى جبل عالٍ، إلى غرفة قصية في بيتك، إلى جلسة هادئة في خلوة مع نفسك تتفكر، تتدبر، تذهب بعيدًا إلى أن تسمو بنفسك ولا ينطبق عليك قول الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة: 5]، وسنخصص لهذه المسألة مكانًا آخر نستفيض فيه أكثر

ونتعرف أكثر لماذا اجتمع اليهود والمسلمون هنا، وغاصوا في بحر من الدماء ومن سينتصر؟! وكيف؟!

فالنية موضوع يطول بطول هذا الدين فهي الدين كله أو نصفه.

اللهم إنا مهاجرون إليك فوفقنا لما تحب وترضى وأرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، ولا تخلط علينا الأمور يا الله، وارزقنا الإخلاص في العمل يا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

القراءة

بناتي، أبنائي الأعزاء: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: 1-5]، فظاهر الآية هي القراءة التي نقرأها، وفسّر بعض المفسرين القراءة هنا بأنها العلم والفهم ومعرفة الكون... إلخ، فأول تكليف تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من ربه هو القراءة، وأول كلمة ألقيت عليه (اقرأ)، إنها نقطة البدء والانطلاق نحو كل عمل عظيم وغرض جديد، فهي القراءة والثقافة التي إذا ما سألت أو أحصيت أهلها، تجدهم قلة، والأكثرية هم من لا يقرأ، لأن هناك خللًا في التربية منذ الصغر، فمثلًا بيوت بلا مكتبات، فالمكتبة ليست من كماليات الحياة بل من لوازمها، ولا يحق لإنسان أن يربي أولاده دون أن يحيطهم بالكتب، وقد قال ميخائيل نعيمة[1]: «عندما تصبح المكتبة في البيت ضرورة، كالطاولة والسرير والكرسي والمطبخ عندئذ يمكن القول بأننا أصبحنا قومًا متحضرين»، هنا ربط القراءة بالتحضر فلا تحضر دون قراءة، ودائمًا نسمع الخطباء والوعاظ يقولون: إن مشكلة أمة اقرأ أنها لا تقرأ.

اعلم بُنيَ أننا في فلسطين أحوج ما نكون للقراءة أكثر من غيرنا؛

(1) ميخائيل نعيمة: شاعر ومفكر لبناني، واحد من الجيل الذي قاد النهضة الفكرية والثقافية وقاد التجديد (1889م-1988م)، له مجموعة شعرية (همس الجنون) والكثير من المؤلفات.

لأننا شعب يقع تحت الاحتلال، ولكي ننتصر يجب أن نقرأ ونفهم، ونتثقف؛ لأنه كما يقول الشقاقي[1] رحمه الله: «المثقف أول من يقاوم، وآخر من ينكسر، بل لا ينبغي له أن ينكسر»، وبحمد الله أن المقاومة الفلسطينية لم تحقق الإنجازات والتقدم على العدو في كل المجالات إلا بعد أن تعلمت وتثقفت ووعت، لكن هنا نريد أن تكون ثقافة وعلم الجنود كثقافة وعلم القادة.

ولدي الحبيب: إذا ما عرفنا الثقافة: فهي معرفة شيء عن كل شيء، لكن مشكلة ثقافتنا أنها غير متزنة، فالإسلاميون مثلًا ثقافتهم إسلامية من فقه وسيرة وتفسير وعقيدة... إلخ.

وعلى ذلك فقِس، والصحيح أن المثقف يجب أن يكون عارفًا مُلمًا في أغلب المجالات من قرآن وفقه وسيرة إلى تاريخ قديم وحديث ومعاصر إلى جغرافية طبيعية وسياسية،... إلخ.

كما قيل إننا عندما نجمع الكتب نجمع السعادة، وقال الجاحظ[2]: «الكتاب وعاءٌ ملئ علمًا، وظرف حُشي ظرفًا، إن شئت كان أعيا من باقل، وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت بكيت من مواعظه، ومن لك بواعظٍ مثله، وبناسكٍ فاتكٍ، وناطقٍ

(1) فتحي إبراهيم عبد العزيز الشقاقي: طبيب، ومؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، اغتيل بواسطة الموساد الصهيوني في مالطا بتاريخ 26/ 10/ 1995م إثر قيام حركته بعملية بيت ليد البطولية، درس الرياضيات ثم الطب، له عديد من المؤلفات الفكرية، سجن لدى الاحتلال الصهيوني، وأُبعد.

(2) الجاحظ الكناني: هو أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب بن فزاز الليثي الكناني البصري (159-255هـ) من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي من أشهر كتبه (البيان والتبين، الحيوان، البخلاء)، ولد ومات في البصرة.

أخرس، ومن لك بطبيبٍ أعرابي وهندي وفارسي ويوناني ونديمٍ مولد، ووصيفٍ ممتع، ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافي، والشاهد والغائب، والرفيع والوضيع، والغث والسمين، والشكل وخلافه، والجنس وضده، وبعد.. فما رأيت بستانًا يحمل في ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء غيره، ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، آمن مَنْ في الأرض وأكتم للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة» وقال غيره: أن الكتاب صديق لا يخون، وبيت بلا كتاب جسد بلا روح.

أبنائي الكرام: لا نريد أن ينطبق علينا قول القائل: «يا أُمةً ضحكت من جهلها الأمم» وكل منا عليه أن يثبت عشية وضحاها، بل يحتاج إلى الصبر والجلد، ورويدًا رويدا ينفلق الصخر فمن أراد أن يعرف الحق فلا بد أن يعرف الباطل؛ لأن من لا يعرف الخطأ لا يعرف الصواب، وكما قيل لا يؤمن حقًا من عاش في الإسلام ولم يعرف الجاهلية، لأننا لابدَ أن نعرفها لنصححها، الكل لا يأتي إلا بالقراءة والقراءة لا تأتي إلا من الكتاب غالبًا والكتاب حيث لا غيبة ولا رياء، ولا حسد، ولا كبر، الكتاب حيث لا ملل ولا ضجر، ولا سآمة ولا تبرم، الكتاب حيث الحكمة الساطعة، والموعظة البارعة، والخطاب الفصيح، والنهج السديد، والطرفة العذبة، والخبر المستطرف، والتجربة الحية، هكذا قال الحكماء والعقلاء.

وصيتي لكم أبنائي هي المداومة على القراءة، ولوحدكم ستكتشفون كم أنتم بحاجة إليها، فكلما قرأتم اكتشفتم أنكم بحاجة إلى المزيد، لمعرفة ما لا تعرفون، وقد أختصر الشافعي هذا الشعور بقوله:

كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي

وكلما ازددت علمًا زادني علمًا بجهلي

فإذا قرأت من كتاب، ليكن الكتاب الآخر بجوارك، ينتظر دوره، وإذا بدأت في الثاني فليكن الثالث ينتظر على أحر من الجمر لتبدأ به.

Readers are leaders

القراء هم القادة

فيا أبنائي الأحبة هل من قارئ؟!

فكّر واعقل

اعلم بني أنه وكما القراءة، والفهم، والعلم، والثقافة، شيء مهم، فالأهم هو الفكر؛ لأنه لا يمكن للمرء أن يحصل على المعرفة إلا بعد أن يتعلم كيف يفكر، كيف يأتي بالجديد، بالإبداع، بالاختراع، فما دام الإنسان يفكر فسيشعر بقيمة نفسه، سيشعر بقيمة وجوده، سيعرف أنه ليس مجرد رقم في التعداد السكاني، أو كما قال ديكارت[1]: «أنا أفكر إذًا أنا موجود»، فحين يطرق الرقي باب أمة من الأمم ـ وهذا ما تحتاجه اليوم ـ يسأل: أهنا فكر حر؟ فإن وجد دخل وإلا مضى.

فأثمن ما يملك الإنسان هو الفكر، فالإنسان رخيص بلا فكر، وبلا أفكار، فالأفكار معفاة من الضريبة، فإذا كان الإنسان بخيلًا ماديًا على نفسه، فلا مبرر له لأن يمنع نفسه من التفكير، ما دام أنه لن يدفع الضريبة، بل من غرائب الدنيا أن البخلاء يفكرون بل ويبدعون في ابتكار الطرق لتوفير أموالهم وزيادتها، فكما تفكر بهذه، فمن باب أولى أن تفكر بتلك، وكما قال أفلاطون[2]: «نحن مجانين إذا لم نستطع أن نفكر، ومتعصبون إذا لم نرد أن نفكر، وعبيد إذا لم نجرؤ أن نفكر»، فاختر لنفسك أخي ممن تحب أن تكون، من المجانين أم المتعصبين أم العبيد، وكل خيار من هذه الخيارات

(1) رينيه ديكارت، فيلسوف ورياضي وفيزيائي فرنسي، يلقب بأبي الفلسفة الحديثة أهم كُتبه: علم الهندسة، العالم، مبادئ الفلسفة. (1596م- 1650م)

(2) أفلاطون: فيلسوف يوناني كلاسيكي وعالم رياضي، كاتب عدد من الحوارات الفلسفية، يعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي.

أسوأ من الآخر، فلا بد أنك ستختار خيارًا رابعًا أو خامسًا، وأعلم أن الأفكار لا تنتج إلا من عقل واعٍ، فكما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «قِوَامُ المَرْءِ عَقْلُهُ»، وكما قال علي رضي الله عنه: «العقل حسام باتر».

أبنائي إخواني، أحبتي يا جيل الشباب القادم عقلك كالمظلة، لا يعمل إلا إذا انفتح، فمتى وكيف ستفتحه؟ وكما نقول دائمًا: «العقل زينة»، ويقول المثل الدنماركي: «شباب بلا أحلام، ربيع بلا زهور»، والإنسان بلا عقل تمثال بلا روح.

من أراد الثروة الحقيقية، فهي ثروة العقل، فالثروة المادية لا يمكن أن تتحقق إلا بالثروة العقلية، فهل سمعت يومًا أن هناك مليونيرًا غبيًا؟! لا أظن فهذا من الصعوبة بمكان، وديننا الإسلامي، لم يترك لنا شيئًا إلا ذكره، لكن هل من معتبر؟! فقد جاء في الحديث الشريف: أن الجنة مائة درجة، تسع وتسعون منها لأهل العقل وواحده لسائر الناس، وكما يقال دائمًا: «عالمٌ فاسق خيرٌ من عابد جاهل»؛ لأن من يعبد الله على جهالة فكأنما عصاه.

والقاعدة الشرعية: «العقل مناط التكليف»، فالإنسان بلا عقل غير مكلف مثله مثل أي مخلوق آخر غير الإنسان، فاختر لنفسك أن تكون إنسانًا حقيقيًا أم إنسانًا وهميًا.

اعلم أن الفكر أنواع فمنه الفكر السطحي[1]، والفكر العميق[2]،

(1) الفكر السطحي: كأن تقول هذه برتقالة صالحة للأكل.
(2) الفكر العميق: كأن تقول هذه البرتقالة تتكون من قشرة وبذور ولونها أصفر (برتقالي).

والفكر المستنير[1]، وهو أعلاهما ولك أن تتبنى أي نوع.

الفكر هو الحكم على واقع بناءً على معلومات سابقة، فعملية التفكير تحتاج إلى معلومات سابقة ونظرة متفحصة للأشياء، ودماغ صالح لهذا الربط، فعليك أن تغذي دماغك بالمعلومات الصحيحة التي تستطيع من خلالها أن تحكم على الأشياء.

اعلم أخيرًا قول أرسطو[2]: «الجاهل هو الذي يؤكد والعالم يشك والعاقل يتروى».

فالفكر المستنير هو الحكم على الأشياء وربطها بما قبلها وما بعدها، فإن كنت تفكر كذلك فأنت صاحب فكر مستنير.

(1) الفكر المستنير: كأن تقول هذه برتقالة زرعت بذرة ثم نمت، وتم الاعتناء بالشجرة، وريها ورشها بالمبيدات الحشرية، حتى أصبحت ثمرة، وفيها فيتامين (C)، ولها حكمة أنها تنبت في الشتاء؛ لأن فيتامين (C) يحمي من الرشح.

(2) أرسطو أو أرسطوطاليس، فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون، معلم الاسكندر الأكبر، غطت كتاباته مجالات عدة منها الفيزياء والميتافيزيقيا والشعر والمسرح والموسيقى والمنطق والسياسة والحكومة، ولد 384 ق.م، وعاش حتى 322 ق.م.

الوطن والوطنية[1]

تمر علينا سنوات تتلوها سنوات، وما زالت أبواب السجن مقفلة، ونسلم لقدرنا ولا نعترض على حكم الله، فعندما خرجنا لم نكن نفكر كيف ستكون النتيجة، سجن أم شهادة أم إعاقة، لكن المحزن هو أن يمر هذا العمر، دون أن نرى تقدمًا يُذكر للمقاومة على الأرض فقد خرج الاحتلال من غزة هاشم عام 2005م، ونحن اليوم في عام 2008م، وتُشن علينا حرب لم نرها من قبل، واستعداداتنا كمقاومة لا تُذكر، فماذا أعددنا خلال السنوات الثلاث؟!

أما هنا في الأسر، نفكر، ونتساءل لماذا لم تستعد المقاومة؟ ما المانع؟ ما الصعوبات؟ نرسل بالرسائل الشفوية والمهربة لمن يهمه الأمر حتى كدنا أن نصل لقناعة أننا منفصلون عن الواقع، ولا نفهم به شيئًا، رغم ثقتنا بأن أفكارنا ليست مستحيلة وممكنة التحقيق والأصعب أن تخرج المقاومة بعد الحرب تفتخر بصمود الشعب وهذا يستحق الفخر، أما أن نعتبر أن صمود الشعب هو الانتصار، فهذا إن دلّ فيدل على صمود الشعب الذي يستحق الاحترام والتقدير، كان هذا الحديث عام 2009م.

لكن اليوم، اختلفت الموازين، وبحمد الله تحققت أفكارنا وأنجزت

(1) الوطنية: حب الوطن، فقد قال عليه الصلاة والسلام عن مكة: «أَنْتِ أَحَبُّ بِلاَدِ الله إلى الله، وأَنْتِ أَحَبُّ بِلاَدِ الله إليَّ» هذا المقصود، وليس المقصود بها الرابطة على أساس المنهي عنها بأن أحبَ الفلسطيني، ولو كانَ عاصيًا لله وأبغض الشيشاني ولو كان مسلمًا مجاهدًا فهذا من الجاهلية المنهي عنها شرعًا.

مقترحاتنا، وأثبتنا لأنفسنا أولًا أننا ما زلنا أحياء، وما زلنا متصلين بالواقع، وأصبحنا نفتخر بمقاومتنا التي حققت كل هذا التقدم وهذه الانتصارات.

واليوم عندما سمعت كلمة الدكتور رمضان شلّح، أمام عدد من الأطباء تحدث عن مركزية فلسطين وقضيتها وعن مفهوم الوطن بعد انتهاء حرب (2008-2009م)، والتي قال فيها إن الوطن يعني للبعض حدود 1948م، وللبعض حدود 1967م، وللبعض غزة، وللبعض رام الله. هناك تذكرت _للأسف_ أننا كمقاومين بغض النظر عن انتماءاتنا السياسية _إلا من رحم ربي_ لا نعرف حدود وطننا الأم، وما هي فلسطين التاريخية، وعلى كل مقاوم أن يبحث لمن مزارع شبعا مثلًا، لمن الجولان؟! لمن أجزاء من سيناء؟! بل لمن الأردن؟! هذه الأسئلة تماشيًا مع الواقع وتقسيمات سايكس بيكو، هذا التماشي الذي تجد لأجله بعض القادة الفلسطينيين أصبحوا لا يطالبون المسلمين بتحرير الأرض الإسلامية فلسطين، وكأن فلسطين هي للفلسطينيين فقط. فهل يعقل أن مطالبة المسلمين والعرب، بأن ينبروا لتحرير فلسطين تعتبر تدخلًا في الشئون الداخلية؟! هذه أرض واحدة، لأمة واحدة، بحاكم واحد، بجيش واحد، بقانون ودستور واحد مستمد من القرآن والسنة.

أما وقد حددوا لنا حدود فلسطين، وتركونا نلقى الأمرين، لوحدنا، ونواجه مصيرنا بأنفسنا، فمؤقتًا سنتماشى مع هذا الأمر، وندافع ونقاوم حتى تحرير هذه البقعة من أرض المسلمين، وأخشى ما أخشاه أن يقوم الاحتلال الصهيوني باحتلال جزء من الأرض هنا أو هناك عام 2010م مثلًا، وتصبح الغاية أن يطالب البعض بالعودة إلى حدود 2010م، كما

هناك مطالبه اليوم بالعودة لحدود 1967م.

فلا أدري بأي طريقة أنادي أو أصرخ من شدة الألم والقهر، فيا أبنائي: إن مما قرأنا وتعلمنا، أننا نريد كل وطننا لا جزءًا منه، وأن الوطن خدمة وتضحية لا كلمات جوفاء وخطابات رنانة، وأن الوطنية أن تعمل ولا تتكلم، ونسينا أن أفصح الخطابات هي العمل الناجح، ونسينا أو تناسينا أن الوطني هو الذي يفكر في الأجيال القادمة والسياسي يفكر في الانتخابات القادمة، فبأيهما نحن فكرنا؟! وكما يقول الدكتور رمضان يجب إعادة صياغة فهم القضية، وإعادة فهم حدود الوطن، بدل أن يدرس في مناهج السلطة كلمة الوطن دون شرح ولا تفصيل، وهذا أمر أعتقد أنه يقع على عاتق الدكتور ومن هم أمثاله من المفكرين ليعلموا الأجيال القادمة أنه عليهم أن ينتموا لأوطانهم مثلما ينتمون لأمهاتهم، وأن يكون هناك وفاء لأوطانهم؛ لأن الشعب الذي لا يعرف الوفاء شعب لا يعرف التقدم كما تقول الحكمة.

ولنتعلم من أصحاب الباطل كالاحتلال كيف ينتمي لما يظنه وطنه بكل تعصب وعشق، والأولى نحن أصحاب الحق، فالوطني الحقيقي أن تكون في قمة التعصب والتشدد والعشق لوطنك، فبعد مرور السنوات، وتقدمنا وإنجازاتنا كمقاومة وذلك لم يحدث إلا بعد أن احترمنا عدونا وتعلمنا منه أو من أخطائه ولجأنا إلى العمل، وتوقفنا عن الشعارات الرنانة، والخطابات الجوفاء.

ولدي: قف، فكر، قيم، واقرأ تاريخك، اقرأ ماضيك؛ لكي يكون لك حاضر ومستقبل وإلا ضعت، وضيعت، وهَلكت وأهلكت.

المدح

أبنائي الأحبة: في كل يوم ومع مرور كل جيل يزداد انتشار أخلاق سلبية كثيرة ومنها المدح، الذي لا أعرف مشكلة الناس معه، فإذا ما أُعجب شخص بآخر فسرعان ما يبدأ بمدحه، وهذا محمود! لكن لمَ المبالغة؟! ولماذا نعشق أحيانًا المدائح؟ على الرغم من أننا نعتقد أنها غير صادقة! ولم أر مادحًا أو ممدوحًا إلا فيهما أو في أحدهما خلل كبير سرعان ما يظهر عند أول مفترق أو عند أول اختبار، ألا تعلم بُني أن زيادة الثناء بغير استحقاق تملق واستجداء، وحجب الثناء مع استحقاق حسد وافتراء، فلا تفريط ولا إفراط، هكذا الأمور.

اسأل نفسك دائمًا قبل أن تمدح أحدًا ما هو الأساس الذي تمدح وتقيم الآخرين بناءً عليه؟ هل الأساس هو الدين؟ أم الأخلاق؟ أم الحب والاحترام؟ أم أن هذا الشخص يستحق المدح؟ أم أنك كما قال الحكماء: كثيرًا ما يمدح الإنسان حتى يُمدح؟ واسأل نفسك دائمًا ما الذي يعود عليك إذا مدحك الآخرون؟ أو مدحتهم؟ هل ستزداد طولًا؟! أو وزنًا؟! أو تقديرًا؟! أو سيكبر رأسك قليلًا؟! كل هذا الموضوع يختصره سعيد حوى[1] بقوله: إن المدح يدخله ست آفات، أربع في المادح واثنتان في الممدوح.

(1) سعيد حوى: سعيد بن محمد ديب حوى (1935-1989م)، أحد قادة الإخوان المسلمين، مفكر له العديد من المؤلفات مثل الأساس في التفسير 11 مجلدًا، والأساس في السنة 14 مجلدًا.

فأما المادح

1. فإنه قد يُفرط فينتهي به إلى الكذب.

2. أنه قد يَدخله الرياء، فإنه بالمدح مُضطر للحب وقد لا يكون مُضطرًا له ولا معتقدًا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيًا منافقًا.

3. أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه.

4. أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق، وذلك غير جائز، وقد قال الحسن: «من دعا لظالمٍ بطول البقاء، فقد أحب أن يُعصى الله تعالى في أرضه، والظالمُ الفاسق ينبغي أن يُذم لينعم ولا يمدح ليفرح».

وأما الممدوح

1. فإنه يحدث فيه كبرًا وإعجابًا وهما مهلكان.

2. أو أنه إذا أثنى عليه بالخير، فرح، وفتر، ورضى من نفسه، والرضى عن النفس أصل كل خطيئة. وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح.

فعلى هذا الأساس أخي الحذر، الحذر من المدح! ولتفكر قبل أن تتفوه بكلمة، أو أن تتخذ موقفًا، وتفكر في الأُسس والقواعد التي تحب وتكره على أساسها، وتمدح وتذم من أجلها، فالأمر ليس هوى نفس، فكل من وافق فكري فهو محبوب ممدوح لدي، وكل مخالف لي فهو

مكروه مذموم منبوذ عندي، ولنتذكر قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم: «احْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ»[1].

أبنائي الكرام: كثيرًا ما يتلفظ المرء تحت ضغوط نفسية مثلًا بكلمات، وينطق بأقوال سلبيه أو إيجابية، ما كان عقله ليرضى بها لو أنه فكر قليلًا، قف، فكر وقيم. وقالوا قديمًا: «من يقل الخير يغنم ومن يقل الباطل يأثم، ومن لا يملك لسانه يندم».

وختامًا فقد قال أحد الحكماء: «لن يذوق امرؤ حلاوة الإيمان حتى تخرج الجاهلية كلها من قلبه، ولن تخرج الجاهلية كلها من قلبه، حتى يستوي عنده مدح المادحين وقدح القادحين، فلا تطرب أذنه لمدح مادح ولا تضطرب نفسه من قدح قادح».

فيا بني: هذا هو السبيل، فهل من رجال؟!

(1) هنا معنى الحديث من يمدح من لا يستحق، أما ذكر منقبه من مناقب أهل الخير دون تملق ولا زيادة، لا ينطبق عليه الحديث، فقد عدّد النبي صلى الله عليه وسلك مناقب أبي بكر توجيهًا للصحابة إلى عدم إساءته وكان ذلك في وجهه رضي الله عنه، وأيضًا من الفضل إرجاع الفضل إلى أهله مع ضرورة مراعاة المحاذير التي ذكرناها.

الإعجاب

هذه الكلمة، أو هذا المصطلح الذي نسمعه كثيرًا، خاصة الإعجاب بالفنانين، والمطربين واللاعبين، والنوادي، ثم الرؤساء والوزراء والملوك... إلخ من هذه المسميات، فلماذا يعجب هذا بذاك؟ لا أعرف! لماذا ينهال هذا على ذاك بكلمات المجاملات والإعجاب؟ لا أدري ما الفرق بين هذا وذاك؟ أعلم! لكن ما أعلمه، أن هذا إنسان وذلك إنسان، هذا مكث في بطن أمه تسعة أشهر وذاك كذلك.

لكن أرى أن المشكلة ليست عند المعجبين، فالمعجبون أفكارهم مشوهة، اهتماماتهم ضائعة، أهدافهم تائهة، ليس عندهم ثقة بأنفسهم، عندهم عقدة النقص، غريبون لا تستطيع تحديد شخصيتهم وتحليلها، لكن أقرب الأسباب هي الأفكار المشوهة التي جعلت المشهور يُحترم ويقدر أكثر من العالم المُفكر، والتي جعلت الغني ذا قيمة عند الناس أكثر من الفقير، التي جعلت قدم لاعب أهم من رأس عالم، هذا التشوه الذي جعل الناس تنظر إلى العار فخرًا وإلى الفخر عارًا كل شيء بالمعكوس، بالمقلوب، والأغرب من هؤلاء أن تجد من تحسبه من العقلاء، مثلُه الأعلى رياضي! أو ممثل أو مُغني! فهنا الأزمة أزمة فكر وثقافة.

ولدي الحبيب: إننا لم نسمح لأنفسنا أن نفكر قليلًا، ولو فكرنا لعلمنا أن هؤلاء المشاهير دون استثناء، بقصد أو بغير قصد، بحسن نية أو بسوء نية، قد سرقوا أموالنا!

كيف؟! لأنهم خدعوا عقولنا، وجعلونا نعجب بهم، وبأفعالهم _الصحيحة والخاطئة_ ونتابعهم وندفع الأموال من أجل ذلك، وهم ينعمون في الشهوات والملذات، ونحن الله وحده أعلم بحالنا، والأغرب أن تجد الناس تُحب، وتتمنى أن تكون مثل هؤلاء المشاهير! فكيف لعاقل رابح يتمنى أن يكون غبيًا خاسرًا! أو يتمنى حي أن يكون مكان ميت! أو سعيد مكان شقي! صحيح مكان عليل مريض! فلو حسبنا بالمادة فلك أن تتمنى أن تكون ملكًا، ولكن لو حسبناها بحساب الهدوء وراحة البال، والرضى عن النفس، وبما أننا مسلمون لو حسبنا بحساب الدين، والدنيا والآخرة، والجنة والنار، لاخترنا بالطبع ما نحن عليه، فالملك أو الرئيس والوزير والفنان سيسألون يوم القيامة عن عمرهم وعن أموالهم وعن شبابهم وعن، وعن، فلو سألنا الله هذه الأسئلة، فالإجابة لن تطول معنا، أما هم فلو سألهم الله فالإجابة طويلة بطول أعمالهم، وأعمال من يقلدهم والأمر الآخر أن الناس تقلدهم فإن قلدوهم بسيئة _وغالبًا تكون كذلك_ فعليهم وزرها ووز من اتبعهم أما نحن فلن نحمل إلا وزر أنفسنا، ولله الحمد والمنة، وقد قال بعض العارفين: «لو يعلم الملوك ما نحن فيه من سعادة الإيمان، لجالدونا عليها بالسيوف».

السؤال الأهم: من أعطى هؤلاء هذه القيمة؟ وهذه الهالة؟ وهذه الشهرة؟ بالطبع نحن الذين أعطيناهم كل هذا؛ لأننا عندما نقابلهم، نشعرهم أننا قابلنا شيئًا غريبًا، كبيرًا، مختلفًا، نازلًا من كوكب آخر، نريد أن نتعرف عليه، ونريد أن نلتقط معهم الصور، ونريد توقيعهم للذكرى، فأين الفخر بذلك؟ أليس الأولى لنا أن نمر بالرئيس كما نمر بأي إنسان

في الشارع؟ وأكثر ما نفعله، أن ننظر باتجاههم دون إبداء أي استغراب أو اندهاش أو إعجاب، دون ملاحقة، دون محاولة لمس أجسادهم، كأنهم الحجر الأسود، إما نقبله أو نلمسه باليد أو أن نشير إليه باليد من بعيد.

ولا يظن ظان أن هذا لا ينطبق على الأحزاب والتنظيمات والحركات خاصة الإسلامية، وما نراه من تقبيل رؤوس وأيدي المشايخ، احترام الكبير مطلوب، بل واجب شرعي فليس منا من لم يحترم كبيرنا، ويوقر صغيرنا ويُجل عالمنا، لكن أظن أن هذا الاحترام لا يصل إلى رتبة تقبيل الرأس واليد[1]، وكان من أغرب ما رأيت، شاب في السجن، أمضى زهرة شبابه خلف القضبان، رياضي، يتمرن يوميًا بما يتوفر، والمفاجأة أن أمنيته أن يخرج من السجن ليكون حارسًا على أحد مشايخ وقادة حزبه، فمن المفروض أن يكون الأسير أوعى من غيره، مفكرًا مفيدًا لأمته، ووطنه، لا عالة عليهم، فلا مشكلة أن يعمل الإنسان حارسًا، لكن أنت كأسير أن تكون أقصى أمنياتك، وحلمك العظيم، حارسًا؟! فما الجديد الذي ستقدمه لوطنك بهذا العمل؟!

صديقي الحبيب: قف وفكر واعرف لنفسك قبل الخطو موضعها، الناس سواسيه كأسنان المشط الاحترام والتقدير للكبير، والشيخ، والعالم، والأستاذ، والمربي، حتى للطفل الصغير، لكن دون مبالغة، دون مبالغة، دون مبالغة. قدوتنا ومثلنا الأعلى محمد بن عبد الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بعده صحابته ومن هو على شاكلتهم.

(1) اختلف العلماء في هذه المسألة، فذهبت طائفة معتبرة إلى جواز تقبيل التلميذ ليد شيخه ومعلمه، وكذلك الرئيس إن كان صالحًا لابد من إبداء الاحترام له والوقوف عنده بأدب حتى لا تكسر هيبته، فابتسامة أو كلمة واحدة كافية لإظهار الاحترام والتقدير، وهذا الموضوع مرتبط ارتباطًا وثيقًا مع موضوع كرة القدم التي أعتقد أنه سيأتي اليوم التي تحرم فيه شرعًا، مثل الدخان الذي كان مكروهًا ثم أجمعت الأمة على حرمته.

رياضة كرة القدم[1]

الرياضة من الترويض والتخفيف عن النفس، ومن أجل الفرح والانبساط والسعادة، ومن أجل اشتغال الوقت بما هو مفيد للجسد، وللعقل، فالإنسان السليم هو الذي يغذي عقله بالقراءة، وروحه بالعبادة، وجسده بالرياضة، وحديثًا أضيف إلى أهداف الرياضة النبيلة، لهدف خبيث وهو إلهاء الأمة العربية والإسلامية عن قضاياها، ومشاكلها الأساسية وجمع الأموال، وفي ظل الغزو الفكري، والثقافي الذي ـ مع كل أسف ـ نجح بشكل كبير وفي غزو عقولنا، فغزو الأفكار أشد من غزو الأمصار، حتى إن النظام العربي الرسمي شارك في هذا الغزو فأوجد من المشايخ في المؤسسة الدينية الرسمية، التابعة لدولته من يشارك بالتأصيل والإفتاء لهذه الرياضة ومن يمارسونها، ليصل لدرجة الإفتاء لمنتخب إحدى الدول العربية، بالإفطار نهار رمضان في موسم المباريات الدولية، وكأنهم خارجون في جهاد الأعداء، فالكل ومنهم الشيخ أصبح غارقًا في الرياضة، وقوانينها، وفرقها وأسماء لاعبيها، ومدربيها، ونواديها، وتاريخ كل نادٍ بل كل لاعب، ولا يكاد أحدٌ يخطئ في معلومة واحده تتعلق بالرياضة، وإذا ما سألته عن يوم استقلال بلده وعن احتلال وطنه أو أسماء شهداء أو أحياء من ضحوا وناضلوا من أجل شعبهم أو عن أناس مشهورين، في التاريخ،

(1) هذا المقال ـ كما ذكرت ـ مرتبط بمقال الإعجاب، فالغزو الفكري، وتفريغ الأمة من كل ذي قيمة، أمر يسهرون عليه ليل نهار. ففي فلسطين من أراد أن يفتتح إذاعة محلية، ويتقدم بدعم إلى أي منظمة غير حكومية، تجد أنه من أحد شروط ـ المنحة ـ بث اللقاءات الكروية في الدوري الإسباني! فلماذا هذا الشرط؟! وما الذي تريده هذه المنظمات التي يدعمها الغرب الصليبي؟!

للبصمة التي تركوها من مسلمين وغيرهم، من الشافعي[1] إلى الفارابي[2] إلى ابن سينا[3] إلى أفلاطون وديكارت إلى ابن خلدون وابن ماجه[4]، لن يجيب.

أو إذا ما سألت عن الدين، والنبي، ومن حوله من الرجال والنساء، فمع كل أسف بالكاد تجد إجابة واضحة لا ريب فيها، وهنا تكمن المشكلة في الرياضة فهي على حساب شيء آخر _لا اتزان_ فهي على حساب الوقت، والعلم، والثقافة، والهم الذاتي، ومشاكل الأمة ونحن مع ساعة، ساعتين، من أجل الترفيه لكن أن تصل العصبية الرياضية أكثر من عصبية الجاهلية الأولى، العصبية التي أدت إلى السب والشتم وسوء الأدب والدخول في الكبائر كالقتل الذي وصل في إحدى المباريات إلى 74 مشجعًا، قتلوا دون سبب، لا حرب مات فيها أبرياء، ولا مشاكل داخلية قتل فيها بالخطأ من قتل، موت أقرب إلى الانتحار، ومن حمد الله أن الأموات مصيرهم إلى الله، هو من يحكم، ويحدد، ويميز بين القتيل والشهيد، ألم يأن للأحياء أن يعتبروا من الأموات؟! فيا سيدي العزيز الغرب يلعب ويتابع؛ لأن لديه فائضًا في الوقت، فائضًا في الرفاهية، وفائضًا في الأموال، وفائضًا في الأمن والأمان، لذلك ربما يلعبون ويتنافسون ويختلفون، أما نحن في بلادنا العربية والإسلامية، فتن، وقتل، وحروب ودمار، ناهيك عن مشاكل المياه، والبطالة، وفقر، شعب يُقتل وآخر يلعب! حتى على مستوى الشعور

(1) الشافعي: محمد بن ادعيس الشافعي الطلبي القرشي، (150-204هـ)، ثالث الأئمة عند أهل السنة والجماعة، مؤسس علم أصول الفقه، عمل قاضيًا، أشهر كتبه الرسالة، الأم.

(2) الفارابي: فيلسوف مسلم مشهور بإتقان العلوم الحكيمة، (260-339هـ)، وكانت له قوة في صناعة الطب.

(3) ابن سينا: عالم وطبيب مسلم من بخارى، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بها (370-427هـ).

(4) ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي القزويني، إمام في علم الحديث، (209-273هـ).

والإحساس فلا يتضامن الأخ مع أخيه.

فيا عزيزي لو كان عندك وقت ساعة أو ساعتين فهذا مستوعب، أم المتابعة بحذافيرها، وأن تصبح همًا بالنسبة لك وهدفًا من أهدافك، فهذه ملهاة ليس إلا، فأين العقل منك؟! أين العلم الذي تعلمته؟! أين ثقافتك؟! أين خبرتك؟! ما الفائدة التي عادت عليك من هذا الجهد الذي بذلته؟!

ستجد أن هذه حالة عامة في كل الشعوب والأمم، وهناك برامج يومية وفضائية خاصة، تتابع تفاصيل التفاصيل، ولا نبالغ لو قلنا إنه لا يوجد حدث على مستوى العالم، يتم تغطيته إعلاميًا، كما يتم تغطية أحداث مباريات كرة القدم، قديمًا كان الذي لا يقرأ ولا يكتب هو الأمي، ثم أصبح الذي لا يجيد استخدام الحاسوب هو الأمي، وأعتقد اليوم أو غدًا سيصبح الذي لا يعرف كرة القدم هو الأمي، كل هذا الإجماع سواء على كرة القدم أو غيرها، لا يعني أن هذا صحيح، بل كلهم على خطأ وأنت على صواب، فلا تغتر، واصرخ بأعلى صوتك، وافتخر، نعم، أنا أمي، جاهل في كرة القدم.

إذا كنت مشجعًا، ومهتمًا، ومتابعًا، ومتعصبًا، فسخر هذا الجهد لشيء ذي قيمة، لله ولرسوله، لدينك، لأمتك؛ لأن هذه مسألة داخلة في الولاء والبراء، وهي قضية خطيرة في العقيدة، فالحب والكره والعداء والسلم، لا يجوز أن يكون إلا في الله سبحانه.

قف وفكر، واعرف لنفسك قبل الخطو موضعها، واختر لنفسك أتكون مع العقلاء، أم مع البلهاء، واختيار طريق البلهاء هو الأسهل، لكن ليس هو الأصح واختيار طريق العقلاء هو الأصعب وهو الأصح.

رسائل

أثناء حرب غزة 2008-2009م، كان الجميع يتابع عن كثب، وكما العادة في كل حرب، لا يفوتنا _كأسرى_ خبر مهما صغر أو كبر، فهناك من يتابع على التلفاز وبما توفر من لغات، وهناك من يتابع على الإذاعات المحلية، التي تنقل عن فضائيات عالمية، ومنا من يتابع بأُذن للمذياع والأخرى للتلفاز، ومنا من يتابع بأُذن للمذياع والأخرى لمذياع آخر والعينان تقرآن شاشة التلفاز وتشاهدان الصور، فكانت قلوبنا تعتصر ألَمًا على أهلنا ووطننا، ونستغرب من المقاومة التي لم ترتق إلى المستوى المطلوب، ولعدم وجود أي وسيلة تواصل مع الأهل لا زيارات ولا اتصالات، فقد اعتبرتهم في عداد الموتى خاصة أنه لم تكن هناك إشارة على وجود أحياء، فقد كانت الحرب طاحنة، أكلت الأخضر واليابس، حتى الموتى في قبورهم، أخرجتهم القذائف من باطن الأرض إلى ظاهرها، ومن عاش أيام الحرب وتفاصيلها، يستطيع أن يصف المشهد أكثر منا.

وفجأة، وبعد الحرب بأشهر وصلتني رسالة من أختي «أم بكر»، كتبت لي أخبارها وأحوالها وأحوال الناس أثناء الحرب وبعدها، فاطمأنت نفسي، وهدأت روحي، وفي نفس الوقت غضبت لتأخر الرسالة، وقلت في نفسي سامحك الله، بما أنكِ ما زلتِ على قيد الحياة، فما الذي أخركِ؟ وأمسكت قلمي وبدأت أكتب لها، وليس لها فحسب، بل كان حال

الرسالة لكل أخت، ولكل أخ، ولكل عائلة أسير؛ لأن أحوالنا في الأسر متساوية، وأهلنا كلهم يشبهون بعضهم، فكان مما كتبت لها:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله مذكر الناسين، ومقرب البعيدين، والصلاة والسلام على الحبيب الأحب محمد صلى الله عليه وسلم، أوصانا بالوصال، وصلة الأرحام، فتحيةً من عند الله مباركة طيبة وبعد:

كان النعاس قد أقبل عليَ بخيله ورَجله، وبعد يوم شاق، فهمت أن أرقد رقاد هناء ونوم وعافية، لكن لم تزر السنة مآقي على رغم انتهاك قواي،؛ لأنه قد جدت مسألة ذات بال، ومن الأهمية بمكان، فلقد وصلتني رسالتك التي استدركت بها الخطب قبل أن يستفحل، واستدركت الخرق قبل أن يتسع على الراقع، فما إن قرأتها حتى ذهب النعاس بعد أن كان قد فارق عيني، وتضعضعت الأفكار واختلطت التصورات حابلها بنابلها، فقد انتظرت أخباركم بعد الحرب على أحر من الجمر، ولكن لأن الله قد رزقنا _معشر الأسرى_ بأهل مثلكم، فلم يتأت لي أن أقف على أقل أثر أو أدنى خبر، فثارت داخلي _كما غيري_ عاصفة، واستعر دمي في عروقي كأتون النار، وقررت أن أنسى شيئًا اسمه غزة ومن بها، وأن لا أتعب فكري بمن لا يُتعب فكره بي، واشتقت للزيارة التي منعنا منها منذ سنوات؛ حتى أسمعكم من اللوم، والعتاب ما يقد الصخر الأصم، لأنه قد عراني من الآلام والأوجاع ما لا تفي بوصفه عبارة، وما كان ليحدث هذا لو أن أحدكم كلف نفسه برفع سماعة الهاتف أو بكتابة سطر لأحد برامج الأسرى على أي إذاعة شاء.

أختي_ أخواتي_ الحبيبات تقلن وتدعين أنكن لم تنسونا، وأن أفكاركم اقتصرت علينا، وقلبكم تتيم بنا، وعقلكم تولـه بنا، وأن لا شوق إلا لنا، وأن لا حب إلا لنا، لكن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة ذلك؟!

عزيزتي: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء مثلك أختًا، فحمدًا لله أنك عودتِ أناملك على الكتابة بعد خمس سنوات من الانقطاع ، فلأن يأتي الإنسان متأخرًا خير من أن لا يأتي، فرسالتك هدأت من روحي، وأسكنت غضبي، فحمدًا لله على سلامتك، وسلامة رسالتك، والآن استطيع أن أقول لك ومن كل قلبي كل عام وأنت بخير بل بألف خير، ورمضان كريم، وكل عام وأنت بمليون خير بمناسبة عيد الفطر السعيد، ومن بعده عيد الأضحى المبارك، فلا نعلم إن كان في العمر بقية، لكي نهنئكم بالعيد القادم أم لا، سلامي لروحك الطاهرة، ولزوجك الغالي، جعل الله السعد حليفكم والنجاح أليفكم، وإلى لقاء قريب بإذن الله وقدرته سبحانه وتعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصيتي لكم أبنائي، لا تفعلوا مثلي، لاتكن ردة فعلكم قاسية؛ لأن العائلة هي عبارة عن أنفس اجتمعت مع بعضها ثم سكنت داخل بعضها، لذلك قالوا من السهل على الإنسان أن ينسى نفسه، لكن من الصعب عليه أن ينسى نفسًا سكنت نفسه، وقال الشافعي: «الحر من راعى وداد لحظة»، فما بالكم أعزائي وقد عشتم وستعيشون مع بعضكم لحظات ولحظات، وأيامًا وسنين؟! فمن باب أولى أن تتراحموا وتتزاوروا وتعطفوا، وتصفحوا، وتتسامحوا، وتنسوا، وتغفروا.

رسائل المرضى

أبعد الله عنا، وعنكم، وعن سائر المسلمين المرض، لكنه سنة من سنن الحياة أن يبتلي الله الإنسان في صحته، فيمرض حينًا، ويبرأ ويصح حينًا آخر، والسعيد من حمد الله وشكر، فغفر الله ذنبه، وأثقل ميزانه، ورفع درجاته، فإذا مرض الإنسان ذهب إلى الطبيب، وإن لم يعجبه يغيره متى شاء، وكيف شاء، في أي زمن وأي مكان، لكن الأسير المقيد، المكبل، ماذا يفعل؟! ولمن يشكو ويتوجه؟! فمن يسمع صوته؟! من يسمع أنينه؟! من يشعر بألمه؟! فكم من مريض في السجون يموت الموت البطيء، ويصبر ويصبر، فكان من هؤلاء صديقي العزيز (يسري عطية المصري) الذي أصابه المرض تلو المرض وآخرها السرطان الذي ما زال يعاني منه، فأرسلت له أسأله عن حاله، فاختصر وقال:

أخي الحبيب عمار: هذه القصيدة مدادها العذاب والألم، كتبتها أثناء المرض، تلخص جوانب المحنة، وأظنها التعبير الأصدق عن معاناتي وآلامي والله المستعان.

باسم الكريم أخط حبرَ يَراعي ... فهي الأصول لهذا اللبيب يراعي
سبحان مولاي العظيم بحمده ... بدءُ قصيدة بها أشدُ شراعي
كم سادرٍ في الغي والشهوات ... ضل الطريق فما له من راعِ
لكنما نفس الخبير رحيمة ... ورضاه يوم الحشر ذاك متاعي

وتطيب في ذات الإله مكارهـــي ... وله أحثُ الخطـــوَ أولَ ساعِ
أنا مسلمٌ لله أرجـو نصـــره ... وتتوق بذلًا للجـــلادِ ذراعي
لولا السلاسلُ قيدتني والأسـى ... أضحى لهيبًا ثار من أضـــلاعي
موتٌ يلازمنـــي كأن نقيعـــه ... سم تدفق مـــن رؤوس أفـــاعِ
وظلام سجتـــن في الظلام يلفني ... بحرًا من الظلمات دون شعاع
يا رب سلـــم عن رداها النفس ... رُدَ شتات أمـــرِ لاجتمـــاع
أفرُ إليك منـك أخاف بأســك ... خـوف ظبـي مـــن سبـــاع
إياك يا رحمـــن أعبـــد أستعين ... بخالق الأبصـــار والأسمـاع
وإليك أشكو القاعدين عن النفير ... لفكَ عانٍ ضـــاق بالأوجـــاع
يتنكبـــون سبيل رســـول الله ... والأصحاب مع زعـــم اتبـا
وضعوا السلاح أذالوا الخيل ... والوا أهل كفـــر وابـــداع
هم يا إلهي يزعمون الحق في ... جهلٍ تخرب عـــجّ بالأتبـــاع
هم تناسوا يوم يأتي الظالمون ... وهم فرادى دون حل أو دفـاع
يا رب فاجعلني حسامًا لا يئنّ ... بجفنه يوم الوغي عند التداعي
وأغفر الزلات منـــي واجعـل ... الفـــردوس دارًا لارتجاعـــي
راجيًا عفوًا كريمًا مـــن لدنـك ... إذا أتـــاها المـــوت ساعـــي

فرسائل المرضى تدمي القلب، وما من مجيب لحالهم ولصرخاتهم وآهاتهم. فلم أجد إلا أن أقول: لا تدع اليأس يستولي عليك مع علمي اليقين أنك لا تيأس، وانظر إلى حيث تشرق الشمس كل فجر جديد، وتعلم الدرس الذي أراد الله للناس أن يتعلموه، أن الغروب لا يحول دون الشروق مرة أخرى في كل صباح جديد.

رسائل الأصدقاء

﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67]

عندما يعيش الإنسان مع أخيه الإنسان، يراه على مدار الساعة، يعرفه حق المعرفة، يشاركه أفراحه، وأتراحه، وسعادته، وأوجاعه، يضحي كل منهم من أجل أخيه، تنشأ علاقة صداقة، وأخوة، ومحبة، كالعائلة تمامًا، رغم كثرة الخلافات التي تنشأ بين الأصدقاء، حتى يكفر البعض بهذه المعاني، لكن الصديق يظهر وقت الضيق لا يسلم أخاه، ولا يخذله، ولا يظلمه.

ففي يوم من الأيام اتهمت بمحاولة لتجنيد إحدى السجانات، من أجل العمل معنا، وتهريب أجهزة محمولة، وقدمت هذه السجانة ضدي شكوى، ولم يثبت عليّ شيء بفضل الإخوة الذين وقفوا ودافعوا بكل شراسة، وأخرجوني من القضية، واقتصر الأمر على نقلي. رآني أخي وأستاذي أبو القاسم، الذي كان عندي، وانتقل هو الآخر فكتب إليّ مواسيًا، وناصحًا، ومازحًا كعادته، فكان مما كتب:

الحمد لله وكفى: الأخ الحبيب عمار: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحياتي الحارة لروحك الطاهرة: كيف حالك؟ وما هي أخبارك؟ إن شاء الله تكون بخير ومرتاح البال، منذ أن فارقتُ قسم (13) وأنا أهتمُ بكتابة رسالة لك، لكن لا يشغلني عن ذلك إلا شاغل: أنا مشتاق لك جدًا، وأنا متابع أخبارك، وعلمت أنك خرجت عامل «مردوان» وتفاجأت بسماع

صوتك من قسم (10)، بسبب ما حصل معك، أنا عارف إنك برئ.

والقطة تأكل عشاك! لكنك حية من تحت تبن ومش قليل! والصحيح العملية كانت بطولية ونوعية، والحمد لله ما صار عليها خلاف من الكتائب والسرايا؛ لأنكم تبنيتموها بسرعة.

طبعًا السجانة نقلوها من قسمكم عندنا، حتى لا تلتقوا ببعض، وأحد العمال مسح فيها الأرض من رأس الدور، والجميع حذر معها، المهم دير بالك على حالك، وعمر الشقي بقي لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين[1].

كيف أوضاعك في الكلية؟ إن شاء الله تكون موفقًا وأمورك تمام، وكيف صحة الوالد بعد قيامه بعملية الزواج الثانية؟ وسلم عليه وقل له جاي رمضان بلاش تتهور وكل عام وأنتم بألف خير، وحقيقة أنا مرتاح في قسم (11)، لكني في حنين للعودة لقسم (13)، بلغ تحياتي وسلاماتي لأبو يوسف الجعيدي وإياد أبو ناصر وإياد أبو هاشم ومحمد عرندس وبهاء القصاص.

لا تنساني من صالح دعواتك خاصة في رمضان، وخليك على تواصل، وخلينا نسمع صوتك دائمًا من الشباك، ودمت بعزٍ وود.

محبك في الله
أحمد محمد العثامنة «أبو القاسم»
08/ 08/ 2010م
نفحة قسم (11)

(1) الحمد لله لدغت بعد سنوات، وتم زيادة حكمي بثلاث سنوات ونصف.

أبنائي الأحبة: فكم نفتقر لهكذا أصدقاء في هذا الزمان! فالكل يتذمر ويلقي اللوم على الدنيا، أو على الناس، أمَا سألت نفسك أين موقعك أنت؟ هل لك أصدقاء؟ هل أنت صديق وفي؟ هل أنت مخلص؟ هل تقف بجوار صديقك في محنته؟ فيا عزيزي لو بدأت بنفسك، وكنت أنت فعلًا، صديقًا، وفيًا، مخلصًا، فستكون الدنيا بخير، وستجد أن هذه العملة فائضة، بعد أن كانت نادرة، فالصديق من صدق، والصديق من أوفى وأخلص، وساعد وأعان، ولا تنكر أن هناك خللًا في معاني الصداقة والأخوة، لكن لو كل واحد بدأ بنفسه، وترك لغة المصالح والأنانية، فستنتهي هذه المشكلة.

فمن مشاكل السجن وقهره أنك لا تستطيع أن تساعد صديقك في الخارج، ففي يوم من أيام السجن العصيبة، وقع أعز أصدقائي في مشكلة، ظلم فيها أيما ظلم، دون أن يجد نصيرًا، وتركه الصديق قبل الغريب، والقريب قبل البعيد، وهنا ظهرت العملة النادرة، وأظهر الله الحق على أيديها، ولم يكن بوسعي إلا أن أكتب له تلك الكلمات، لعلها تواسي أو تخفف عني قبل أن تخفف عنه، فقلت له:

بعد التحية والسلام، صديقي الحبيب: ما أصعب أن تسجل قديسة على ذمة فاجر، وما أقسى أن ترمي مريم العذراء بما ليس فيها، لقد عرفتك أخي وفيك ملامح جيل العقيدة المنشود، الذي يحيل الضعف إلى قوة، والهزيمة إلى نصر، والغياب الذي تعيشه الأمة إلى حضور، الجيل الذي يدفع الأخطار باقتحامها، الجيل الذي يتحمل الصعاب، الجيل الذي يستوعب الصدمات، الجيل الذي يعطي أكثر مما يأخذ، لا أقول

ذلـك إطـراءً في غـير موضعـه، لا والله، بـل رأيـت فيـك العقـل المسـتنير، والإيـمان الراسـخ، والإخـلاص الواضـح والحرقـة التـي تتفاعـل فتسـبق الانطـلاق، والعمـل والعزيمـة التـي لا تعـرف الفتـور أو التراجـع أو الجبـن، والاسـتعلاء عـلى مواطـن الذلـة والوهـن، والغضـب لديـن الله، والصدقـة التـي تقدمهـا بتلـك الابتسـامة المرسـومة عـلى محيـاك، فتوزعهـا عـلى الفقـراء والمساكين، وإني لأرجـو أن يكـون مـا ذكـرت، دافعًـا لـك للثبـات عـلى الحـق، في زمـن لم يعـد فيـه للثبـات ركـب.

أعانـك الله يـا أخـي عـلى هـذا الواقـع الـذي لا يعـرف إلا الظلـم والطعن والحسـد، هـذا الواقـع المـليء بالأمـراض التـي تحتـاج لمـن يعالـج، أعلـم أخـي الحبيـب أن يـوم المظلـوم عـلى الظـالم، أشـد مـن يـوم الظـالم عـلى المظلـوم، وأعلـم أن دعـاء المظلـوم ليـس بينـه وبـين الله حجـاب، فـإذا دعـوت الله فـلا تنسـني مـن صالـح دعائك.

إخلاصًا لذكرى العذابات والأشواق التي عشناها معًا، محبك عمار.

آهٍ أيتهـا الأخـوة! كـم أسـاء البعـض فهمـك! وكـم أسـاء آخـرون اسـتعمالك! وكـم أسـاء مدعـوك إلى أصحابـك الحقيقيـين! علمنـا السـجن أن مـن أحبـك في عـسرك ويـسرك! دون أن ينتظـر منـك معروفًـا، واحتملـك في غضبـك وسرورك، وتعاهـدك بالنصيحـة والصـدق فذلـك هـو الأخ الصديـق الـذي هـو أنـدر مـا يكـون، فالصديـق مـن صَدقـك وليـس مـن صدّقـك.

لا تنتظر الكمال من الأصدقاء، فمن طلب أخًا بغير عيب بقي بلا أخ.

ولدي الحبيب: نحن البشر نتصف بصفة النقص لا الكمال، وصيتي لك لا تتسرع باختيار أصدقائك، تروَ وتمهل، وفكر كثيرًا وكثيرًا وجرب، اختر العاقل الرزين المتعلم، الشجاع الذكي، وقبل ذلك المؤمن، الخلوق، المخلص، الصدوق، الوفي، صادق الوعد، المُنصف، واعلم أن خير صديق من إذا ذُكرت أعانك، وإذا نَسيت ذكرك، والمرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل.

ولا خير في خل يخون خليله ... يلقاه من بعد المودة بالجفا
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها ... صديق صدوق صادق الوعد منصفا

شعارات

إيمان، وعي، ثورة

والدي الحبيب: كلمات نقولها كثيرًا ونكتبها أكثر ونقرأها في الكتب والبيانات، فماذا نعني بهذه الكلمات؟ أعتقد وحسب فهمي وهذا شيء نسبي أن الناس اختلفوا حول هذه الكلمات، فمنهم من يفهمها كما يفهمها أي شخص عادى، وهم الأغلبية، ومنهم من يفكر فيها، ويتعمق أكثر وأكثرهم القلة، ففي البداية أظن أن قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ﴾ [البينة: 5]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، العبادة نعرفها بمعناها السطحي، ولكن لو تمعنت قليلًا، لوجدت أن من معانى العبادة أيضًا الإيمان والالتزام والإخلاص، فالله خلقنا لكى نفعل المطلوب منا، ونعبد الطريق لنسير على ما أمر، والإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، والإيمان هو الاعتقاد الجازم الذى لا شك فيه، مثلًا الاعتقاد الجازم بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر وأسماء الله وصفاته، وهى صفات أطلقها على نفسه، وألزم بها عباده ليختلفوا بها، لذلك الإيمان الحقيقي يتطلب الالتزام بالأوامر، وهذا يدفع الإنسان إلى الأمام، فيجب أن تكون المقدمات التي يبني عليها الإنسان نتائجه صحيحة؛ لأن المقدمات الصحيحة تؤدي إلى نتائج صحيحة، والمقدمات الخاطئة تؤدى إلى نتائج خاطئة[1].

(1) لكل قاعدة شواذ، وللاستفادة ببساطة أكثر تستطيع الرجوع للعقيدة الوسطية أو الطحاوية.

لذلك كان الوعي الذي لا ينفك عن الإيمان لكي تكون النتائج صحيحة، فالإيمان مع الوعي، يؤدي إلى الاصطدام والمواجهة مع الخطأ، قذائف حق في صدر الباطل.

أما الإيمان بالقضاء والقدر، فيدفعنا إلى التفريق أولًا بين القضاء والقدر، فالإنسان في القضاء ليس مخيرًا، أما في القدر فهو مخير، لأن القضاء هو قرارات وأحكام صفتها الثبات على الرأي الأرجح، أما القدر فهو الصفات والآليات واستجاباتها التي وضعت بالأشياء المادية والمعنوية وغيرها، وهذه صفتها التغيير؛ لذلك قالوا للأمر الواحد قضاء واحد ومجموعة أقدار، أما الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر فهي أول ما ندرسها ونتعلمها في المدارس والجامعات، ومن لم يتعلمها فهو يشعر بها بفطرته دون أن يستطيع أن يميز بين واحدة وأخرى كإيمان العجائز، وكتب العقائد مليئة بهذه الآراء، ومنهم من يتشدد، ومنهم من يتوسط، حتى تصل الفلسفة والشذوذ أحيانًا.

أما الوعي: فهو من الوعاء، أي أن تتسع وتستوعب وتحيط وتلم بالشيء كاملًا.

والوعي هو قدرة الفرد الذاتية على استيعاب مكونات الموضوع، مع قدرة الحركة الذهنية على التعاطي والانتقال في الزمان دون قيود الزمان، والتحرك للأمام والخلف دون التقيد بالزمن.

وبمعنى آخر هو القدرة الذاتية على الإحاطة بالموضوع دون إعاقات الزمان والمكان مشترطة بالقدرات الذهنية، إذن يتبين لنا أن الوعي له

عدة جوانب منها الجانب الذاتي، والجانب الموضوعي، والجانب الزمنى والجانب المكاني، أما الجانب الذاتي فهو الذي فيه الأنا الفردية التي يحقق فيها الشخص مصالحه الخاصة.

والأنا الصغرى: وهي ما تتعلق بتحقيق المنافع والغايات الآنية الحسية كالعمل اليومي لكسب الرزق والزواج.

والأنا الجمعية: وهي تحقيق منافع وغايات الجموع الذين مثلتهم، أي المصالح المشتركة مع الجماعة التي أنتمي لها.

أما الزماني: فهو الحاضر والماضي والمستقبل، والصغير والكبير، ويشمل الذاتي والموضوع وكل المتعلقات، وهو ما يساوى التاريخ.

أما المكاني: فهو المحتوى الجغرافي للأنا عن مقعد، غرفة، قارة، عالم، كون، حسب مكان الأنا، لذلك كله جمع الإيمان مع الوعي الذي يأتي بالتغيير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، فهو تغيير الفرد والجموع، ولكن يجب أن أقتنع وأن أعي أولًا أن هناك خللًا أو شيئًا يجب أن يتغير، وحسب قدرة الشخص على الإحاطة عن وعى فسيكون التغيير كليًا وليس جزئيًا، بمعنى آخر حسب وعيك، يكون تغييرك الذي يأتي عن طريق الثورة على هذا الشيء.

فقبل أن تكون هناك ثورة، يكون اكتشاف للخلل، ثم امتلاك إرادة التغيير، ثم السعي إلى التغيير، هذه المقدمات تؤدي إلى نتيجة اسمها الثورة، فلا يمكن اكتشاف الخطأ إلا بعد الإيمان والوعي، فلا تقل لي ليس في

الإمكان أبدع مما كان، بل لابد من التفكير والاجتهاد، وهذه غزة هاشم، أكبر دليل أمامك، كم شيئًا كنا لا نؤمن بحدوثه، لأنه لم يكن لدينا الوعي الكامل بجوانبه؟! ولكن عندما وجد الإيمان والوعي بكل الجوانب حصل ما لم نتوقعه ولا حتى في الأحلام، فصمدت في الحرب ثم أنجزت وتقدمت وهاجمت وأسرت، وضربت، فأوجعت، فانتصرت.

عند سماع كلمة ثورة فأول ما يتبادر إلى الذهن، السلاح والعنف والقوة وهذا الخطأ، مع أنه جزء من الثورة، فهناك ثورة محمد صلى الله وعليه وسلم وما جاءت به من تغيير، وإن كان البعض يرفض أن يسميها ثورة، وهناك ثورة الكتاب والشعراء والأدباء، وهناك ثورة العلم والعلماء، وهناك ثورة الصناعة والتكنولوجيا، وهناك ثورة السلاح.

فحديثًا كانت الثورة الجزائرية، التي انتصرت بعد سبع سنوات وذلك عام 1962م، وفي عام 1965م سيطر الضباط على رؤوس الأموال، وبعد موت بومدين 1978م، كانت ديون الجزائر حوالي 69 مليار وخرجت مظاهرات الخبز، وسقط 500 متظاهر بالرصاص الذي عرف بحمام الدم، فالنتيجة كانت الفشل والرجوع للخلف بسبب قلة الوعي.

والثورة الإيرانية 1979م التي لم تستخدم السلاح، وبدأ العمل الثوري على عقول الناس منذ دخول جمال الدين الأفغاني[1] إيران، والتقائه

(1) جمال الدين الأفغاني: (1838-1897م)، أحد الأعلام البارزين في النهضة الإسلامية، أفغاني الأصل، كان مهتمًا بالوحدة الإسلامية ومواجهة الخطر الغربي، رحل وتنقل بين أفغانستان ومصر والهند وإيران.

بآية الله الطالقاني[1] إلى علي شريعتي[2] وغيرهم من المشايخ والمفكرين ورجال الدين، وكان المجتمع على مستوى عال من العلم، وجاء الخميني وأعاد مفهوم الإيمان للناس، ثم طلب منهم الخروج للشوارع بمظاهرات مليونية، وعرفت بثورة الكاسيت، أو ثورة الورود حين ألقى المتظاهرون الورود على الجيش بدل السلاح، فانهار الجيش وانضم إلى المتظاهرين بعد أن قتل حوالى 1200 متظاهر، النتيجة كانت النجاح؛ لأنها بنيت على الإيمان والوعى، بغض النظر عن هذا الإيمان وصحته من بطلانه عند أهل السنة، هذه الثورة التي لم يعِ أهميتها إلا الأنظمة العربية وبعض المفكرين الذين سعوا لنشرها في الوطن العربي، أما الأنظمة فحرفت البوصلة وأفرغت الثورة من مضمونها أمام شعوبها، وشنت حربًا طاحنة استمرت 8 سنوات قتل فيها ما يزيد عن مليون إنسان، وعندما لم يكن هناك منتصر، نشروا بين العامة من شعوبهم قضية السنة والشيعة، الكفر والإيمان.

والتاريخ مليء بالأحداث من ثورة القرامطة (حمدان القرمطي) ضد العباسيين، إلى ثورة الحشاشين (محمد الصباح) إلى ثورة الحسين، إلى ثورة العباسيين على بنى أمية ومنها الناجح والفاشل، نستطيع أن نقرأ ونستقى العبر، فالتغيير يجب أن يكون في الذات قبل أن يكون في الموضوع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، وكما قيل عقل بارد وقلب دافئ، عندها سيعاديك التخلف الموجود، فعلمك أن تتعامل بصبر

(1) آية الله محمود الطالقاني: عالم دين شيعي وسياسي إيراني، أحد أبرز رموز الثورة الإيرانية أمضى 15 عامًا في السجون، وتوفى بعد أشهر من انتصار الثورة، لقبه الخميني أبا ذر الغفاري للثورة الإسلامية.

(2) علي شريعتي: مفكر إيراني إسلامي شيعي (1958-1977م)، يعتبر ملهم الثورة الإيرانية، قُتل قبل الثورة الإيرانية بعامين في لندن، ودفن في مقام السيدة زينب في دمشق.

وعدم الخوف أو الجبن، واكتساب الخبرة والعبر من الأمم السابقة بغض النظر إن كانت مسلمة أم كافرة، مسيحية أم بوذية، مؤمنة أم ملحدة، فخذ ما يناسبك، ويناسب دينك وعاداتك وتقاليدك وأخلاقك ومجتمعك، واترك ما لا يناسبك، ولا تبدأ من الصفر، لكن أكمل حيث وصل الآخرون، والحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أولى بها.

الشرف والعار

قالوا: من فقد شرفه لم يبق لديه ما يفقده، وقالوا: النار ولا العار والشرف عكس العار، وهذه الأيام يكثر قتل البنات بحجة كلمة شرف، وجلب العار، وأصبحت الصحف والمجلات ونشرات الأخبار تعج بهذه الأخبار تسميها جريمة، وهي فعلًا جريمة، لكن يضاف إليها شرف فتصبح جريمة شرف، فماذا يعنى الشرف؟!

الشرف: يعنى التعبير عن قيم الفرد أو كل شيء نبيل في الفرد أو المجتمع، وموضوع الشرف هو موضوع متباين من مجتمع لآخر، لكن أغلب المجتمعات تتعامل مع الشرف بأنه العرض وتحصره بالمرأة دون الرجل، حتى الحب يعتبر مسًا بالعرض؛ لأنه ليس من عادات وتقاليد المجتمع العربي الإسلامي وإن كان موجودًا وبكثرة. أما العار فهو عكس ذلك تمامًا.

وبعد هذه المقدمة أتساءل لماذا تقتل الفتاة؟! فلو اعتبرنا أنها قتلت على حق، أي أنها قامت بكبيرة، وتوفر أربعة شهود، حسب الشرع وأعدمت حسب الشرع، وليس حسب الأعراف، فمن باب أولى محاسبة الأب الذي أنجب ولم يربِ، والأم التي تقضى وقتها على شاشات التلفزة، أو في الكلام الفارغ مع الجارات، والأخ الذي لا يدخل البيت إلا للنوم والأكل والشرب وقضاء الحاجة، وابن العم الذي يرى ويسمع الإشاعات،

ولا يتدخل، وعند الواقعة يكون أول المتبرعين لغسل هذا العار! والجار الذي لم يرشد أو ينصح، والكل يتعامل مع هذه الفتاة كعبدة عنده، هذا بالعموم والأصل أن تكون هذه الحالات شاذة في المجتمع، فالأصل أن يعطى البيت للبنت كل الحب والاحترام والتقدير والعطف والحنان، لكن هذه القاعدة أصبحت هي الشاذة، والشاذ أصبح هو القاعدة.

فما العلاج؟!

أولًا: تربية، إسلامية، صحيحة داخل البيت بداية باهتمام الوالدين بأبنائهم، وبعطف الأخ على أخته وحبها واحترامها وتقديرها.

ثانيًا: التربية من خلال مؤسسات التعليم، بضغط وتوجيه من لجان الآباء أو الأمهات في المدارس، بإجبار المدرسة أن تخصص حصصًا أسبوعية، وشهرية لهذه المواضيع.

ثالثًا: نشر التوعية بالأخلاق والحرام والحلال ببث الندوات في كافة وسائل الإعلام، وهنا الطامة الكبرى؛ لأن أغلب ما وصل إليه حالنا هو من وسائل الإعلام التي تعمل على مسح وتشويه أهداف الإنسان، بما تبثه من برامج كـ «ستار أكاديمي» الذى أعتبره اختراقًا لكل المحرمات، وتزينها على أنها حلال، وعروض الأزياء التي تدعي نشر الموضة ومواكبة العصر، وحقيقتها نشر الاستعباد للجسد وللصور وللكاميرا وللشهوة الفاحشة، وبرامج ومسلسلات وأفلام أو ما يسمى بالفن الهابط الذي يعمل على تدمير القيم وتذويب الحدود الفاصلة بين الحلال والحرام، كأن يوحى للمشاهد أن السكر والقتل والسرقة والزنى مباحات، وأن الغاية تبرر

الوسيلة كالحصول على المال بأي طريقة حتى لو كانت تجارة المخدرات، كل هذه الكبائر يظن المشاهد أنها شيء طبيعي وعادي وحلال.

وبالتالي عدنا إلى النقطة الأولى وهي البيت أي الأسرة، فلا يعقل ترك الأبناء أمام شاشات التلفزة وشاشات الكمبيوتر والأجهزة المحمولة دون رقيب أو عتيد، دون أن نوضح لهم القيم والمبادئ، المسموح والممنوع، الحلال والحرام وذلك منذ الصغر؛ لأن من شب على شيء شاب عليه، فإذا تعلم الطفل القيم منذ نعومة أظفاره، ومع حليب أمه فمهما حاد عن الطريق في سن المراهقة، فلن يصل به الأمر لانتهاك حدود الله، بارتكاب إحدى الكبائر، فممكن أن تحب الفتاة، لكن ليس من الممكن أن تزنى، ولا يمكن أن يتلاعب أحد بعقلها؛ لأن ذلك مزروع في ذاكرتها منذ ميلادها أن هذا ممنوع، وخط أحمر، حتى لو لم تعرف شيئًا اسمه حلال أو حرام، ومهما حاد الشاب عن الطريق فلن يكذب ولن يسرق ولن يزنى ولن يشرب الخمر، حتى لو لم يعرف الصلاة والصيام وطريق المساجد؛ لأن هذه أسس ومبادئ زرعت في رأسه ونمت وترعرعت معه بأنها ممنوعة، فلن يمارسها رغم كل المغريات وسيبقى في إطار العلم دون ارتكاب الحدود، أما من يرتكب الحدود ستجدهم من أندر ما يكون، ولقد اختصر الشيخ الداعية عماد حمتو[1] الأمر بأن هناك ثلاثة أسباب لانتشار الفاحشة، وهي نفسها تتضمن العلاج عن وجهها الآخر:

(1) غياب الوازع الديني والرقابة الذاتية للفرد نفسه. وهو أهم شيء في العلاج فمع التقدم التكنولوجي لا يمكن مراقبة الطفل أو تخويفه،

(1) وذلك في برنامجه على إذاعة صوت القدس من غزة.

فـإن لم يتـم زرع الرقابـة الذاتيـة والـوازع الدينـي كان الفنـاء الدنيـا والهـلاك.

(2) غياب رقابة الأهل والرقابة المدرسة والجامعة... إلخ.

(3) غياب الرادع القانوني ودور الشرطة والمؤسسة الأمنية.

أي بنـي: عرفـت فالـزم، علمـت فطبـق، فـإن مشـكلة الأمـة أنهـا لا تعلـم وإن علمـت لا تطبـق، **أيهـا الفتـى**: كـن حنونًـا، عطوفًـا، رحيـمًا، محبًـا لأختـك، فإنهـا إن لم تجـد هـذه المعـاني في بيتهـا، فسـتبحث عنهـا في بيـت الجـيران، ثـم في الشـارع والمدرسـة، وسـتبقى كذلـك إلى أن تجدهـا.

حقوق المسلم

أعزائي الكرام: من البديهي والطبيعي، والأكثر من عادي أن يكون الإنسان إيجابيًا بكل المعاني، خاصة في تعامله مع الآخرين، أو هكذا المفروض أن تكون غالبية الناس، لكن مع الأسف الحقيقة هي العكس، فكم من محب، وكم من وفي، وكم من مخلص، متسامح حافظ لأخيه في ظهر الغيب، لطيف، حسن الكلام؟! وأظنهم قلة، أما عكس هؤلاء فلا يستحقون الذكر.

ما يهمني هو أنه عندما أكره فعلًا أو قولًا من أحد، فعلى الأقل أبذل جهدي ألا أكون مثله، فإن كان كاذبًا، فأبذل جهدي أن أكون صادقًا، وإذا سبني أو شتمني أو أخطأ بحقي أحد أن أنسى وأسامح ولا أتشدد وأنعت، فكما قالوا كبّرها بتكبر وصغّرها بتصغر؛ لأن ممن لا يسامح، سيأتيه اليوم الذي يقع فيه في حبال من هو أسوأ منه، فعش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، وأعمل ما شئت فإنك مجزي به، وكما تدين تدان كما جاء في الأحاديث.

فمن حقوق المسلم على المسلم التي يجب أن يتحلى بها كل إنسان عادي أن يسلم على أخيه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويشهد جنازته إذا مات، ويبر قسمه إذا أقسم عليه، وينصح له إذا استنصحه، وأن يحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنه، وأن يحب

لـه مـا يحـب لنفسـه، ويكـره لـه مـا يكـره لنفسـه، وألا يؤذيـه ولـو بنظـرة، وأن لا يهجـره فـوق ثـلاث، وأن يسـتره؛ لأن مـن سـتر مسـلمًا سـتره الله في الدنيـا والآخـرة، وأن يخفـض لـه الجنـاح، وأن يفـي بالعهـد، ويصدقـه الحديـث، وأن يـؤدي أمانتـه ويـترك الخيانـة. وهنـاك الكثـير مـن المعـاني الجميلـة التـي نـص عليهـا القـرآن الكريـم، وذكـرت في الأحاديـث النبويـة الشريفـة الصحيحـة، وغالبيتهـا نحفظهـا. ونعـود لمشـكلة التطبيـق مـرة أخـرى، فهـل سـألتَ نفسـك بنـي يومًـا، هـل أنـا عنـدي هـذه الصفـات أم لا؟ إن أجبـت نفسـك بنعـم، فهـذا يعنـي العكـس أي لا شيء مـن هـذه الصفـات عنـدك؛ لأن الـرضى عـن النفـس أصـل كل خطيئـة، ثـم لـو افترضـت أن هـذه الصفـات هـي مـن أخلاقـي، فهـل جربـت نفسـك يومًـا عندمـا وقعـت في مشـكلة مـا؟ هـل سـامحت؟ وعفـوت؟ أم أنـك حقـدت وأسـأت. فـلا تغـتر بنفسـك، ولا تثـق بهـا، إلا بعـد أن تجربهـا، فراجـع حسـاباتك، وابحـث في دفاتـرك القديمـة، واسـأل نفسـك مـاذا فعلـت مـع فـلان عندمـا أخطـأ بحقـك، عندمـا سـابّك أو شـتمك.

ليـس مـن العيـب أن يراجـع الإنسـان نفسـه، ويتراجـع عـن خطئـه، لكـن التغيـير لا يكـون إلا بالاعـتراف بالخطـأ أولًا، والعيـب كل العيـب، أن يعتـبر الإنسـان نفسـه كامـلًا، ويبقـى مـصرًا عـلى خطئـه، بـل عـلى أخطائـه.

ولـدي: ابـدأ بنفسـك سـتعرف عندهـا طعـم السـعادة، التـي هـي بـين جنبيـك فـلا تبحـث عنهـا بعيـدًا، وافعـل الخـير والمعـروف في النـاس ستسـعد، وسـيبادلونك نفـس الفعـل، وكـما قيـل اصنـع المعـروف في أهلـه أو في غـير أهلـه، فـإن أصبـت أهلـه فهـم أهلـه، وإن لم تصـب أهلـه فانـت أهلُـه.

قف مع نفسك أمام المرآة، وتحدث معها قليلًا، وتوصل معها لحل، فألد أعدائك هي نفسك، فتصالح معها، لتصلحك مع الآخرين، والقرار لك فقرر قبل فوات الأوان، ولا تقف كثيرًا عند أخطاء ماضيك؛ لأنها ستحّول حاضرك جحيمًا ومستقبلك حطامًا، ويكفيك منها وقفة اعتبار، تعطيك دفعة جديدة في طريق الحق والصواب.

استمع إلى النصيحة قبل أن تتجاوزها إلى التجربة فتندم!

والسعيد من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه، فكن أنت السعيد!

الخيانة

في ذكرى أوسلو

بينما نحن جلوس في شهر رمضان، وبالتحديد عام 2008م، وإذا بالإعلاميين على شاشات التلفزة، يتحدثون عن اتفاق أوسلو، وموقعو الاتفاق في حينه، يحتفلون بهذه المناسبة، والكل يُدلي بدلوه، رغم أنهم هم بأنفسهم وبعد التوقيع بسويعات، قالوا: لقد وقعنا على 78 ٪ من أرض فلسطين، ولا نعد أبناءنا بالـ 20 ٪ المتبقية، وفعلًا هذا ما حدث، فلم يتبق شيء، فجلست أمام التلفاز وحاولت أن أفهم أو أن أستوعب شيئًا مما يقال، فلم أستطع، فكيف لخيانة واضحة، لا يختلف عليها اثنان، ولا ينتطح فيها عنزان، أن تسمى إنجازًا؛ لأنها لو كانت كذلك، لقلت لا بأس؛ لأنه من المؤلم أن الخيانة عندما تنجح، لا يجرؤ أحد على أن يسميها خيانة، فلو نجحت هذه الخيانة لسكت ولما تجرأت على نقدها، وقد قرأت يومًا مقولة للمناضل الشهيد صلاح خلف أبو إياد، قال: «أخشى أن تصبح الخيانة يومًا وجهة نظر»، وها هي اليوم فعلًا أصبحت الخيانة وجهة نظر.

ألم يأن لهؤلاء، وبعد أكثر من عشرين عامًا من التفاوض وأكثر من ستين عامًا من الاحتلال، والمقاومة ضد الاحتلال، ألم يحن الوقت بعد لنفهم أن هذه الحالة (التفاوض) هي حالة ميؤوس منها؟! ألم نصل بعد إلى قناعة بأن الدم إذا كان من العدو لا يُغسل إلا بالدم؟! وبعد هذه السنوات

من التجارب ألم نصل للخبرة التي تمكننا من معرفة هذا العدو؟!

تقف الكلمات عاجزة عن التعبير، لأن كل ما سأقول، الكل يعرفه ويقول أضعافه، لكن الدرس المستفاد أن أصحاب النفوذ لو اجتمعوا على أمر لا يعني أنهم على صواب.

يا أيها النائمون الغافلون، إن مثل الذي خان وطنه، وباع بلاده، وضحى بأهله، وأسر أبناءه، وكبّل مقاومته كمثل الذي يسرق من مال أبيه_ ليس لنفسه_ ليطعم اللصوص، والنتيجة فلا أبوه يسامحه، ولا اللص يكافئه، أم أن الاحتلال كافأ أحدًا، ولم يصلنا العلم بعد، فعهدنا بالاحتلال أنه لا يكافئ حتى من أنجزوا طلباته بحذافيرها.

أما لو أتينا لرأي الدين في الخيانة أيًا كان شكلها، فقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: 58]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج: 38]، وقال علي رضي الله عنه: «من ضيّع الأمانة، ورضى بالخيانة، فقد تبرأ من الديانة».

لله در الشاعر فاروق جويدة الذي وصف حال الأمة وسباتها ونومها وتخاذلها وخيانتها، فأجاد فقال:

شهداؤنا بين المقابر يهمسون

والله إنا قادمون

في الأرض ترتفع الأيادي

تنبُت الأصوات في صمت السكون

والله إنا راجعون

تتساقط الأحجار يرتفع الغبار

تضيء كالشمس العيون

والله إنا راجعون

شهداؤنا خرجوا من الأكفان

وانتفضوا صفوفًا، ثم راحوا يصرخون

عارٌ عليكم أيها المستسلمون

وطنٌ يُباع وأمةٌ تنساق قطعانا

وأنتم نائمون

شهداؤنا فوق المنابر يخطبون

قاموا إلى لبنان صلوا في كنائسها

وزاروا المسجد الأقصى

وطافوا في رحاب القدس

واقتحموا السجون

في كل شبر

من ثرى الوطن المكبل ينبتون

من كل ركن في ربوع الأمة الثكلى

أراهم يخرجونْ

شهداؤنا وسط المجازر يهتفونْ

الله أكبر منك يا زمن الجنونْ

الله أكبر منك يا زمن الجنونْ

الله أكبر منك يا زمن الجنونْ

****

شهداؤنا يتقدمونْ

أصواتهم تعلو على أسوار بيروت الحزينة

في الشوارع في المفارق يهدرونْ

إني أراهم في الظلام يُحاربونْ

رغم انكسار الضوء

في الوطن المكبل بالمهانة

والدمامة.. والمجون

والله إنا عائدون

أكفاننا ستُضيء يومًا في رحاب القدسِ

سوف تعود تقتحم المعاقل والحصونْ

****

شهداؤنا في كل شبر يصرخونْ

يا أيها المتنطعونْ

كيف ارتضيتم أن ينام الذئب

في وسط القطيع وتأمنونْ؟

وطن بعرْض الكون يُعرض في المزاد

وطعمة الجرذان

في الوطن الجريح يتاجرون

أحياؤنا الموتى على الشاشات

في صخب النهاية يسكرون

من أجهض الوطن العريق

وكبل الأحلام في كل العيون

يا أيها المتشرذمون

سنخلص الموتى من الأحياء

من سفه الزمان العابث المجنون

والله إنا قادمون

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)

****

شهداؤنا في كل شبر

في البلاد يزمجرونْ

جاءوا صفوفًا يسألونْ

يا أيها الأحياء ماذا تفعلونْ

في كل يوم كالقطيع على المذابح تصلبونْ

تتنازلون على جناح الليل

كالفئران سرًّا للذئاب تهرولونْ

وأمام أمريكا

تُقام صلاتكم فتسبحونْ

وتطوف أعينكم على الدولارِ

فوق ربوعه الخضراء يبكي الساجدونْ

صور على الشاشاتِ

جرذان تصافح بعضها

والناس من ألم الفجيعة يضحكونْ

في صورتين تُباع أوطان، وتسقط أمةٌ

ورؤوسكم تحت النعالِ، وتركعونْ

في صورتين

تُسلَّم القدس العريقة للذئاب

ويسكر المتآمرون

****

شهداؤنا في كل شبر يصرخونْ

بيروت تسبح في الدماء وفوقها

الطاغوت يهدر في جنونْ

بيروت تسألكم أليس لعرضها

حق عليكم؟ أين فر الرافضونْ؟

وأين غاب البائعونْ؟

وأين راح.. الهاربونْ؟

الصامتون، الغافلون، الكاذبونْ

صمتوا جميعًا

والرصاص الآن يخترق العيونْ

وإذا سألت سمعتَهم يتصايحونْ

هذا الزمان زمانهم

في كل شيء في الورى يتحكمونْ

****

لا تسرعوا في موكب البيع الرخيص فإنكم

في كل شيء خاسرونْ

لن يترك الطوفان شيئًا كلكمْ

في اليم يومًا غارقون

تجرون خلف الموتِ

والنخَّاس يجري خلفكم

وغدًا بأسواق النخاسة تُعرضونْ

لن يرحم التاريخ يومًا

من يفرِّط أو يخونْ

كهاننا يترنحونْ

فوق الكراسي هائمونْ

في نشوة السلطان والطغيانِ

راحوا يسكرونْ

وشعوبنا ارتاحت ونامتْ

في غيابات السجونْ

نام الجميع وكلهم يتثاءبونْ

فمتى يفيق النائمونْ؟

متى يفيق النائمون؟

الرجولة

من المفاهيم الخاطئة في هذا الزمن، مفهوم الرجولة، وهذا الخطأ متأصل في الإنسان منذ القدم؛ لأن الإنسان يحمله منذ طفولته، فالخلل منذ البداية، من الطفولة، وكبر هذا الخطأ؛ لأن الإنسان تربى ونشأ على التربية التي تفرق بين الذكر والأنثى، فالذكر تربى ونشأ على التربية التي تفرق بين الذكر والأنثى، فالذكر تربى ونشأ على خشونة، وحب السيطرة، والعنف، والقوة... إلخ، والأنثى تربت على النعومة وثقافة العيب المبالغ فيه والتستر، والعار الذي لا يأتي إلا منها وأن كل شيء يعيبها، بعكس الذكر الذي لا يعيبه شيء؛ لذلك أصبحت المجتمعات مجتمعات ذكورية، يبنى فيها الذكر ذاته على حساب طمس شخصية المرأة، حتى وصل الحال إلى أن تجد الذكر منذ الطفولة مسيطرًا على أخته التي تكبره سنًا وعقلًا وإدراكًا، ثم على زوجته فبناته، وهكذا، أما البنت فكأنها خلقت لتكون خادمة وعبدة عند أخيها ووالدها ثم زوجها وأبنائها «أو كما يقولون _خطأ_ خلقت المرأة للبيت، ولا أرى ذلك إلا من الجاهلية الأولى، التي يلصقونها بالدين والدين منها براء حتى وصل بهم الحال إلى أن يصدق الذكر نفسه، أنه رجل لا يعيبه شيء»، فأصبح يتحدى ويتعدى الخطوط الدينية، فيرتكب الكبائر، وينتهك ويتعدى الخطوط العائلية والاجتماعية وعاداته، وتقاليده، فيتمرد على كل هذا، دون حسيب أو رقيب _إلا من رحم ربي من الذكور_، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل وصل الأمر

إلى أن يعتقد الذكر أنه إذا تزوج وأنجب فقد صار رجلًا، أي اقتصر معنى الرجولة عندهم على مقدرة الرجل، واستطاعته ممارسة العلاقات الجنسية، بغض النظر أكانت محرمة أم بالحلال، فإذا استطاع فهو رجل، وإلا فهو أقل من ذلك، ونسي هذا الذكر، أن الحيوانات تمارس العلاقات الجنسية وتنجب أضعاف ما ينجب الإنسان.

فيا عزيزي الذكر قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب: 23]، وقال سبحانه: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: 37].

وهنا جدد أنهم رجال، وهذه صفات الرجال، ولم يقل ذكور؛ لأنه ليس كل رجل ذكرًا، ولا كل ذكر رجل، فكم من امرأة نلقبها بأنها «رجالية» ليس لشكلها أو جمالها بل لأن أخلاقها أخلاق رجال ومبادئها مبادئ أبطال، فللرجال صفات معروفة، دينية واجتماعية، اكتسبها الفرد من عاداته وتقاليده ومجالسة الكبار والحكماء، فإن كانت فيك هذه الصفات فأنت رجل وان لم تكن فأنت ذكر.

فالذكر يتزوج وينجب، يريد أن يأتي إلى هذه الدنيا بمن يحمل اسمه، ويخلد ذكره.

فيا عزيزي كل يوم يولد الملايين، ويموت الملايين، ولا أحد يعلم بهم، فليس المهم من أنت حين تولد، ولكن المهم من أنت حين تموت، فابنك لا يحمل أسماءهم ولا نسبهم ولا أبناءهم، بل كثير من العلماء لم

يكونوا متزوجين أصلًا، والشهداء والعظماء والكتاب والمفكرون والمبدعون الذين عاشوا وماتوا من أجل فكرة، وما زالوا مخلدين بأفكارهم الخالدة.

فما الحل بعد كل هذا؟ أعتقد أن من ترعرع على هذه المبادئ فمن الصعب عليه أن يغير وسيجدها كبيرة على نفسه أن يعترف بخطئه، ويغير، ولكنه يستطيع أن يغير في معاملته للآخرين ويستطيع أن يربي أبناءه على غير ما تربى عليه، وأن يراجع نفسه في الرسائل التي كان يبثها إليه والداه، ويستطيع أن يربى أبناءه ويعطيهم من الاهتمام والمتابعة حسب قدراتهم لا حسب جنسهم.

قرر أن تغير فستتغير. حتى لو كان التغيير بطيئًا، قل لنفسك، بأنك قادر أن تغير وستتغير، وتذكر أن لا خير في قول بلا عمل، والرجل الرجل من إذا قال فعل، وإياك أن تنسى «من المؤمنين رجال»، تذكر قول القائل: المرء بفضيلته لا بفصيلته، المرء بكماله لا بجماله المرء بأدبه لا بثيابه.

الطعام

أي بنـي: كـم يطـول الغـزل في الطعـام وأصنافـه، وألوانـه، ومذاقـه، حتى فـاق غـزل الطعـام غـزل النسـاء، عـلى اعتبـار أن الرجـال تغلـب عليهـم صفـة المغازلـة، فـلا تـكاد تسـمع رجـلًا يقـول لـك كـم أحـترم النسـاء، وإن قالها لا يقولها إلا من باب الغريزة الجنسية، لكن كثيرًا ما تسمع من يقول: أحترم الطعام، لذلك يطبق على أرض الواقع، وقوله يطابق فعله، فيأكل بلا حسيب ولا رقيب وكأن احترام الطعام يكون بأكله حتى التخمة، ثم لكي يبرر هذه المصيبة، سرعان ما يسوق لها الأدلة، والبراهين وأي أدلة!؟ وأي براهين؟! دينية! وما هي دينية، إن هي إلا من وحي خيالنا، لكي نبرر هذا الخطأ، وهذا المرض، بل هي أكبر من مصيبة، لعواقبها الوخيمة، التي فاقت كل مصيبة.

اليوم في السادس من رمضان سمعت أحد العظماء في حوار متلفز يقول في إجابة عن سؤال: «كنت أيام الدراسة أفضل أن أشتري كتابًا على أن آكل وجبة طعام»، فقلت في نفسي: لذلك أنت في هذا المقام، فلم أسمع بعظيم كان يحب ويعشق الطعام والشراب، من آدم وحتى يومنا هذا.

بالتأكيد لكل قاعدة شواذ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه»، فكم أكرهك أيها الطعام، وكم أكره من يحبك، فلقد وجدت أن صفة البطنة ملاصقة للأنانية، والبخل، وسوء

الخلق، وشيء من الغباء، ولا أبالغ لو قلت بل كثير من الغباء، فقد قالوا في المثل: «البطنة تُذهب الفطنة»، وقالوا: «بطن كبير لا ينتج فكرًا ثاقبيًا»، وقال سقراط: «على المرء أن يأكل ليحيا، لا أن يحيا ليأكل»، ومن قبلهم قال صلى الله عليه وسلم: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع»، وقال علي رضي الله عنه: «بطن المرء عدوه»، وقال عمر رضي الله عنه: «إياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد، مورثة للسُقم».

فالأكل نصفه يقيت، ونصفه يميت، فكلما زاد الطعام زاد المرض، وكلما زاد المرض زاد القصور والتخلف، ستخدع نفسك وتعتبر أن الطعام مصدر القوة والصحة فلك ذلك، وسيأتيك يوم وتندم إذا لم تتعظ، فالسعيد من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه، وها هي النماذج من حولك، فكم من صريع فراشه بسبب طعامه الزائد؟! وكم من مريض بسبب كرش منتفخة؟! وكم من جسد مريض مُلقى على أسرة المستشفيات بسبب الطعام.

أبنائي الأحبة: إن كانت بكم تلك الصفة، فالإرادة أصل كل تغيير، بعد الاعتراف بالخطأ، ولأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يعلم الأنفس وضعفها، وانهيارها وعدم صمودها أمام شهوات كثيرة، منها شهوة البطن قال: «يحسب ابن أدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محاله، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»، لكننا ولله الحمد ندخل العكس تمامًا، بل اخترع عباقرتنا مقولة: «الأكل للريق، والماء تزريق، والهواء يدبر حاله»، أما إذا فشلت في التغيير يا بني، ولا أظنك ستفشل، فعلى الأقل كل بأدب واتبع هدى المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم حين قال: «يا غلام سم

الله، وكل بيمينك وكل مما يليك». واقنع بما قسم الله لك، ولا تطمع بما لم يقدره الله لك، وذكر نفسك بمواقف وأخلاق الرجال، فإن لم تنته فذكرها بسوء السمعة وكلام الناس، فإن لم تنته فاعلم أنه لا نفس لك ولا قلب، وأن عليك السلام، ولأن تكون في باطن الأرض أولى لك من أن تكون على ظاهرها، وقد آن الأوان لأن تستمتع وتتلذذ الديدان بجسدك الذي طالما تعبت على تسميده وأسف بل تسمينه لأجلها.

إياك أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصب فلم يكن لها هم إلا التسمين وإنما حتفها في السمن، تذكر قول الشافعي: «ما شبعت منذ سن عشر سنين؛ لأن الشبع يثقل البدن، ويقسى القلب، يزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة».

لا أعرف

من أجمل الكلمات وأخفها على اللسان نطقًا، وعلى الجسد عبئا وفعلًا، فإذا أراد الإنسان أن يريح نفسه من العناء، قال لا أعرف، هذا في إطار العمل، والفعل، والتعب، والجهد، كأن تقول لأخيك أو لأختك في المنزل، اصنع لنا شايًا سرعان ما يقول لا أعرف، أما في إطار الأشياء التي لا تحتاج إلا إلى الكلام فنادرًا ما تسمعها، بل تكاد تكون معدومة، فإذا سألت عن معلومة تاريخية أو جغرافية، أو عن تاريخ اليوم الميلادي أو الهجري، أو عن صناعة أو تجارة أو حتى عن أي شيء في الفضاء، أو الأرض، في عالم الأحياء أو الأموات... الخ، ستجد الإجابة بل الإجابات جاهزة، ويبدأ السيد بالحديث بدل الدقيقة دقائق وتنصت إليه، وتشنف آذانك، والأدهى والأمر أن المستمع يصدق الإجابة، فإذا ما ذهب وقرأ أو سأل أهل الاختصاص، ذهب كل ما سمع أدراج الرياح، وتستغرب كيف استطاع هذا السيد أن يركب، ويجمع الألفاظ والجُمل حتى كاد يقنعك بل أقنعك، وهناك ما هو أغرب من ذلك فعندما تعطى محاضرة مثلًا لطلاب جامعة بموضوع معين، وبعد انتهاء المحاضرة أو في اليوم التالي، تسأل سؤالًا فيما سبق، هنا تجد من يقول لا أعرف، خوفًا من الحرج، والأغلب لا يقولها بل يبقى صامتًا، والطالب الآخر الذي سيجيب فيعطى إجابة، لا علاقة لها لا بالموضوع، ولا بالمادة الدراسية، وهذا يثير دهشتك، فتسأله من علمك هذا؟ فيقول أنت! لتجد هنا أن الغباء مع الفهم المقلوب قد

اجتمعا، فالغباء هو عدم الفهم، أما الفهم المقلوب فلا أعرف له وصفًا، وهنا يحضرني قول الإمام الشافعي: «وكم من عائب قولًا صحيحًا وآفته من الفهم السقيم».

أحبائي الكرام: سئل نابليون[1] كيف حققت هذه الانتصارات بهؤلاء الجنود؟ قال: من قال لا أعرف قلت له: تعلم، ومن قال صعب قلت له: حاول، ومن قال مستحيل قلت له: جرب. لذلك يجب أن تتعلموا حتى ترتقوا بمستواكم المهني في حياتكم العملية، وقد كان سقراط يقول: «إني أعرف شيئًا واحدًا وهو أنى لا أعرف شيئًا». وكان الشافعي ـ رحمه الله ـ يقول:

كلما أدبني الدهـــــر	أراني نقص عقـــــــلي
وكلما ازددت علـــــمًا	زادني علمًا بجهــــــلي

وقال حكيم: يبقى المرء عالمًا إذا طلب العلم، فإن ظن أنه علم فقد جهل، لذلك علينا أن نتعلم كثيرًا لكي نفقه قليلًا، وأول درجة في سلم العلم هي أن نعرف بأننا لا نعرف، فإذا كان العلماء والحكماء يعترفون بنقص عقلهم وقلة معرفتهم، فما بالكم ـ أبنائي ـ بنا نحن بني الإنسان، العاديين أو العامة الذين نشكل الأغلبية على الكرة الأرضية.

---

(1) نابليون: ولد سنة 1769م في إحدى جزر فرنسا، عمل في الجيش الفرنسي، له العديد من الانتصارات على أوروبا حتى أصبح بطلًا وطنيًا عظيمًا، قاد حملة عل مصر سنة 1798م لطرد الإنجليز من ممتلكاتهم في الشرق والاستيلاء على طريق رأس الرجاء الصالح والعمل على فتح قناة السويس، فشلت الحملة بعد عدة سنوات، فعاد لفرنسا ليقود انقلابًا على السلطة، فأصبح إمبراطور فرنسا، وأكمل حروبه ضد بريطانيا والنمسا وروسيا التي هزم فيها نتيجة البرد ثم نفى ومات عن عمر يناهز 52 عامًا.

اعلموا أبنائي: أن العلم يقود إلى العمل، ولا يقود إلى القول أو الكلام الزائد والفارغ من محتواه، فالعلم إذا عُمل به يرقى، وإن لم يُعمل به كان الجهل أولى والخطأ منه أدنى.

أما على المستوى النظري -إن صح التعبير- أي على مستوى اللسان فهذا ما أوصانا به ديننا عندما قال صلى الله عليه وسلم: «من صمت نجا»، وقال: «أنت سالم ما سكتّ، فإن تكلمت فلك أو عليك»، وقال الإمام علي -رضي الله عنه-: «بكثرة الصمت تكون الهيبة»، وقيل: «العاقل من عقل لسانه، وكثرة الكلام تدل على ضعف العقل»، وقيل: «اللبيب لسانه وراء عقله أو قلبه والأحمق عقله وراء لسانه»، وقيل: من كثر لغطه كثر غلطه، المفخرة أن تقول لا أعرف، والمنقصة أن تعرف بما لا تعرف، واعلم أن كثرة الكلام لا تُورث إلا الخطأ والحرج والمذلة»، وقد كان صديق لي كثيرًا ما يردد: «في السكوت مسلمة»، وقد سئل الشافعي في مسألة فسكت، فقيل ألا تجيب؟ قال: «لا، حتى أنظر الخير في كلامي أم في سكوتي».

لذلك يا بني لا بد أن تعوَد نفسك على طول الصمت، وإعمال الفكر والعقل، ولك في كلمة لا أعرف فسحة، فهي الأطيب والأسهل والأحسن والأصوب، ومن قال لا أعرف فقد أفتى أي فقد أخذ أجر المفتي.

واعلم أن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، ونقصد بالعالِم هنا المتعلم الذي يفهم ويعقل ما يدور حوله، ومن هنا كان العالم أشد على الشيطان من ألف عابد.

ومن أجمل ما قرأت: العالم لا يتأثر بسبائك الذهب اللامعة ولا بسياط الجلاد اللاذعة، لماذا؟ لأنه بتمهل يستطيع أن يتدبر أمره في أحلك الظروف، فعود نفسك على كلمة لا أعرف وتعلم حتى تعرف.

كن عالمًا، ولا تكن جاهلًا، كن فاهمًا ذكيًا، ولا تكن غبيًا.

تعلم ممن تثق بعلمهم، تعلم من أستاذك، تعلم من طبيبك، تعلم من جدَك الخير بالحياة، وشئونها، فمن يكبُرك بيوم أعلم منك بسنة.

استمع للنصيحة، فقد قال حكيم: اثنان لا تخالف رأيهما أبدًا، الطبيب الجاد حين يعالجك، والحكيم المجرب حين ينصحك.

وتذكر دائمًا أن من قال أعرف فإنه لا يعرف ولن يعرف يومًا، ومن قال لا أعرف فإنه يعرف وسيزاد معرفة بل سيصبح عالمًا ذات يوم.

إذا أردت أن تتعلم وتعرف، فانظر إلى ما قيل ولا تنظر إلى من قال، فقد يتعلم المرء من عدوه أكثر مما يتعلم من صديقه.

وفى هذا المقام لا يسعني إلا أن أذكر بقول الخليل بن أحمد الفراهيدي، الرجال أربعة:

1. رجل يدري أنه يدري فذلك العالم فاسألوه.
2. رجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك الناسي ذكروه.
3. رجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك الجاهل فعلموه.
4. رجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك الأحمق فاجتنبوه.

وقد وردت أقوال مشابهه لسيدنا علي _رضي الله عنه_، فلا تكن أحمق واحذر من الأحمق.

نعم أخطأنا، هل يجرؤ أحد على قولها؟!

بما أن الصحف العربية داخل السجون تصل إلينا بعد أسابيع من تاريخ إصدارها فقد وصلتنا مؤخرًا صحيفة القدس وكان تاريخ إصدارها 01/ 01/ 2016م فكان أجمل انتقاد بنّاء قرأته للحركة الإسلامية بقلم الدكتور أحمد يوسف، والذي كان جريئًا في هذا المقال، فقد قالها فعلًا، نعم أخطأنا، فكان الله بعونه على ما سيلحقُه من أذى واتهامات باطلة من الكثيرين من أبناء الحركة الإسلامية، ومن كل من لا يجرؤ على قولها، ومن كل عقل قاصر، ومن كل متعصب متحزب، ومن كل متشدد متصلب، كل هذا ليس لشيء، بل لأنه تجرأ وقالها نعم أخطأنا، **فكانت هذه الكلمات المخطوطة بقلمه:**

إن من القضايا الملفتة للنظر أنه إذا تحدث البعض من قيادات الفصائل الوطنية أو الإسلامية، فدائمًا يلقي اللوم والعتب على غيره، ويعلق الخطأ على مشاجب الآخرين، ولا تسمع منه إلا كيل المديح للفصيل الذي ينتمي إليه، فهو الذي بادر وقدّم الاقتراحات للخروج من نفق الأزمة، وهو الذي ناضل في كل الساحات، وسجل من الإنجازات ما يجعله يتقدم الصفوف، ويحظى بتحقيق كل ما حلم به من ألقاب البطولة والمجد!

هذه اللغة السياسية الحزبية وجدت لها _ للأسف_ موطئ قدم في بلادنا وبين أهلينا ومنذ أن وقع الانقسام، والكثيرون يدّعون أنهم على

حق، أما الخطأ وما وقع من حماقات وخطايا فتحمله الآخرون، الذين هم جهة الخصومة والخلاف!

الإسلاميون والسياسة

من الأشياء التي نلاحظها هي لجوء بعض الإسلاميين إلى اعتماد لغة المزاج في السياسة، بعيدًا عن حسابات الرأي وأبعاده، ومخاطره وتداعياته، وبالتالي يفتح الباب لمُلاسنات الطرف الآخر ومناكفاته.

إن من المعروف في عالم السياسة هو توخي السياسيين الحذر في كل ما يقولون، واللجوء إلى الجمل والعبارات التي يمكن وصفها بأنها «حمّالة أوجه»، والابتعاد عن تشخيص المسائل السياسية العامة خارج سياق المحددات التي من المفترض أن يلتزم بمعالمها القادة والمتحدثون لوسائل الإعلام بكل فضاءاتها المختلفة، إذ لا يُعقل أن تسمع حول المسائل السياسية الواحدة عدة وجهات نظر متباينة، ولقيادات من نفس التنظيم، ولكن الفرق هو أن ذلك محسوب على تيار الصقور والآخر على جناح الحمائم!

في السياسة هناك ضوابط ومحددات، وعلى الكل القيادي الالتزام بها، للحفاظ على هيبة الحركة ومكانة التنظيم، ولكن _للأسف_ إن من بين القادة من تغلب عصبيته فيشطح في تصريحاته بعيدًا، أو تتغلب عنده لغة المزاج فيورد الحركة بأخطائه موارد الهلاك ويدخلها في ساحات المناكفة والخلاف.

مصطلحات ساقطة من القاموس الفلسطيني!

يقول د. غازي حمد، وكيل وزارة الخارجية بغزة، كنت مدهوشًا وأنا أشاهد الأستاذ الشيخ عبد الفتاح مورو على التلفاز وهو يقيّم تجربة حزب النهضة، حيث كان يتكلم وبدون تردد ويقول: «نعم أخطأنا، نحن قصرنا في جوانب عديدة ليس عيبًا أن نخرج من الحكومة، وأن نعيد تقييم أمورنا. التونسيون حاسبوا الحركة على أخطائها. قيادة النهضة لم تدرس متطلبات الحكم، لذا كان لدينا خطأ وسوء تقدير بسبب قلة الخبرة. الإسلاميون تأثروا بخروجهم من الحكم، ولم يستوعبوا أن النظام الديمقراطي يعني المغادرة بعد الدخول، وأنه ليس في كل مرة يجب أن تكون أنت في صدارة الحكم».

بلا شك إن هذه المصطلحات غائبة تمامًا عن القاموس الفلسطيني، لم يسبق أن سمعناها بهذه القوة والوضوح من أحد!

أما الشيخ عصام تليمة، أحد الرموز الإخوانية، والذي انتهت به الأحوال للإقامة في تركيا بعد انتكاسة الربيع العربي، فقد أوضح قائلًا: «إن من أهم خصائص النفس البشرية: الخطأ، وليس عيبًا أن نخطئ، لكن العيب الكبير أن نخطئ ولا نعترف بخطئنا ونعتذر عنه، ونعمل على معالجة ما ترتب عن هذا الخطأ».

لماذا أخفق الإسلاميون سياسيًا؟

في سياق عثرات الإسلاميين سياسيًا، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا لا تنجح الحركات الإسلامية _بشكل عام_ في مشهد الحكم

والسياسة؟ ولماذا تتراجع خطوط الكسب لديها من ناحية الشعبية، والقدرة على تحقيق وعودها في التغيير والإصلاح؟

لقد حاول الصديق العزيز د. منذر عبد اللطيف، الأكاديمي والمفكر الإسلامي، الإجابة عن هذا السؤال بصراحة قوية، كأن مبعثها خبرته القريبة بالإسلاميين، وفهمه لطبيعة الحركات الإسلامية التي عايشها لعقود، إضافة إلى الخبرة الشخصية والممارسة الفعلية، فأشار إلى عدد من السلوكيات التي لخصها في عشر نقاط مستفيضة، وقد قمنا باختيار خمس من بينها وهي كالآتي:

أولًا: الثقافة الفوقية: والتي تعني أن فلسفة تثقيف أبناء الحركة الإسلامية تقوم على أسس من الفوقية، وأنهم أساتذة العالم، وأن غيرهم يفتقد مقومات أساسية كثيرة وبذلك فهو يفتقد الحق في الحكم والقيادة، وعليه فمن الطبيعي أنه يستحق المعارضة من الحركة الإسلامية، وتفسير ما يصنع على أسس الريبة والشك، فإن أخطأ فهو استغلال المنصب والفساد بعينه، وإن أصاب فقد كان من الممكن أن يكون الإنجاز أكبر بكثير! وعلى خلاف ذلك، فإن من ينتمي إلى الحركة الإسلامية إنما يحفر في الصخر (أعانه الله) والصهيونية العالمية والصليبية الحاقدة تناصبه العداوة وتخطط ضده فإن أخطأ فهو معذور وله أجر، وإن أصاب فله أجران.

لا شك بأن هذه الثقافة الفوقية التي تربت عليها أجيال الحركة الإسلامية حالت بينهم وبين رؤية الخير في كثير من الأفراد والجماعات، فرسخت لدى أبنائها صفات التفرد والاستحواذ، وبذلك حرمتهم من

بناء جسور التواصل والتعاون والمشاركة واستبدالها بسدود من الحقد والكراهية والريبة، وبالرغم من وجود مساحات واسعة في آفاق التوافقات والعمل المشترك.

ثانيًا: الثقافة التبريرية: حيث إن الحركات الإسلامية تتميز بقدر غير معقول من القدرة على التبرير، فهي تبرر عداءها وتناقضها مع الحركات الأخرى على أسس دينية حينًا، وعلى أساس ضعف الأخيرة أحيانًا أخرى، أو الفساد الذي «يضرب أطنابه» والتجاوزات المنتشرة في جنباتها أو حتى لأسباب وطنية وأيديولوجية! المهم أنها لا تعدم الوسيلة لتبرير تناقضاتها ولديها من المصطلحات والمفردات ما يكفي ويزيد. وعلى الجانب الآخر فإن قدرتها التبريرية عالية للدفاع عن سياستها وممارساتها بل حتى عن أخطاء قيادتها؛ إذ إنها لا ترى في كل ما يجري على لسانها سوى الحق بعينه. لقد أوجدت الثقافة التبريرية لدى الحركات الإسلامية معالم جوهرية للتبرير، تتربع على عرشها «المؤامرة العالمية على الإسلام والحركات الإسلامية» مما يمنعها من الوصول إلى الحكم، وإن وصلت كانت لها بالمرصاد! وليس أصدق من التدليل على بطلان ذلك في فشل الحركات الإسلامية في التعايش مع شقيقاتها الأخرى أو زميلاتها من الحركات الوطنية أو حتى ذلك الفساد الظاهر في استغلال المنصب وتجاوز القانون، الذي لا يمكن أن تخطئه العين، عندما تصل بعض من تلك الحركات للحكم. إن استخدام مفهوم المؤامرة على الإسلام قد صنع من كل ما عدا الحركة الإسلامية بما في ذلك الحركات الإسلامية المختلفة معها كتلة كبيرة من الأعداء، الذين «يتفقون جميعًا على ضرورة إفشالها، وتنحيتها عن الحكم» أو أن تلك القوى تتحالف معًا لمنع وصولها إليه!!

ثالثًا: القفز في الهواء: ويعني ذلك عدم تقدير البيئات الداخلية والخارجية بالشكل الصحيح ونقصد بالبيئات الداخلية مجموعة العوامل الداخلية المؤثرة من الأحزاب والحركات والمؤسسات ذات الحضور، وأيضًا طبقات رجال الأعمال والنقابات، إضافة إلى الأجهزة الأمنية والقضائية، وأجهزة الدول الأخرى، التي تشكل عصب البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتي _إن توحدت_ يمكنها أن تتغلب على صندوق الانتخابات الذي هو آلية الوصول إلى الحكم، لكنه ليس الضامن لممارسته، أضف إلى ذلك الحاجة الملحة لبناء وتفعيل منظومة من القوانين والقيم الداعمة لتداول السلطات وتشكيل التحالفات ومنع التفرد والتسلط وإعلاء قيمة صندوق الاقتراع، وترسيخ مبادئ التعددية وحقوق الإنسان والشفافية، وغيرها، وأما البيئة الخارجية، فنقصد بها مجموعة الدول الإقليمية والعالمية والمؤسسات الدولية، والتي لابد للحركة الإسلامية من التمتع بقدر كاف من المصداقية لبناء علاقات محترمة مع تلك المجموعات، بحيث يتم التغلب على أي من عوامل التوتر، وسوء الفهم.

إن القفز من صندوق الانتخابات إلى أعلى سلم الحكم، دون اعتبار لمصالح البيئتين الداخلية والخارجية وتأثيراتها، إنما هو نوع من المجازفة التي لا تليق بحركة متمرسة، وهو قفز في الهواء لن تجد معه الحركة أي أرضية جديدة، بل ستعود بعده إلى نقطة الصفر وللعلم؛ فإن هذه طبيعة الأشياء، وبالذات في وجود ذلك القدر الكبير من التشكك وسوء الظن في سلوكيات الحركات الإسلامية وأهدافها، ولا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار صندوق الانتخابات معيارًا كافيًا أو وحيدًا يؤهل الحركة للحكم.

رابعًا: العفوية والعشوائية والتسلط في اتخاذ القرارات في هيئات ومؤسسات الحركات الإسلامية يكشف العجب العجاب ويكفي أن ندلل على ذلك فيما يتعلق مثلًا بالموقف من المشاركة في الانتخابات من عدمه، حيث لك أن تتخيل أن يتم عرض الموضوع على الهيئة القيادية العليا، وهي ما بين عشرين إلى أربعين عضوًا، فيدلي كل عضو بدلوه بين مؤيد ومعارض، ويبين كل منهم أسبابه، ولماذا أخذ هذا المنحى في إجابته، وبديهي أن يصمت آخرون؛ لأن أصواتهم لا تضاهي المتكلمين، أو خوفًا من الشطط.

وفي النهاية، إما أن يداهم الوقت الحضور فيضطروا للتصويت أو أن تمتد الجلسة لتختلف عشرات الإيجابيات والسلبيات، والفرص والمحاذير، ثم يحدد كل فرد منهم موقفه بناءً على «حدسه وشعوره»، إن الطريقة المذكورة هي الطريقة المعتمدة في الوصول إلى مواقف الحركة، ثم يقال بأن هذا هو رأي الشورى! إن من يفهم طرائق التفكير وآليات صناعة القرارات يعلم تمامًا أن تلك الطريقة هي طريقة عشوائية لا يمكن أن تفضي إلى أجوبة ومواقف محترمة ومحسوبة تمامًا، كما يتطلب الأمر من الحركات الكبيرة أو الدول والحكومات. كما يجب أن يكون معلومًا أن أسهل خطوة هي اتخاذ القرار، لكن يجب أن يسبقها عملية صناعة القرار، والمفاضلة الكمية بين البدائل، وكل ذلك محكوم بالمعايير المتفق عليها، والتي تم وزنها بناءً على أهميتها، لكني أعلم يقينًا أن هذا الكلام يعتبر من الطلاسم للكثير من القيادات التي تم تصعيدها بالأساليب الحالية، ولهذا فكيف نتوقع نجاحًا دون مقدمات؟

فمثلًا، تم تقديم النصح للإخوان المسلمين في مصر بعدم الترشح للرئاسة، والاكتفاء بدعم أحد المرشحين الداعمين للحريات وحقوق الإنسان في هذه المرحلة، مع التركيز على التعاون مع الأحزاب الأخرى لسن القوانين الضامنة لحياة سياسية واجتماعية واقتصادية وأمنية وقضائية ملائمة لتداول السلطات وتحقيق الحكم الرشيد، وتم تحذيرهم من عدم استقرار النظام السياسي إن قامت بالمنافسة على الرئاسة، والكل يعلم النتيجة، إن القيادة التي لا تعرف طرق صناعة القرارات أو لا تحترم نتائج عمل اللجان المتخصصة في صناعة القرارات هي قيادة فاشلة ومتخبطة، ولا تحميها سوى شماعة المؤامرات المحلية والإقليمية، التي تستمر في تعليق عجزها وضعفها وفشل سياساتها عليها.

خامسًا: صناعة الأعداء: من الواضح أن لدى الحركات الإسلامية قدرة هائلة على صناعة الأعداء، وفي نفس الوقت عجزها عن بناء التحالفات. إن منطق فلسفة الفكر الحركي الذي تكتنفه درجة عالية من الفوقية، والقناعة بأنه الأفضل وأن ما عداه (فيجمع الجميع في سلة واحدة) إما متآمرون أو يرتبطون بمتآمرين غرضهم تجحيم الحركة الإسلامية (نظرية المؤامرة) إنما يبني تكتلًا من الأعداء للحركة ويرتبط ذلك _أيضًا_ بالرغبة الجامحة للحركة في الاستحواذ والسيطرة، وعدم المشاركة وكأن تلك الحركة تعيش في العالم الافتراضي، وهذا ما شهدناه في مصر، وفلسطين والأردن، وغيرها، وكأن لسان حال الحركة الإسلامية يُصرّح بأنه الأوحد، والأقدر والأحرص وصاحب الحق الطبيعي في الحكم والقيادة، ويا ويل من حاول الدفاع عن وجوده ومصالحه ضد هذا التوجه فهو في هذه الحال يشترك في

المؤامرة على «الإسلام» وهو الحريص على دعم الفساد ومعسكر الأعداء!

إننا في الحركة الإسلامية بحاجة إلى إجراء مراجعات جادة، ونشرها حتى تصبح ثقافة عامة داخل الحركة وليس فقط بين نخبها القيادية، وعلينا أن نفتح المجال لكي ينطق كل منا بمرئياته دونما اتهام أو تشكيك؛ لأن حجم الكارثة وأشكال التآمر تفرض معالجات سريعة قبل أن يبلغ الموج مداه.

تونس والحركة الإسلامية، نموذج للاقتداء

لقد أعجبتني مداخلة **للشيخ عبد الفتاح مورو**، نائب رئيس حركة النهضة التونسية أثناء مشاركته في الملتقى الوطني العاشر لشبيبة العدالة والتنمية، حيث قدم مجموعة من النقاط والتي هي بمثابة لفتة بالغة الأهمية وكلمة نصوح لكل الإسلاميين، وخاصة الإخوان المسلمين، وهذا ملخصها: نحن في المغرب أدركنا قبل أساتذتنا في المشرق أن الخلل ليس في العلاقة مع الدين، بل في القدرة على نفع الناس، **وأضاف**: إن هذا الفهم لم يكن متوفرًا بداية، بل حصل نتيجة تراكم معرفي وتجارب كانت نتيجتها الاعتقالات والمنافي، مُقرًا بأن تجربة الإسلاميين، اعتراها أخطاء على مستوى قراءة النص الإسلامي والواقع أيضًا.

وشدد الشيخ مورو على أن من بين أخطاء الإسلاميين التصورية هي الموقف من الدولة حيث إننا لم نفهم حقيقة الدولة الوطنية، التي نشأت في أوطاننا بعد خضوع العالم الإسلامي للاستعمار، وبقينا خاضعين لمنطق آخر من التعاطي مع مسألة الدولة.

وتابع مورو: في مقابل نقاش الدولة، كنا نحن الإسلاميون مشغولين بنقاش «العالمية الإسلامية»، وتجاهلنا قضايا مهمة من قبيل المواطنة والعلاقة مع غير المسلمين في أوطاننا، والموقف من «اليسار والشيوعيين»، ومكانة المرأة وقضايا «حقوق العمال»، و«الحريات العامة». وأضاف: «لقد حرص الإسلاميون على الغرق في مفهوم الحاكمية، وهي قضية جزئية ظهرت إلى العلن في سياق سقوط الخلافة الإسلامية، بل تم تضخيمها، وأصبحت قضية القضايا لدى إخواننا».

وأفاد الشيخ مورو: «لقد نسينا أن قضيتنا إنسانية مرتبطة بالنضال مع المستضعفين من أجل التحرر الاقتصادي والسياسي من قيود الاستعمار والقوى الامبريالية، نضال يجب أن يكون مع غيرنا من الإسلاميين ومن غير الإسلاميين».

وأوضح بأن الأمة ليس لها كيان وطني، فإيجاد الكيان الوطني مقدم على تطبيق الشريعة، القضية ليست تطبيق القانون، الأهم هو بناء دولة العدالة، فليست القضية «قطع اليد أو قطع رأس أو إقامة حد، بل بناء دولة المواطنين».

وزاد مورو: «كنا مخطئين في قراءتنا للنص الإسلامي في شبابنا، ولما صرنا شيوخًا بقي لنا الشباب الذين عليهم الأمل في تجاوز أخطائنا، وأيضًا تجاوز تخلف المجتمعات الإسلامية».

اعتبر مورو أن تخلف العالم الإسلامي، أكبر من ترك الصلاة وعدم لبس المرأة للحجاب الشرعي وعدم إطالة اللحية، أو تقصير الثياب، أو

عدم تطبيق الحدود، فالعالم الإسلامي تخلّف؛ لأنه لم يستطع الحفاظ على القيم الأخلاقية التي تحمي حقوق الناس وكرامتهم.

وأفاد الرجل الثاني في حركة النهضة: «لقد ظهرنا لنقول للناس نحن الخلاص الأخلاقي لكننا فشلنا في هذا، ومنعتنا النخب السابقة من التعامل المباشر مع الناس، وحاصرونا بأننا نصلح للصلاة فقط، ومع ذلك علينا التعاون معهم لصالح الوطن».

لقد أخفقنا في مشهد الحكم والسياسة ولكن هذا لا يعني أننا فشلنا، وأن علينا عدم تكرار المحاولة. اليوم، نحن في الساحة الفلسطينية مثلًا نتحدث برؤية أفضل عن الشراكة السياسية والتوافق الوطني، ونتقبل مفاهيم المواطنة والدولة والمدنية والحريات والتعددية السياسية، كما أن نظرتنا تجاه شركائنا في المشروع الوطني تتحرك بإيجابية، وتقدم استجابات بشكل أفضل، وهذه كلها خطوات _إن تم الالتزام بها_ وصلنا إلى رأس الجسر، وبداية الدرب في جمع الصف وتحقيق أهداف شعبنا في التحرير والعودة وعلينا أن نتذكر دائمًا بأن «الاعتراف بالخطأ فضيلة».

جزاك الله خيرًا يا دكتور أحمد، فهذا حديث لا كِفاءَ له، فقد عبرت عما يجول في صدري، وعجز عنه قلمي.

الهم الذاتي

ركز معي ولدي الحبيب! تسعى الاحتلالات دائمًا، وفي جميع أنحاء العالم، وسواء كان احتلال أرض مثل الاحتلال الصهيوني لفلسطين أو احتلال عقول مثل ما تمارسه الأنظمة العربية من سياسات على شعوبها، وكذلك من يعاون الاحتلال، فكل هؤلاء يسعون لأن يشغلوا شعوبهم بأنفسهم، ويحيدوا عن طريقهم، ويغيروا مبادئهم، ويشوهوا ثوابتهم، ويقلبوا أولوياتهم ليجعلوهم تبعًا لهم، بلاهم، ولا هدف، وإن كان ثمة هدف فإنهم يعملون على اللعب في معايير البوصلة التي توصلهم لهدفهم، بمعنى آخر يشغلون الإنسان بهمه الذاتي أي همَه الشخصي، ليقصروا تفكيره على البيت والزواج والأطفال، والمأكل والمشرب والملبس.

فكان آخر ما فعله الاحتلال الصهيوني وأعوانه من أبناء شعبنا وبالتنسيق مع الاتحاد الأوروبي الذي أوعز للبنك الدولي، إنشاء بنك في قطاع غزة، وآخر في الضفة الغربية، والهدف الظاهر لهذا البنك هو مساعدة الإنسان الفلسطيني المنهك اقتصاديًا، والذي يعيش في فقر مدقع، ويحتاج لمن يعينه، فجعلوا يطيلون الخطابات المنمقة والعبارات المزيفة، لترغيب الناس، ويعدون البرامج المتلفزة والمسموعة وينشرون الخبر في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية.. إلخ.

عملُ هذا البنك هو إعطاء قروض لجيل الشباب ليساعده في بناء

البيت والزواج، والأغرب من ذلك أن الشاب يأخذ المبلغ الذي يريد دون فوائد، والتسديد لمدة 20 عامًا وكذلك بدأوا التخطيط لإقامة مشاريع معمارية عملاقة وآلاف الشقق السكنية والبيع بالتقسيط الممل والفوائد رمزية.

ولدي الحبيب: لقد قرأ الكثير من الشباب هذه الأخبار في جريدة القدس اليومية، وطار الجميع فرحًا وسرورًا، وبدأ الكُل يدعو الله أن يمر الزمن بأسرع ما يمكن، ليصل إلى اليوم الذي يشتري فيه شقة أو يأخذ قرضًا، إلا واحدًا رأيته قد اشتاط غضبًا وكره هذه المشاريع أكثر مما يكره عدوه؛ لأن من فرح وسعد بهذا الخبر نسي أن الهدف الحقيقي ـ والذي دبّر بليل ـ أن يبقى الفلسطيني مشغولًا بنفسه، بهمه الذاتي، وينسى قضيته المركزية، قضية فلسطين التي بيعت في أوسلو، وستباع ثانية بهذه المشاريع وهذه البنوك التي هي أخطر من أوسلو؛ لأن أوسلو مجموعة من الناس، باعت ووقعت، لكن بقيت غالبية الشعب ضد هذا التوقيع، أما إذا تمّ بيع فلسطين عن طريق هذه المشاريع، فالشعب هو الذي سيبيع أي الغالبية هي التي ستبيع، وبأيدي موقعي أوسلو وبالتالي سيبقى المُطالب بقضيته المركزية هم أقل من القلة، ولكن ربما لم تفهموا أبنائي هذه السطور كيف من يأخذ قرضًا أو يمتلك شقة بالتقسيط ولمدة طويلة كيف يكون قد باع وتخلى؟!

فيا عزيزي عندما آخذ القرض سأبقى طوال حياتي أسدد، فلو أخذت القرض وعمري 20 عامًا، ومدة التسديد 20 عامًا، فسينتهي التسديد عندما يكون عمر ابني البكر 20 عامًا، وستمضي هذه المدة، وأنا أفكر كيف أحصل على المال وأضع القرش على القرش لكي أسدد آخر الشهر، وهذا سينعكس على زوجتي ومن بعدها أبنائي وسيبقى حديث

الساعة في البيت هو كيفية توفير الدفعة الشهرية للقرض، فإذا أراد ابني أن يتجه للمقاومة _هذا طبعًا لو اتجه_ لأنه طوال حياته لم يسمع بوطن أو احتلال أو حقوق أو مقدسات، هو فقط يسمع كلمة مال، قرض، راتب، قسط أي لم يربّ هذا الشاب على حب الوطن فإذا خرج ابنًا شاذًا واتجه للمقاومة أو أقل من ذلك، بل إذا سأل عن وطنه والاحتلال فسيصده الوالد وكذلك الوالدة وسيمنعانه من هذا الحديث، وسيزرعان في رأسه أن لا علاقة لنا بهذا وسيفهمانه أن هذا نزاع بين الجانبين، وسيساويان بين الضحية والجلاد، بل أكثر من ذلك، سيصبح هذا الشاب تربة خصبة للعمل مع الاحتلال، ويكون سعيدًا؛ لأنه لا يعرف الصح من الخطأ، وقد رأيناهم كذلك، وبالتالي بعد عشرة أو خمسة عشر عامًا سيصبح هناك جيل كامل لا يعرف شيئًا عن وطنه، لأننا هنا فقدنا الأصل وهو العلم والمعرفة التي تقود إلى الوعي، والأساس في التربية هي الأسرة، فإن صلحت صلح المجتمع وإن فسدت فسد المجتمع كله.

هنا أرى أنه لو نجح هذا المخطط، فإنه لن يأتي أُكله في غزة، بسبب الحصار، والحروب المتكررة فبرضاكَ أو غصبًا عنك ستعرف الوطن والتضحية والصمود والاحتلال والحقوق.

هذا الحديث كان عام 2005-2006م، لكن بعد عام واحد شاء الله بأن تختلف الموازين، ويختلف الواقع، لندخل في مرحلة الانقسام والخلاف الداخلي، بحلوه ومرّه، بسلبياته وإيجابياته _وهذا ليس موضوعي_ فقد فشلت المخططات في غزة وتم تطبيقها في الضفة خاصة عند تشكيل حكومة الدكتور سلام فياض الذي جاء من البنك الدولي، فأقام المشاريع

والبنوك وفعل الأفاعيل، ونجحت خطته إلى حد كبير وكبير جدًا ولم تجد من يقف في وجهها، وبعد انتهاء فترة سلام فياض كانت قد تجذرت المشاريع وتأصل عمل البنوك وشاع، وفعلًا اهتمت غالبية الناس بهمهم الذاتي، في عام 2014م قال لي أحد رفاق السجن أن نسيبه يعمل في بنك جنين، وآخر الشهر يعطي لـ95 ٪ من الموظفين راتبًا من 300 إلى 500 شيكل وباقي الراتب يتم خصمه لسداد أقساط البيت أو السيارة، ومقابل ذلك أي الذي انتبه لهذه المؤامرات، ووعاها، وأراد أن يفكر، أو ينتقد، فكانت له السياط بالمرصاد، لذلك نجد الحرب تلو الحرب على أهلنا في قطاع غزة الحبيب، والأهل في الضفة متعاطفون يدعون الله لنا بالثبات؛ لأن الكل مقيد من عنقه ويديه، وقدميه، فمنهم من تقيده البنوك، ومنهم من تقيده الشقق، ومنهم من تقيده السياط، ومنهم من يقيده الأسر، وكل له سبب يقيده _إلا من رحم ربي_.

والشيء بالشيء يذكر، وتمر علينا سنة أخرى، لندخل مرحلة جديدة، مرحلة الانتفاضة الثالثة، انتفاضة القدس، ويسميها الاحتلال انتفاضة الأفراد؛ لأنها ليس لها من يقودها ويوجهها من التنظيمات، فمن الأهمية بمكان أن نتطرق لها لكي نرى كيف أثرت تلك المخططات، والممارسات على عقول وأفكار شبابنا، ولا يهمنا إن كان اسمها انتفاضة أو هبّة أو موجة، هذه الانتفاضة التي كان أبطالها وأسودها من الأشبال، والشباب، الذين أخلصوا العمل والنية، لكن للأسف غاب عنهم الوعي الذي أحدث خللًا في الموازين، والأولويات، والأهداف، أما القلة التي كان عندها وعي فكانت عملياتها قد أثخنت في العدو؛ لذلك كانوا شهداء

كما نحسبهم وهنا لا أتحدث عمن اصطفاهم الله عنده، ودُفنت أسرارهم معهم، بل هذا الحديث عن حالة آلاف أسرى الانتفاضة الثالثة، وهم تقريبًا من نفس الفئة العمرية، هذا الجيل الذي مورس عليه ما هو أشد من أن ينشغل بنفسه، وبهمه الذاتي، فمن ينشغل بنفسه يكن عنده ما يخاف عليه، عنده شيء، لكن هؤلاء الإخوة، أو هذه الشريحة من هذا الجيل، لا أعرف لها وصفًا، وحتى لا نفهم الأمور خطأ أو معكوسة، فهنا لا ننقص من أعمالهم، وإخلاصهم أو نزايد عليهم، لكن نبين مدى تأثير هذه الهجمة على عقول هذا الجيل، كممارسات الاحتلال على أطفال وشباب القدس، وكيف يلهيهم بأنواع المخدرات، والفتيات الجميلات، وغيره.

فمن دخل السجن ها هو جارٍ العمل على إصلاحه، لكن الغالبية الساحقة في الخارج، من سيعمل على توجيهها، وإرشادها، لكن كيف تبيّنَ لنا ما في عقول هذا الجيل؟ فعندي الأخ أمجد عبيدي (أبو زيد) أحد أبطال انتفاضة الأقصى، يعكف على عمل كتاب أو دراسة عن أحوال شباب هذه الانتفاضة، وقد تحدث مع العشرات واستمع لقصصهم، وأسباب، ودوافع إقدامهم على هذه الأعمال البطولية، حتى لقبناه «المحقق كنن» وبعد الحديث معه، ومع العديد من الإخوة قلت له: اختصر وأعطني الخلاصة، فنظر إلي نظرة غريبة معناها لا تسأل، فقلت الزبدة! الخاتمة! فنظر نفس النظرة، وابتسم ابتسامة ألم وقهر! فكررت كلامي، فقال: لا خلاصة وزبدة، ولا حليب، ولا خاتمة، فابتسمت وقلت يعني؟! فقال العجلة ما زالت تدور ولا علاج حتى الآن، فقلت لا تُتعبني ما النتيجة، لا تجب بالألغاز! أفصح! فبدأنا نتجاذب أطراف الحديث، فوصلنا لمشكلة كأداء، ومعضلة سوداء،

وحقيقة صعبة مرة مرارة العلقم، تنطبق على السواد الأعظم، وقبل أن أقولها لابد أن نمهد بشيء إيجابي قبل أن تحبط من السلبيات، فبالمثال يتضح المقال ويفهم الشيء بضده.

فأجمل قصة سمعتها أن شابًا في بداية العشرينات من عمره، لا يعرف شيئًا في حياته، غير المأكل، والملبس، والمشرب، حاله كما الغالبية، من أبناء القدس الحبيبة، سمع درسًا عن الجهاد في المسجد الأقصى، فعرف ثم بدأ يسأل ويفهم، ففهم، وقرر أن يقوم بعمل ضد الاحتلال، هذا العمل لابد أن يكون قويًا مؤثرا، يريد أن يشتري سلاحًا والسلاح يحتاج المال، فعمل حتى حصل على المال، ذهب للشراء، لكن تم خداعه من رفاق السوء، وحاولوا سرقته أكثر من مرة، وفشل، فقرر أن يشتري سيارة، فاشتراها، ووضعها بعيدًا عند صديق له؛ حتى لا تُرى أمام بيته، وبقيت أشهرًا كذلك، وكل بضعة أيام يذهب لزيارتها، ويغسّلها، ويجّملها، ويزيّنها، وهي مكانها، ويقول لصديقه هذه للبيع، وكلما جاء مشترٍ أفشل البيع، فصمم أن يحضر سلاحًا لكن الفشل كان حليفه المرة تلو المرة، فاشترى (بلطة) ووضعها في السيارة، ثم ذهب للعمل، وجنى المال وسدد الدين عن السيارة، وعمل وكسب مالًا وتبرع بما تبرع، وأعطى جزءًا لأمه كي تصرف على نفسها وتدعو له كما طلب، وبعد أن أخذ كل الاحتياطات، قرر أن تكون العملية في الجنود فقط، فقاد سيارته، وذهب إلى ممر مشاة عسكري، وقام بعمله البطولي دهسًا ثم نزل مسرعًا و(بلطته) في يده يضرب بها ما استطاع، حاصره الجنود، أطلقوا عليه النار، سقط أرضًا، وبدأ يشعر بألم الرصاص، ويرى دمه من حوله كنهر جارٍ، اقترب منه جندي حاقد فقال:

لم يمت! وأطلق رصاصة عن قرب أصابت يده، ثم جاء آخر أحقد منه أو هو نفسه لكنه ازداد حقدًا وقال: لم يمت! وأطلق رصاصة أخرى اخترقت يده وإبطه وصدره وظهره لتستقر في الأرض، ثم جاء لعين آخر وقال: لم يمت! فبطريقة أو بأخرى انقلب الشاب على بطنه، فقام ذاك بذبحه ذبحًا بما يشبه السكين، وما زالت العلامة حتى الآن على رقبة الشاب من الخلف كالحرق تمامًا، ناهيك عن الضرب والركل بالأرجل وغيره، فغاب الشاب عن الوعي، وفي هذه الأثناء كانت قد وصلت سيارة الإسعاف أو بمعنى أصح بعد أن فرغوا من جنودهم الخمسة نقلوه للمستشفى ليجد أمامه طبيبًا يقول له: سلامتك! نجوت بأعجوبة! الآن لك ثمانية أيام على هذا السرير! وما أن استعاد وعيه حتى بدأ التحقيق معه، وشافاه الله وأودع السجن وما زال يعاني من آثار الرصاص، وما زال يتألم من آثار التعذيب.

ما يهمني في هذه الحكاية، هو الجزء الأول منها، كيف أن الشاب عرف، ففهم، فعقل ففكر، فخطط، فقرر، فتوكل، فنفذ، فتُقُبلَ عمله بإذن الله؛ لأنه كان يعمل عن علم وإدراك، واقتناع، فقد عبدَ الله عن علمٍ وليس عن جهالةٍ، فمن عبد الله عن جهالة فكأنما عصاه.

فهذا شاب واع، فلو كانت الغالبية؛ لاختلفت الأحوال والموازين، فهذا لم تؤثر فيه كل الوسائل التي أنتهجها الاحتلال وأعوانه لتغييب عقله، فالأصل أن تكون القاعدة مثل هذا النموذج من الشباب، لكن هذا النموذج كان شاذًا عن القاعدة، لذلك كانت الحقيقة التي يجب إدراكها أن هذا الجيل مخلوق في هذا الكون لا يعرف أبجديات وأسس الحياة والبديهيات، يمارسون المحرمات دون خجل، كسر الحاجز الديني، وذاب

الحاجز الأخلاقي، وتبخر حاجز العادات، والتقاليد؛ لأنهم لا يعرفون شيئًا عن الحلال والحرام، أخذتهم الحياة، أو اندفاع الشباب، أو الفطرة السليمة بداخلهم التي حركتهم دون معرفة ما الذي حركهم، كأن يقول لك أحدهم فعلت ذلك دفاعًا عن الأقصى، فسُئل: هل كنت تصلي؟! قال: لا، ماذا تعرف عن الأقصى؟! قال: لا أعرف غير أنه للمسلمين! كم مرة استخدمت الحشيش؟! قال كثيرًا!، كم مرة استخدمت المسكرات وأقراص الكيف؟! قال كثيرًا! مع كم فتاة خرجت وسهرت؟! إذًا كيف تقول لي إنك فعلت هذا من أجل الأقصى والنساء المرابطات؟ فكانت الإجابة بكل بساطة: وما أدراني؟! لكن هذا ما حدث، ويا ليتني لم أفعل شيئًا! لا يعرف البديهيات في الدين، لا يعلم المعلوم من الدين بالضرورة، لا يحفظ الفاتحة ولا المعوذات ولا الصلاة ولم يصم يومًا واحدًا، وبكل غرابة يقول: فداءً للأقصى، وفداءً للحرائر، ويقول لك ويؤكد عليك، سجل، سجل هذه في كتابك أنا خرجت لما رأيت من إهانة للمرابطات في الأقصى، فما الذي دفعك لفعل هذا؟ إن كانت الفطرة السليمة، فلا أريدها، وإن كانت ردة فعل فلا أريدها، ما أريده هو الإيمان والوعي ثم قم بثورتك كيفما شئت حتى إن خرجت طمعًا في الحور العين والجنة، فلا أريدها، إنما نخرج من أجل الله وفي سبيل الله، طمعًا في رضى الله أولًا وآخرًا.

ليس الغريب في زمن التطور وشبكات التواصل الاجتماعي أن يكون الإنسان عارفًا بالكثير من الأمور، لكن الغريب أنهم لا يعرفون أن هناك عالمًا، فيه دول تسمى كذا وكذا _على سبيل المثال لا الحصر_ فاستخدام النت اقتصر على العلاقات الاجتماعية، وليس على الاستفادة من المعلومات

الموجودة فيه، والأغرب أن من يتعامل ويتواصل مع الآخرين المفروض أن يكون لبقًا في الكلام، حلو اللسان، كثير المجاملات محترمًا، مؤدبًا، خلوقًا، يزن الأمور، لكن مع الأسف وجدنا العكس غياب وعي وسوء أدب.

والحقيقة التي يجب أن نتجرأ ونقولها، لأنها أغرب من سابقتها، أن الغالبية الساحقة عندهم مشاكل، هذه المشاكل إما نفسية _وهي الأكثر_ لأن هذا مرض يصعب اكتشافه بسهولة، كأن تجد من يريد أن يعمل عملية بطولية ضد الاحتلال، لكن لا يريدها أن تكون قوية، لماذا؟ لأنه يريد أن يدخل السجن فقط! لماذا؟! لأن مشكلته نفسية، ناهيك عن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، كالإخوة الذين يتم اعتقالهم من على حدود قطاع غزة وهم ينوون العمل في الكيان أو دخول السجن للراتب، ولا ننسى الأوضاع السياسية كذلك.

وأصحاب هذه المشاكل تجدهم يهربون للأمام كأن يبدؤوا بالقرآن والتعلم وحفظ كتاب الله والرياضة، والتوكل على الله، تعرفهم من كثرة كلامهم عن الإفراجات، ويقينهم بأن الإفراج اليوم أو غدًا، وأن لهم نصيبًا في الصفقة القريبة، منفصلون عن الواقع تمامًا، هنا تكتشف كم نفوسهم محطمة مدمرة من داخلها، وهؤلاء حالهم كحال أسير قديم أصابه من الأمراض النفسية ما أصابه، فأراد أن يهرب من هذا الواقع، فقام برسم خريطة للسجن ووضعها تحت فراشه، ليتم ضبطها أثناء تفتيش إدارة السجن ليعترف بأنها له، وبالتالي يهرب من هذا الواقع دون خسائر إلى العزل الانفرادي لأشهر أو لسنوات ليبدأ بعدها بالاستغاثة، أغيثوني، أخرجوني من العزل إلى السجن بين أصدقائي وإخواني.

والآن ننتظر النتيجة، فقد بدأ الأسرى الجدد يتعلمون ويستغربون من كل شيء ويتساءلون أهكذا هي الحياة؟ وبدأوا يعرفون الخطأ من الصواب، وبدأت عقولهم تعمل بعد أن كانت معطلة منذ سنوات طويلة، ومن خلال خبرة الإخوة الذين مكثوا في السجن أعوامًا طويلة بدا أن النتيجة ستكون سلبية على الحالتين فإما يكونون جريئين شجعانًا لكن بردة فعل قوية دون اتزان أو حساب، أو أن يكون معقدًا، مريضًا، منطويًا على نفسه متفاجئًا، مستغربًا مندهشًا من حال السجن، ويبقى كذلك حتى لو أقام في السجن عشرين عامًا فهكذا حدث مع السابقين، وكلاهما شر.

هذا كله يعيدنا لموضوع الشعارات التي نرفعها من إيمان ووعي وثورة، فمن يريد أن ينضم إلى الثورة يجب عليه أن يكون مؤمنًا واعيًا؛ لكي يكون عمله متزنًا، قويًا، فعالًا، مؤثرًا، فقد عمل الاحتلال على تغييب عقل الشباب الفلسطيني، فماذا علينا أن نفعل من أجل هذا العقل؟ في السجن هناك عمل على إنعاشه من جديد، وها هو قد بدأ يستجيب للعلاج ولو بشكل بطيء، وبدأ العمل من جديد، لكن في الخارج من المسؤول عن ذلك كله؟!! وفي هذا الإطار لا أستطيع إلا أن أجزم أننا كفصائل مقاومة فلسطينية، مركزها غزة لسنا جاهزين لانتفاضة جديدة، نكون نحن كفصائل طليعتها وقادتها في الضفة والداخل الفلسطيني؛ لذلك علينا أن نتوقف عن التحريض نهائيًا، وأي عمل ضد الاحتلال نباركه، لا أن نحرض نحن الشباب والأطفال والنساء وأن نكون سببًا في خسارة هذه الطاقات الجبارة العملاقة بأن يذهب مجهودها سُدى، وأن نسارع ونتبنى هذا الشهيد وتلك الشهيدة، فهنا منقصة لا مفخرة في حقنا كمقاومة، بل

علينا أن نوجه ونرشد هذه الطاقات، لا نرشدها بأن نحرضها على الجهاد ونلعب بمشاعرها وعواطفها ونهز وترها الحساس بشعارات الشرف والمقدسات وغيره، ونثير فيها النخوة والنعرات الجاهلية، ثم نبدأ بتعليمها كيفية استخدام الأسلحة الخفيفة، وتصنيع المواد المتفجرة، واستخداماتها. وغيره مما يمكن أن يتعلمه الإنسان من خلال الفضائيات ومواقع الشبكة العنكبوتية التي آذت الاحتلال، وبدأ تشفيرها وسجن كل من يستخدم هذه المواقع، فهذا التعليم جيد، لكن هذه الخطوة الثانية، حتى لا ينطبق رأي الشاباك على هذا الجيل، هذا الراي الذي سأعرضه مترجمًا عن إحدى أكبر الصحف الإسرائيلية لاحقًا.

أما الخطوة الأولى ـ وتحتاج إلى صبر وطول نفس ـ فهي التحريض على كيفية استخدام العقل، فكيف نفكر قبل أن نعمل؟! كيف نخطط؟ وأين نتوجه؟ ويكون كلامًا صريحًا واضحًا لا غموض ولا لبس فيه، ولا مواربة، ليصل هذا الإنسان إلى قمة المعرفة واليقين والوعي عندها سيقدم إقدام الشجعان بلا تردد ولا رهبة، بلا خوف ولا جزع، وكلهم كانوا كذلك فما بالكم لو كان هذا مدعومًا بالإيمان والوعي، أما غياب الوعي فقد جعل منهم نادمين، متحسرين، يضربون رؤوسهم، ويشقون جيوبهم، ويندبون حظهم، ويرددون بألسنتهم، ما الذي فعلناه بأنفسنا؟ كنا نريد الشهادة لا السجن، وما زالوا حتى الآن تائهين؛ لأنهم أفاقوا الآن من سكرتهم، هذا كله بسبب غياب الوعي، والوعي لا يأتي إلا من الإيمان والعلم والثقافة، فالمثقف أول من يجاهد وآخر من ينكسر، بل لا ينبغي له أن ينكسر، وإن بقينا على هذا الحال فالبقاء لله وإنا إليه راجعون.

بقي أن نشير إلى أن هذه الانتفاضة قد آذت العدو أكثر من غيرها؛ لأنه ليس لها رأس مدبر مفكر، يمكن القضاء عليه، فلم ولن ينجح أي جهاز عسكري في القضاء عليها، هذا حسب قول واعتراف العدو نفسه، لكن نحن كمسلمين نؤمن بالآخرة، فأين الآخرة من هذا العمل؟!

القط والفأر

ولدي الحبيب: نعيش في هذه السجون، وتمر عليكم سنين من السعد والهنا وكأنها من قصرها أيام، وتمر علينا هنا أيام من الهم والغم وكأنها من طولها أعوام، فما بالك لو كانت هذه السنوات قد مرت بالحزن والأسى فكأنها من طولها دهر، كما قال الشاعر:

مرت سنون بالسعود وبالهنا ... فكأنها من قصرها أيام
ثم انثنث أيام هجر بعدها ... فكأنها من طولها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

ففي السنوات الأخيرة يزداد علينا الخناق من هذا المحتل، وهذا السجان، وبدأت إدارة مصلحة السجون تشن علينا حملة، بل حملات من التفتيشات محاولة بذلك إذلال الأسرى وإهانتهم، ولكن أنى لهم ذلك؟!

في عام 2015م وفي شهر أكتوبر بالتحديد، استطاع الأخ الأسير منير أبو ربيع وإخوانه اختراق كل المنظومة الأمنية للاحتلال في سجن نفحة الصحراوي والذي يعتبر من أكثر السجون تحصينًا وتعقيدًا، وقاموا بإحداث فتحة من خلالها خرجوا خارج حدود الأقسام حتى وصلوا جدار السجن وجلبوا عددًا من الأجهزة المحمولة ثم عادوا إلى الأقسام، وكان عملًا بطوليًا محترمًا، ومقدرًا ولم تكتشف إدارة السجن هذا الاختراق إلا بعد أكثر من شهر، وعن طريق عملائها، فقامت بنقل السجن كاملًا، وتوزيعه على السجون لمدة 4 أشهر، قاموا خلالها بتفتيش السجن كله،

وزيادة التحصينات الداخلية والخارجية، وزيادة كاميرات المراقبة الحديثة المتطورة، وتغيير طاقم السجن من أعلى الهرم المتمثل بمدير السجن إلى أدنى الهرم المتمثل بالسجانين، ووضع لجنة طوارئ مصلحة السجون لإدارة أمور السجن، ومحاسبة كل الطاقم القديم.

لم تكن هذه عملية التهريب الأولى ولن تكون الأخيرة، فكل بضع سنوات يتم إيجاد طريقة ما لتهريب عشرات الأجهزة، إما عن طريق الأهل أو تجنيد السجانين أنفسهم أو عن طريق عصابات المافيا، لكن كانت هذه أول عملية من هذا النوع، يتم فيها هكذا اختراق، بأن يُوصل أحد الأشخاص الأجهزة إلى جدار السجن، ثم يخرج الأسرى لإحضارها بأنفسهم، وما زاد الأمر تعقيدًا أنه لم تستطع مصلحة السجون إيجاد طرف خيط يُدين هؤلاء الإخوة أمام المحكمة، ولم تعثر على أدنى دليل ضدهم، رغم قناعتها الكاملة أنهم هم من فعلها، فاكتفت بعزلهم، وحتى هذه اللحظة بقي منهم الأخ الأسير منير أبو ربيع وحسني عيسى وسعيد صالح وقد خرجت البقية، فمثلث ضربتين مؤلمتين قويتين في رأس الاحتلال، فلم يكن أمامهم إلا الانتقام من الأسرى بكثرة التفتيشات اليومية للغرف والأقسام ليلًا ونهارًا، وسحب بعض الإنجازات كتقليص الحركة بين الأقسام، والكثير الكثير من التنغيص وتضييق الخناق على الأسرى، وشن حملة تحريضية عليهم في كل وسائل الإعلام المسموع والمقروء والمشاهد منها.

تصدى الأسرى لكل هذه السياسة بأجسادهم العارية خاصة قسم (14) في سجن نفحة والذي سطّر ملحمة بطولية ضد السجان، فأعلنوا التمرد والعصيان، فهاجمتهم إدارة السجن بكلابها البوليسية والسجانين

المدججين بالعدة والعتاد والسلاح، فأُصيب من أُصيب من الأسرى، ونهشت الكلاب لحم من نهشت من الأبطال، ورد الأسرى الصاع صاعين، وأصابوا من أصابوا من السجانين وعلى رأسهم مدير السجن الذي بقي لأشهر عندما يدخل القسم يكشف عن إصابته ويقول: «أهكذا تفعلون بي؟!» وانضمت لهم باقي الأقسام، وساندتهم بعض السجون حتى وصلوا إلى تسوية انتهت على إثرها هذه المشكلة.

وما زالت لعبة القط والفأر مستمرة، فبعد هذه الأحداث بأشهر، قام الأخ عماد صقر في سجن إيشل في مدينة بئر السبع بتهريب أجهزة خلوية، وإيصالها لداخل جدار السجن عن طريق طائرة بدون طيار، وخرج لإحضارها، وألقي القبض عليه وفي يده الأجهزة في الخارج، فكانت ضربة وعملية بطولية اخترق أيضًا من خلالها هذه المنظومة الأمنية المتطورة، واخترق هذا التحصين، وخرج خارج القسم، وما زاد الاحتلال حقدًا عليه وعلى الأسرى بشكل عام أنه بالرغم من القبض عليه متلبسًا، وتمت إدانته أمام المحكمة، ومن المحتمل أن تزيد فترة محكوميته من 8-10 سنوات، تضاف إلى حكمه السابق 17 عامًا، إلا أن مصلحة السجون بكل استخباراتها لم تستطع إيجاد المكان الذي خرج منه بالضبط، ولا يوجد دليل على ذلك، ولكنهم يحللون ويقدرون أنه ربما خرج من الأبواب، وربما خرج من فتحات الهواء، أو من المغسلة أو من غرفة الطعام وما زال الأمر مجهولًا لديهم.

وبنفس الطريقة قاموا بنقل سجن إيشل وتوزيعه على السجون، وحتى الآن مضى على القضية أكثر من 4 أشهر، وما زال السجن فارغًا، وما زال العمل جاريًا على زيادة التحصينات فيه.

فهـذه القضيـة سـلط الإعـلام الضـوء عليهـا، وزاد التحريـض ضـد الأسرى، ولم تتوقـف الأمـور عنـد هـذا الجـد، وبقـى الأسرى مصريـن عـلى اسـتمرار تواصلهـم مـع العـالم الخارجـي، وأن يكونـوا جـزءًا منـه، وأن لا ينفصلـوا عنـه أبـدًا، فبعـد هـذا الحـدث بأشـهر معـدودة قـام عضـو الكنيسـت السـيد باسـل غطـاس، بتهريـب عـدد مـن الأجهـزة المحمولـة إلى الأخ الأسـير وليـد دقـة وتـم نصـب كمـين لهـما ووقعـا في الفـخ، وتـم كشـف الأمـر، وتصويـر الحـدث أثنـاء التسـليم وخرجـت القضيـة إلى الإعـلام، وأصبحـت قضيـة رأي عـام، فـازداد التحريـض ضـد أعضـاء الكنيسـت العـرب، وضـد الأسرى «المخربـين، الإرهابيـين، القتلـة، الملطخـة أيديهـم بالدمـاء الذيـن يهربـون الأجهـزة المحمولـة ليرسـلوا القتلـة لشـن عمليـات إرهابيـة ضـد الإسرائيليين، الداعشـيون»، هكـذا كان وصـف الإعـلام الصهيـوني للأسـير الفلسـطيني.

وبنفـس الطريقـة أيضًـا قامـوا بتفريـغ الأقسـام مـن قسـم إلى آخـر والواحـد تلـو الآخـر وتفتيشـه، وتخريبـه وتدميـره والعبـث بمحتوياتـه، وسـمحوا لوسـائل الإعـلام المرئيـة بالدخـول إلى السـجون الأمنيـة وتصويـر الحيـاة اليوميـة فيهـا، ومقابلـة السـجانين وكذلـك الأسرى، وكل القضيـة حـول محـور واحـد هـو تهريـب الأجهـزة المحمولـة، وكذلـك سـمحوا لمراسـلي أكـبر الصحـف اليوميـة مثـل هآرتـس ومعاريـف ويديعـوت أحرونـوت التـي التقـت بثلاثـة ضبـاط اسـتخبارات مـن مصلحـة السـجون مـن ثلاثـة سـجون مختلفـة، وتمركـز محـور الحديـث حـول الحيـاة اليوميـة والتهريـب بأشـكاله وأنواعـه.. إلخ.

إن مـا يقـال في الإعـلام شيء والموجـود عـلى أرض الواقـع شيء آخـر، وسـأسرد اللقـاء ثـم سـأعلق عليـه باختصـار، **فـكان اللقـاء كالتـالي:**

آذان الدولة

(تقرير: شوش مولا. يديعوت أحرونوت 06/ 1/ 2017م)

ثلاثة ضباط من المخابرات الذين ترونهم، يعملون في أكثر السجون خطورة في «إسرائيل» ولديهم وظيفة أساسية وهي منع العملية القادمة، ومعهم أصدقاؤهم الذين يواجهون 6200 أسير أمنى، منهم 70 ٪ أيديهم ملطخة بالدماء، في يومهم العادي يعملون على تجنيد عملاء من أجل منع تهريب الأجهزة الخلوية وكذلك منع إرسال «مخربين» مقاومين لتنفيذ عمليات، وعمليات خطف الجنود، وحتى محاولات تهريب النطف من داخل السجون.

في مقابلة مشتركة يروون كيف تكون وحدك في غرفة مع ثمانية «قتلة»، ولماذا يتم التوصية: بكميات كبيرة من الملح في الكابينات؟ ولماذا يقلقهم ذلك؟ وكيف تم الإمساك بباسل غطاس المتهم بتهريب الأجهزة الخلوية إلى أحد السجون.

سجن النقب، الموافق يوم الأحد 18/ 12/ 2016م، عدة رجال فقط، منهم مدير السجن وضابط الاستخبارات (دودو فاكنن) كانوا يتابعون الدراما التي ستحصل، عضو الكنيست باسل غطاس من القائمة المشتركة وصل لزيارة أسرى أمنيين وتهريب أجهزة اتصال لهم، غطاس الذي لم يشك بالوضع، وقع في الكمين الذي نصبته له أجهزة الأمن، وفي أعقاب اعتقاله المصّور، ثم نشر عملية أجهزة الأمن التابعة لمصلحة السجون، وقليلًا ما تم ذكر عمل ضباط الاستخبارات الذين يشغلون

عملاء داخل السجون الأمنية، أولئك الذين يعملون من وراء الكواليس، ويمسكون المواقع الحساسة في الأماكن الأكثر خطورة في «إسرائيل».

ومن أجل فهم هذا الواقع التقينا هذا الأسبوع، وللمرة الأولى، بثلاثة ضباط استخبارات في مصلحة السجون، استخبارات سجن جلبوع (نيسيم بينش)، 600 أسير، استخبارات سجن النقب (دودو فاكنين) 2000 أسير، استخبارات نفحة (يوسي كريسبل) 750 أسيرًا، وقد قالوا لنا بصراحة عن عملهم في ظل المخاطر، واللقاء اليومي بينهم وبين «القتلة»، وتجنيد عملاء داخل السجون، والحفاظ عليهم، عن اللغة والرموز، والمسؤولية الكبيرة لمنع عمليات ضد «إسرائيل» وهذا حصريًا في «إسرائيل» وأن العالم كله يأتي ليتعلم منهم.

– الضابط فاكنين، كيف أمسكتم بباسل غطاس؟

– كل العملية تمت بمعلومات من الشاباك، والأسير وليد دقة المتهم بقتل الجندي موشيه تمام سنة 1984م هو عضو مركزي في حزب التجمع الديمقراطي، واتضح أن غطاس زاره ثلاث مرات، الأولى في سجن هداريم، والثانية في سجن رامون، والثالثة في سجن النقب، ووصلتنا معلومات بأنه يخطط لإدخال أجهزة اتصال لوليد دقة، وعلى أثر هذه المعلومات بدأت العملية بالتنسيق مع شعبة الاستخبارات التابعة لمصلحة السجون، وفي اليوم المحدد للزيارة تم إدخاله وتوجيه سؤال له عما ما إذا كان يحمل ممنوعات يود إدخالها للأسرى فأجاب بالنفي، وتم فحصه بجهاز كشف المعادن ولم يرن عليه.

- لماذا لم تجروا عليه تفتيشًا؟

لأنه من ناحيتنا في اللحظة التي سألناه، وأجاب بالنفي ممنوع علينا تفتيشه بسبب الحصانة التي يتمتع بها، ولكن الحقيقة تقول إنه تم إمساكه يهرب مواد مكتوبة و12 جهاز اتصال، وإجراء سحب الحصانة منه فُرض ونُشر فيديو يوضح التهريب، وكذلك تم الإمساك بحوزة الأسرى 16 شريحة وشاحنين وسماعة.

- وماذا كانت المواد المكتوبة؟

إنها مواد سرية، لكن لا يمكن إحباط جميع محاولات التهريب داخل السجون، وحوالي 6200 أسير في ثمانية من أصل ثلاثة وثلاثين معتقلًا تابعة لمصلحة السجون وهي (جلبوع، مجدو، نفحة، ريمون، النقب، عسقلان، الدامون)، و70 ٪ منهم أيديهم ملطخة بالدماء، ومنهم من كان بطريقه لتنفيذ عملية، وتراجعوا في اللحظة الأخيرة، وكذلك من يرسلهم، ومنفذوها ومهندسوها، الذين يعدون المواد المتفجرة، والعبوات، وقادة الفصائل الفلسطينية وغيرهم، في داخل السجن الأسرى الخطيرون موجودون تحت مراقبة ضباط الاستخبارات الذين يملكون معلومات عما يدور داخل السجون وخارجها، بداية من التخطيط لعملية هروب أسرى مؤبدين، محاولات ضرب سجانين، تمرد، إضراب عن الطعام، تهريب أجهزة اتصال، إعطاء معلومات عن عمليات ستحصل في الخارج، وإرسال مقاومين للقيام بعمليات، وكذلك تجهيز عبوات، ومخازن أسلحة، وعمليات خطف جنود وغيرها. مثلًا: يكشف (فاكنن): تم التعرف على

هوية سائق السيارة التي قادت خلية المقاومين، الذين نفذوا عملية في منطقة (شارونا) في شهر حزيران عام 2016م، أسير داخل السجن عرف من هو السائق، مررنا المعلومات للشاباك وهناك اعتقلوا (سليم مغنم) 23 عامًا من سكان يطا الذي تم التحقيق معه واعتقل بسبب توصيلهم.

خطة لخطف جندي:

كانت تلك ساعة النزهة اليومية في سجن جلبوع، أكثر السجون أمنًا في «إسرائيل» ولحظة خروج الأسرى من غرفهم ومشاهدتهم لضابط الاستخبارات (نسيم بنيش) الذي كان واقفًا حينها، سارعوا إليه ليصافحوه، وأحدهم مرر إليه كبسولة ولم يكن لنسيم ردة فعل، وكان الأسير ممن يعملون لحسابه، وعلم نسيم بأن كل حركة غير ملائمة ستكشف مصدر معلوماته، ولذلك استمر بالابتسام ومصافحة الجميع حتى ذهب آخرهم.

– ماذا كان في الكبسولة؟

خطة خطف جندي وتشمل اسم الأسير الذي خطط للعملية، وأسماء المشاركين فيها وأين ومتى ستتم العملية، ومررنا المعلومات لأجهزة الأمن وطلبوا أن يوضع الأسير المعني في العزل الانفرادي، وتم فحص المعلومات وتبين أنها دقيقة، وتم اعتقال كل أفراد المجموعة واستطعنا إحباط محاولة الخطف.

– ما دوافعهم ليقوموا بعمليات خطف؟

الدافع الوحيد هو رغبتهم في التحرر، هم يريدون الخروج من

السجن في عمليات تبادل مثل شاليط ومهمتنا إحباط هذه العمليات.

أجهزة اتصال تحت الكرش:

حجم المقاوم كبير ويسير ببطء باتجاه غرفة الزيارة في سجن نفحة، وعيون ضابط استخبارات السجن تراقبه عيون (يوسي كريسبل)، الحديث يدور عن أسير أمني معتقل على إثر قيامه بعدة عمليات، وفي ذلك اليوم التقى بمحاميه قبل ذهابه لجلسة «لجنة الثلث»، يروي كريسبل ويكشف: عرفنا بأنهم سيهربون له جهاز اتصال.

وماذا جرى؟ عندما خرج من هناك أجرينا له تفتيشًا، لكن لم نجد شيئًا، بالرغم من أن جهاز الفحص رنّ عليه، وظننا أنه قد أدخل الجهاز داخل جسمه، قمت بتهديده بأنه سيجلس عاريًا أمام السجانين حتى يخرجه، وقد انصاع، وكان أسيرًا سمينًا ضخمًا، فقام برفع كرشه لنجد أنه ربط أربعة أجهزة مثبتة بخيط حول خصره. ولولا المعلومات المسبقة أشك أنه سيتم الإمساك به، لكن هذا هو جوهر عمل ضابط الاستخبارات.

الضابط فاكنين: من يستوعب الأسرى الواصلين للسجن هو ضابط الاستخبارات، وهو من يقرأ لائحة الاتهام، والماضي الأمني للأسير، ويقوم بعمل لقاء معه من أجل أخذ الانطباع الأولي عنه، وهذا يعني أن تحسه، تشتم رائحته، تنظر إليه ببياض العين، والأساس الجيد بالنسبة للضابط هو قدرته على التآلف في علاقاته المتبادلة، وإذا لم يملكها لن يستطيع الحصول على معلومات أو إخراج معلومات.

فاكنين يخدم في مصلحة السجون منذ 20 عامًا، 13 سنة منها في الاستخبارات، يقول: «أنشأت منظومة الأمن في سجن النقب حين تم انتقاله لأيدينا من قبل الجيش في آذار 2006م، وكان هناك 1200 أسير وكنت بحاجة للعمل من الصفر، معرفة السجن، الأسرى، الشخصيات المسيطرة، وبدأت أجري مقابلات معهم، واحدًا تلو الآخر، وأرى من منهم لديه الإمكانية ليصبح عميلًا لدي، حين فتحوا سجن ريمون عام 2006م، تم تعييني لأكون ضابط الاستخبارات هناك، وكنت لمدة عامين ضابط الاستخبارات في سجن إيشل، ومن هناك انتقلت لسجن النقب بعد ثلاث سنوات».

كريسبل ضابط استخبارات نفحة يعمل من 14عامًا في مصلحة السجون، منها خمسة في الاستخبارات وكان يعمل تحت قيادة فاكنين، يقول: «جزء من عملي هو إيجاد من يملك الإمكانيات لهذا العمل من طاقم العمل في السجن (السجانون). يشرح فاكنين: أنا أرى إن كان الشخص نوعيًا، ذكيًا منضبطًا، ينفذ المهمات، وكيف يوجه أسئلته للأسرى، وكيف هي علاقته بهم، وكيف يتعامل مع المشكلة وأجرى له اختبارًا بدون معرفته، أخبره عن أسير لديه جهاز اتصال في غرفته، وطلبت منه توفير معلومات عنه، مثلًا متى يدخل ويخرج من الغرفة، ويراقبه من خلال الكاميرات ومحادثة بينه وبين السجانين الآخرين دون كشف المعلومات لأي شخص.

كريسبل: هو قال لي وأنت شريكي في السر، وبعد أسبوع تم الإمساك بالأسير، الانتقال من سجان لضابط استخبارات عند الأسرى الأمنيين كان

صعبًا، بعد إنهائي كورس للضباط فجأة وجدت نفسي في شعبة الأمن، وأجلس مع الأسرى الأكثر خطورة، والأكثر صعوبة في محادثاتهم الواحد مع الآخر أو في المساحة حين أكون وحدي معهم.

يبدو مخيفًا؟

بينس: عندما يعتقل الجيش أحدهم تقف نصف الدولة خلفه، أنا أدخل لقسم فيه 120 قاتلًا تمت إدانتهم، هكذا بدون أي شيء وأجلس مع ثمانية قتلة في غرفة، لدي عائلة وبنات وهذا خطر، أعمل منذ 19 عامًا في مصلحة السجون منها ثلاث سنوات في الاستخبارات، بدأت كسجان ثم رقيب ثم نائب استخبارات ثم أنجزت كورس ضابط وعدة دورات منها دورة استخباراتية أساسية، تعلمت اللغة العربية، ومواد عن تاريخ الإسلام، والقرآن باللغة العبرية.

– هذا يجعل مخاوفك أقل؟

– أجلس مقابل «المجاهد» الذي نفذ عملية بارك في نتانيا، ومطلوب مني أن أتودد إليه وأكسب ثقته، وتتعلم أن لا تتعامل وفق مشاعرك في هذا الموقف وعليك فعل ذلك.

– لكنه قاتل يهود، وأنت يهودي ألا تشعر بالقلق من أن يعتدي عليك؟

– لن يجرؤ، ويوجد هنا ميزان للربح والخسارة.

فاكنين: الأسرى الأمنيون يعلمون بأن الشخصية المسيطرة في السجن هو ضابط الاستخبارات ويدركون بأنه إذا تعرض للسوء، سيكون هناك

عقاب جماعي وشروط حياتهم ستسوء، فهم يستطيعون ضرب سجان عادي ويستطيعون فعل ذلك.

- هل تعرض ضابط استخبارات للاعتداء؟

كريسبل: عدة ضباط استخبارات تعرضوا للاعتداء على أيدي مناضلين، اثنان منهم احتاجا لعلاج طبي وأحدهم كسرت رجله، وهذه المخاطرة في عملنا ونحن ندركها، كلامك متناقض يا كريسبل فقد طعنا ضابط استخبارات.

فاكنين: هذه حوادث محدودة، عقلية الأسرى الأمنيين تقول بأني إذا حضرت لأحدهم في القسم زيارة فهذا يعني أني ضيفه ولن يسمح لأحد بإيذائي.

- كيف يتم استيعابهم في السجن، وإذا كانوا خطيرين إلى هذا الحد، فلماذا يتم وضعهم معًا؟

يتم استيعابهم حسب مصلحتنا، نقرأ ملف كل واحد منهم، خلفيته، منطقته، تنظيمه، أستطيع وضعه مع جماعته أو أبعده عنهم، ونحن نستغل لصالحنا الخلافات السياسية بين تنظيماتهم.

- كم تبلغ نسبة الأسرى المؤدلجين؟

فاكنين: 98 ٪ منهم معتقلون على خلفية أيديولوجية، وفقط 2 ٪ ممن هم متعصبون وهم يتمتعون بشخصيات قوية، ويعتادون على العيش كجماعات، ولديهم إطار تنظيمي صلب، ولديهم قيادات منتخبة كل ستة أشهر، قيادات علنية وأخرى سرية، وضوابط حياة دقيقة.

كريسبل: هذا الكلام حين نتحدث عن الجيل القديم، أما جيل الفيس بوك، والمقاومون الفرديون الذين عملوا في السنة الماضية، هؤلاء لم ينشئوا في تنظيمات وليس لديهم دوافع أيديولوجية، ولكنهم متأثرون بمواقع التواصل الاجتماعي، جرى في الفترة الأخيرة قتل جندي قام به مجاهد بشكل فردي لم يستطع التأقلم في تنظيم، هذا جيل يتأثر من الإعلام، أسير من «داعش» قام بطعن شرطي في القدس، قال لي: بأن أحد الأسباب التي دفعته للقيام بعملية الطعن هو ما يشاهده من أفلام على الإنترنت، ذهب إلى تركيا، ومن هناك إلى سوريا وبعد قتاله مع الدولة الإسلامية «داعش» لأشهر عاد إلى «إسرائيل» من أجل تشكيل خلية «إرهابية» ولكي يشكل نموذجًا لجماعته خرج لتنفيذ العملية.

كل أسير وله ثمنه:

أسير أمني، صاحب مكانة، وصل إلى مكتب ضابط الاستخبارات بينش، في سجن جلبوع، وكان يعاني من مشاكل شخصية، طلب التخفيف عن شخص آخر يهمه أمره، في السجن الأمني الشخص الأهم بالنسبة لمدير السجن هو ضابط الاستخبارات والأسرى يعلمون ذلك، يشرح بينش قوله للأسير: «أنت تعلم لكل أسير ثمن»، ووعدته أن افحص موضوعه.

– ماذا يعني ذلك؟

سأفحص إذا كان بإمكاني استغلال وضعه الحساس، وتجنيده للعمل لصالحنا، وقمت بإجراء فحوصات مع كل الجهات المعنية لأفهم إذا ما كان للدولة اهتمام به والاستجابة لطلبه، هو أسير غير سهل له مكانته ولديه علاقات داخل السجن وخارجه.

– وماذا نلت بالمقابل منه؟

كشف لي عن أماكن إخفاء أجهزة الاتصال في القسم، وتحدث عن أساليب وطرق التهريب والإخفاء، ووفر معلومات عمن يشتغلون في مهمات تنظيمية في السجن كنا نهتم بأمرهم، قدمنا له مساعدتنا في طلبه، وجندناه للعمل لصالحنا.

– ما دوافع الأسرى ليعملوا كعملاء لديكم؟

كريسبل: هذا صعب، لكن ممكن لأن لدى كل واحد ما يجبره على التحدث حتى إذا كان القاتل الأكثر خطورة أو قائدًا نال قوة ومكانة وقدرة.

بينش: الدافع النفسي أو الاجتماعي قوي جدًا، كأسير ينقل من سجن لآخر، ولا يعلم ما يجري مع والده وعائلته، وضعه النفسي صعب، ممنوع عليه التواصل أو الزيارات، ومحكوم لفترة طويلة ومشتاق.

كريسبل: بمكالمة هاتفيه واحدة، واتصال مع أهله، مساعدة مالية، كنتينا، سيتحدث.

– كيف تعلمون من يملك المعلومات المهمة؟

فاكنين: يبدأ ذلك من قراءة ملفه من التفاصيل المغلقة، ثم تبدأ بمتابعة تفاصيل حياته، إذا ما كان متدينًا، وهل يصلي الصلوات الخمس بانتظام، ويجب أن يكون مغروسًا في أوساط الأسرى، وعنده القدرة على الاقتراب إلى القيادات العليا للتنظيمات.

- كم تحتاج من الوقت لتجنيد عميل؟

احتجت إلى عام كامل لتجنيد أسير له نفوذ كهذا، في البداية لم يفهم بأني أقوم بتجنيده، ونزلت عليه بأنه هو شخص مهم في تنظيمه ومتصل بالقيادة في الداخل والخارج بواسطة زيارات الأهل والمحامين وأعضاء كنيست، كان يستحق القيام بالخطوة من أجل تجنيده، وحين يشعر بأنه مدين لي أطلب منه أفعل كذا وكذا، وحينها يبدأ بفهم أنه أصبح مصدرًا لي.

- كيف تعلمون بأن المعلومات دقيقة ولأي جهة ترسلونها؟

- كل معلومة تذهب لفحص الجهات الأمنية، وبيننا تنسيق كامل.

- كيف يمرر الأسير المعلومات لكم؟

بينش: كل ما يجري في داخل السجن يمر على الاستخبارات بداية من نظام اليوم، النزهة في الساحة، الخروج للمحاكم، للعيادات، فإذا كان مصدرًا موثوقًا سيجد طريقه للقدوم إلي.

- وكيف توفرون الحماية له؟

لنا مصادرنا، ونعمل مع أناس تحتاج حقًا للحفاظ على حياتهم داخل السجن، إذا كان الأسير في محكمة سأتحدث معه هناك ولن يراه أحد، وإذا احتجت للتخفي سأذهب بلباس مدني، هكذا أفعل وهناك ألف طريقة للحفاظ عليه؛ لأنه ممنوع أن يفضح مصدرك.

- حدث وإن كُشف المصدر؟

– نعم حدث ذلك، كان هناك أسير قبل عشر سنوات تم كشفه وقد عذبوه «ببلاطة كهربائية»، وأحرقوا جسده، وحدث أن تم قتل بعضهم.

تقنين لأجهزة الاتصال داخل السجن:

ممن يسمح لهم بزيارة الأسرى الأمنيين محامون، أعضاء كنيست.

فاكنين: في مصلحة السجون ندرك حقيقة أن المحامين يشكلون قناة تواصل داخلية وخارجية لنقل المعلومات، السلطة الفلسطينية تدفع للمحامي 500 شيكل عن كل زيارة، وإذا التقى في اليوم بأربعة أو خمسة سيحصل على 2000 شيكل وأكثر، ولا يفتشون، لكنهم يفحصوا بجهاز كشف المعادن، الأجهزة بحجم الإصبع، تنتج في الضفة ولا تصدر صوتًا على الجهاز، ينزعون منها كل معدن ويبقون البلاطة.

كريسبل: يوجد في السجن تقنيو أجهزة اتصال، خبراء، ويعملون على مدار الساعة.

تهريب أجهزة الاتصال لداخل السجن هي أكبر مشكلة.

فاكنين: يروى أنه تلقى معلومات عن عدد كبير من الأجهزة، تم تهريبها بصناديق الخُضرة، وتصل إلى مطبخ السجن، أثناء التفتيش ثم الإمساك بـ 50 جهازًا في صناديق البقدونس.

كريسبل: في السطر الأخير الحديث عن أموال طائلة، مئات آلاف الشواكل يبلغ ثمن الجهاز من 30–50 ألف شيكل، والأموال تذهب للعائلات من التنظيمات التي ينتمون إليها.

- كيف يتم ذلك؟

فاكنين: أسير يعرف أسرى جنائيين من الضفة، معتقلين على قضايا قتل، يرسل عن طريق عائلته بأنه سيدفع مئات آلاف الشواكل إذا قاموا بتهريب أجهزة له، وذلك الأسير سيحاول أن يهرب له أجهزة عن طريق منظمات إجرامية وبإحضار 4 أجهزة سيحصل على 200 ألف شيكل في ثانية ونصف.

- وكيف كانوا سيوصلونها للأسير الأمني؟

- يسمح للأسير باتصال جسدي مع طفله، ويأخذ الجهاز من ابنه ملفوفًا بمطاطة ويضعه في جسمه.

طريقة أخرى بأن يعطوا عاطلًا عن العمل مبلغ 10 آآلاف شيكل مقابل أن يذهب لإلقاء الحجارة، ويتم اعتقاله وحين وصوله للمعتقل سيضع الجهاز في نقطة متفق عليها، يخبئونها في معلبات، أحذية، داخل التمر، بضاعة من الكانتينا، وحتى بطاقة فيزا.

- ما هو التهريب المفاجئ الذي واجهتموه؟

كريسبل: مسبحة في سجن نفحة، وصلت معلومة أن أسيرًا يجلس مع ثلاثة أخرين يعتبرونه ذا مكانة، أحدهم كان مهندس كيمياء، ولديه علاقات واسعة في الخارج، قاموا بصنع ورق بحجم حبة الفستق، وكان عليه معلومات يجب أن تصل للخارج، حول كيفية تصنيع عبوات من مواد معينة، من بحوزته سلاح في الخارج، وأين يخبأ، وفي يوم الإفراج

وجدت المسبحة بثلاثة وثلاثين عقدة، تمّ كسر العقدة الأولى، فوجدنا كبسوله احتوت على كل المعلومات.

– كيف صنعوا ذلك؟

قاموا بتذويب العقد «الحبات» البلاستيكية بالحرق، وجهزوا الكبسولة، ومن ثم صبوا البلاستيك المذاب عليها من جديد، ولولا المعلومات المسبقة لما استطعنا الإمساك بهم.

إحباط وفشل ورموز: كابوس ضباط الاستخبارات هو هروب الأسرى من السجن.

بينيش: قبل عامين وصلتني معلومات تفيد بأنه في غرفة (2) لأسرى الجهاد الإسلامي يوجد نفق، وجدنا نفقًا ضيقًا قاموا بحفره بملاعق واستطاعوا كسر رجل سرير، ونزعوا غطاء المرحاض وأعادوا تركيب رجل سرير بدون أن ينتبه أحد، كان هناك محاولات مشابهة في السنوات الأخيرة، أحضرنا وحدة الهندسة في الجيش، واكتشفوا النفق، وهم تخصصهم تحت الأرض، والأرض في بيت شان الزراعية، وليس صعبًا حفرها، وهم حفروا من الحمام وفيه ثم اكتشاف نفق بطول ثلاثة أمتار، هدفهم كان الوصول إلى السور، ومن تم الهروب من هناك.

– هل قام سجانون بالانحياز لصالح الأسرى؟

– للأسف نعم. حدث ذلك، لكن محاولاتهم تعود بالفائدة علينا، مثلًا: قبل سنة ونصف توجهوا إلى سجان، جندي عمره 18 سنة، قالوا له

ما هو راتبك؟ تستطيع أن تحصل على 50 ألف شيكل في لحظه، أرادو منه أن يهرب لهم أجهزة، وقام السجان بالتوجه مباشرة إليّ، وتم التعامل معه كعميل .

– هل لديهم لغة خاصة أو رموز؟

– قليلًا ما يتكلمون، وكثيرًا ما يبعثون رموزًا وكبسولات لقياداتهم.

فاكنين: إذا قاموا جميعهم بلبس أحذية الرياضة بشكل مفاجئ، هذا مؤشر بأنه يوجد توتر كبير، وهذا محتمل حدوثه قبل مشكلة عندهم، أو نيتهم لضرب سجان، أو حالة فوضى وتمرد، وهكذا نفهم إمكانية حدوث أمر علينا الاستعداد له.

كريسبل: إذا قاموا بشراء كميات كبيرة من الملح، حليب، عسل، مشمش، فهذه إشارة بإضراب عن الطعام، يأكلون الملح من أجل الحفاظ على معدتهم أثناء الإضراب، وإذا كان هناك أسير يقوم بتسمين نفسه فهذا مؤشر بأنه سيخوض إضرابًا عن الطعام (هه هه هه).

فاكنين: إذا غيروا النظام الحياتي اليومي مثلًا خمسة أسرى في الساحة بدلًا من ثلاثين أو أربعين، هذا مؤشر بحدوث شيء في القسم أو ربما أمر داخلي عندهم أو تجهيز لأمر جدي.

– كيف يمررون رسائلهم؟ معظم الأحيان يتم ذلك برسائل مشفرة.

كريسبل: نسمى ذلك (لقمات) وهي رسائل من قياداتهم للتحضير لإضراب أو خطوة احتجاجية وجهد مضطرين لإدخال الجميع في صورة

الأحداث، ويتم ذلك من خلال الأسرى الذاهبين إلى العيادة، البوسطة، الكانتينا، وغيره يأخذون مثلًا الكلمة الأولى، وبعدها كل كلمة عاشرة ويركبون منها جملة.

– ما هو الانجاز الأكبر بالنسبة لكم؟

بينيش: الهدف الأساسي لعمل ضابط الاستخبارات هو منع هروب أسير أمني، هذا هو الانجاز الأكبر بالنسبة لي.

فاكيين: ولا يقل أهمية منع عمليات ضد «إسرائيل».

كريسبل: نحن نمنع تهريب النطف من السجن، ومن حكم بالمؤبد يريد استمرار نسله، لذلك هم يهربون النظف في أكياس البمبا والبسكويت والبيجله، ينتظرونهم في الخارج أمام بوابة السجن بأنبوبة وثلج ويرسلونها للمختبر.

– هل لديكم إخفاقات؟

فاكنين: في عمل الاستخبارات هناك دائمًا عناصر تركب اللوحة من أجل عدم المس بأمن الدولة، جرى أن أخفقنا بعدم الاستمرار بالحصول على معلومات.

كريسبل: من ناحية أخرى، هل تعلمين كم أحبطنا من محاولات؟! فنحن لا ننتظر المديح.

انتهى اللقاء الصحفي مع مراسلة صحيفة يديعوت أحرونوت، ولم

يكن هذا إلا من باب تطمين الشارع الصهيوني الذى فقد الثقة بحكومته وبمؤسساتها الأمنية، والعسكرية التي تقوده من انتكاسة إلى انتكاسة، ووجد هؤلاء الضباط الثلاثة ضالتهم في هذا اللقاء، وبدأوا بعرض عضلاتهم وتفاخرهم، متناسين الكثير من الحقائق، من إخفاقات وانتكاسة في مسيرتهم المهنية، فإن أحسنوا مرة فقد أخفقوا ألف مرة، وكل إنجاز حققوه لم يكن بعبقريتهم بقدر ما هو _للأسف_ بجهلنا وعفويتنا، ففي الإعلام نستطيع أن نقول ما نشاء أما على أرض الواقع فهنا تظهر الحقيقة.

لقد جاء كريسبل إلى القسم، وسأل: هل رأيتم التقرير؟ قلنا نعم. فقال: كيف؟ فكان أول رد «زبالة»، ولم يتفوه حضرته بكلمة واحدة بعدها، وغيّر الموضوع.

كُشف أمر السيد باسل غطاس، أظهروا القصة على الإعلام، وشنوا حربًا شرسة على كل أعضاء الكنيست العرب، وكأن غطاس قائد العمليات الاستشهادية، وبفضل هذا الانجاز أفشلوا محاولة لقتل آلاف الصهاينة، هذا الوتر الحساس الذي يلعب عليه الإعلام الصهيوني دائمًا «العواطف»، ولا يشنف الصهيوني أذانه إلا عند سماع كلمة قتل أو خطف أو انفجار.

تفاخر الضباط الثلاثة بإحباطهم عدة محاولات لتهريب الأجهزة المحمولة، ولم يذكروا ما فعله أسرى نفحة في سنة 2015م، وأسرى إيشل 2016م، وأسرى النقب كل عام، وكم جهازًا نجحوا في تهريبه، وكيف اخترق الأسرى منظومتهم الأمنية في كل مرة اختراقًا لم يسبق له مثيل على

إثـره جلـس مديـر السـجن واسـتخباراته في بيوتهـم، وأنزلـت رتـب البقيـة، ونقـل الغالبيـة إلى السـجون المدنيـة، مـن رتبـة ضابـط يقـود إلى رتبـة جنـدي يـوزع الصابـون والمحـارم والمكانـس وغيرهـا عـلى أقسـام الأسرى كل شـهر، مـن مسـؤول قسـم إلى مسـؤول مخـزن.

كل الاحتـلال قـرأ وتتلمـذ عـلى يـد إبليـس واحـد، أظهـر الضبـاط الثلاثـة رعبهـم وخوفهـم عندمـا يختلطـون بـالأسرى مـن قتـل، ثـم بـرروا ذلـك بـأن الأسرى لا يطعنـون ضبـاط الاسـتخبارات؛ لأنه الرجل الأول في السـجن، وبالتـالي سـيلحق بهـم عقابـات هـم في غنـى عنهـا، لذلـك يـؤذى السـجان العـادي، وليـس صاحـب الرتبـة، وهـذا كلام لا يمـت للحقيقـة بصلـة، فنحـن كأسرى لا نـؤذي جنديًـا؛ لأننـا نعـرف أن إيـذاءه لا يـضر ولا ينفـع، أو يضر أكثر مـما ينفـع، ولا نـؤذى الجنـدي إلا في حـالات معينـة، وإذا أسـاء إسـاءة مبـاشرة لأحـد الأسرى مثـلًا أو في معركـة طاحنـة لا فـرق فيهـا بـين صغـير وكبـير، وفى مواجهـة مبـاشرة، أمـا عندمـا نريـد أن نطعـن أحـدًا، كـردة فعـل عـلى حـدث سيء، فـلا نختـار إلا ضابطًـا، وأكـبر مـن رتبـه ضابـط قسـم وأن يكـون سيئًـا في تعاملـه، فمثـلًا عندمـا تـم تفتيـش أخـت مـن أخواتنـا أثنـاء الزيـارة تفتيشـا مهينًـا عـام 2002م خطـط الأسرى حتـى وصلـوا لـرأس مديـر السـجن وطعنـوه مـع أن السـجانين العاديـين موجـودون معنـا عـلى مـدار السـاعة، ولأن الحـدث كبـير فيحتـاج إلى رتبـة كبـيرة، لكـن في سـجن إيشـل عندمـا تعامـل ضابـط قسـم مـع الأسرى بعربـدة وتكـبر وتجنـح، تـم تحذيـره ولم يرتـدع، فتـم طعنـه في وسـط القسـم وعـلى مـرأى مـن أعـين الجميـع، وعـام 2012م عندمـا قمنـا بخطـوات احتجاجيـة تمهيـدًا لـلإضراب المفتـوح عـن الطعـام، فكانـت إحـدى الخطـوات

الاحتجاج في الساحة وعدم الدخول إلى الغرف، فجاءت القوات لإدخالنا إلى الغرف، فسمع أحد الإخوة ضابطًا يقول لمدير السجن: «اطلب منهم أن يجثوا على ركبهم!» فمن سمع الكلمة لم ينقلها للمحتجين ولم يترجمها لمن سمعها، وطلب السكوت ممن سمعها، حتى لا تحدث مجزرة في القسم؛ لأن العدو كان جاهزًا لذلك، فعند دخولنا الغرف وهدأ الوضع، أبلغنا القسم بما سمعنا، وأبلغنا مدير السجن بذلك، وأبلغنا الضابط بشكل مباشر وحاول التبرير، وفي اليوم الثاني من إبلاغه تم طعنه مع أن الطعن كان سيؤجل وأراد الأسرى ضابط الاستخبارات، لكنه شك في الأمر عندما طلبه الأسرى فأرسل هذا الضابط، ولم يدخل ضابط الاستخبارات أقسام الأسرى إلا بعد أسابيع بعد أن أعطاه الأسرى الأمان، وكلمة الأسير عند العدو مقدسة، وإذا وعد لا ينكث عهده أبدًا، وكذلك في سجن رامون تم التخطيط لضابط وطعن احتجاجًا على التنقلات، وفي سجن النقب وفي سجون الشمال طعن ضباط وسكب عليهم الزيت المغلي؛ لأنهم كانوا يجبرون الأسرى على خلع ملابسهم عند خروجهم من القسم إلى العيادة أو زيارة الأهل أو المحامي، أما أن يطعن سجان برتبه جندي، فهذا لم يحدث، وهنا أقصد طعن مخطط له، أما الضرب فحدث ولا حرج، وهذا يكون ردة فعل آنية على حدث ما وغير مخطط لها، أما الطعن المخطط له فلا يكون إلا للرتب العسكرية ويكون خارج أقسام الأسرى.

ولدي الحبيب: في السجن كلمة طعن ليست سهلة؛ لأن عواقبها صعبة، فالطاعن من شدة العذاب والضرب الذي يلاقيه، ممكن أن يلقى وجه ربه، وإن نجا، فستزيد فتره محكوميته 4-5 سنوات، ثم التمرد

والمواجهات قد تخلف شهداء وجرحى، لكنه بهذه المعركة يصبح الوضع والحياة اليومية للأسرى أفضل من ذي قبل، ففي الشمال مثلًا بعد الطعن تم إيقاف التفتيش العاري عند الخروج إلى العيادة والمحكمة والزيارات، ومصلحة السجون تعلم علم اليقين أن الأسير لا يصل إلى مرحلة الطعن إلا لأمر جلل، أو بعد نفاد كل الطرق السلمية والدبلوماسية.

ولا ننسى في عام 2015م عندما قرر ضابط استخبارات مصلحة السجون (إيلان بورده) التنكيل بالأسرى، وأعطى أمرًا بعدم استقرار قيادة الأسرى وتوزيعهم على السجون، تم طعن ضابط في سجن رامون بعد أن تم نقل أول أسير من سجن رامون إلى سجن نفحة، وبقى الأسرى يطلبون رأس هذا الضابط (بورده)، وتم إبلاغ مدراء السجون بذلك حتى لا يكون الأمر غدرًا فليس من صفة الأسير الفلسطيني الغدر، ولا يتعامل بمقولة الحرب خدعة، وفى الخارج قُمنا بشن حملة إعلامية ضده، ووضعنا على رأسه مليون دولار، مع أنه لا يساوى عندنا دولارًا واحدًا، بعد أن نشرنا صوره على كل مواقع التواصل الاجتماعي ولو تمكن منه الأسرى أو رأوه من بعيد، فلن يكتفوا إلا بقتله حتى لو استشهد مقابله عشرة؛ لأن ملفه الأسود قد امتلأ، وقد طفح الكيل وبلغ السيل الزبى، وعلى ما يبدو أنه حاول أن يرى جدية الأسرى، فنشر إشاعة في سجن نفحه بأنه قادم إلى زيارة السجن مع فلان وفلان وفلان، وفعلًا قام هؤلاء بزيارة السجن، لكنه لم يتجرأ على ذلك، وجهز الأسرى أنفسهم وكان من بين هؤلاء مدير السجن ومسؤول المنطقة الجنوبية، ولم يتم طعن أي منهم؛ لأنهم لم يكونوا على القائمة، وعندما رأت مصلحة السجون خطورة الأمر لم يدخل (بورده)

سجنًا من بعدها، ثم أقالوه من مصلحة السجون كلها.

تفاخر ثلاثتهم بأن لكل أسير ثمنه، ونسوا أن لكل سجان أيضا ثمنه، سواء كان جنديًا أو ضابطًا، ونسوا أن لأنفسهم أيضًا ثمنًا وقد دفعناه لأحدهم وما زال هذا من أسرار السجن، وتناسوا أن من أدخل لنا الأجهزة في أحد السجون بالشمال وهو ضابط الاستخبارات نفسه ولم يكن ثمنه مرتفعًا، وتناسوا أن من أدخل الأجهزة في سجون نفحة وريشون والنقب وإيشل وهداريم هم سجانون وأصحاب رتب عسكرية، والأخطر أن أحد هؤلاء الثلاثة عمل مع الأسرى ونقل لهم المعلومات، فكما هم يحصلون على معلومات منا وعنا فنحن أيضًا نحصل على معلومات منهم وعنهم، ولا يوجد ذبابة في السجن إلا ونراقبها ولم يتم منعي من دخول سجن نفحة إلا لأنني أعرف فيه أكثر مما يعرف السجانون، ولم يكشف أمري إلا بخطأ بعد اثني عشر عامًا، وكذلك نقرأ أفكارهم ونعرف حركاتهم وسكناتهم، لذلك نعرف العملاء في صفوفنا وصفوفهم، فمن السجانين أيضًا عملاء على السجانين أنفسهم بعد أن تم إيقاف إعدامات العملاء في السجن في بداية تسعينات القرن الماضي، فبقي التحقيق مع المشبوهين، إما أن يقوم الأسرى باستخدامه كعميل مزدوج، وهذا نادرًا ما ينجح أو أن يتم طرد العميل من بين صفوف الأسرى، ليعيش في أقسام خاصة للعملاء تحت حماية مصلحة السجون تسمى أقسام (المحميين) ويكون معهم المطرودون بسبب سقوطهم الأخلاقي.

تفاخر ثلاثتهم بإفشالهم عمليات ضد الصهاينة، وهذا في غالبه كذب وافتراء، فمنذ دخولنا السجن مع بداية انتفاضة الأقصى 2000م،

فقد علمنا من قبلنا من الذين اعتقلوا في السبعينات والثمانينات أن العمل العسكري والسجن فاشل بامتياز، وهذه قناعتنا، ولذلك لا نعمل من السجن أي عمل عسكري، ولم يتم ضبط إلا حالة أو اثنتين وهذا يثبت فشل العمل العسكري من داخل السجون.

قالوا إنهم يمنعون تهريب النطف، فحاولوا وبذلوا كل ما بوسعكم، فهذا وجه الاحتلال الحقيقي، الذى لا يحب إلا القتل والدمار، فنحن أصحاب حق، وطلاب حرية نحب الحياة وسنستمر في تهريب النطف، وكما أنجبنا العشرات وغالبيتهم توائم سننجب الآلاف لنستمر الحياة ويستمر نسل المقاومة التي ستعيد الحق لأصحابه يومًا ما، وهذه المواضيع التي سردناها باختصار سيتم شرحها بإسهاب في الدراسة التي تتحدث عن حياة السجن وكواليسه من إضرابات واحتجاجات وتمرد وطعن.. إلخ.

أجمع ثلاثتهم أن الجيل القديم 98 ٪ منهم معتقلون على خلفية أيديولوجية، وفقط 2 ٪ ممن هم متعصبون، وأن الأسرى يتمتعون بشخصيات قوية ومعتادون على العيش في جماعات ولديهم إطار تنظيمي صلب.. الخ، لكنْ الجيل الجديد جيل الفيس بوك، المقاومون الفرديون الذين عملوا في السنة الماضية هؤلاء لم ينشئوا في تنظيمات وليس لديهم دوافع أيديولوجية، إلى آخر حديثهم، فمع كل أسف هذا كلام صحيح وقد شرحناه سابقًا تحت عنوان «الهم الذاتي».

فإلى ثلاثتهم نقول: نحن ننتقد، لكن نقول ما لنا وما علينا، نعرف حجمنا ونعرف حجم عدونا، فافتخروا كيفما شئتم، فالكلام ليس عليه

ضريبة، أو جمرك كما يُقال، مجانًا، وما يهمنا هو ما يحدث على أرض الواقع؛ لأننا نعيش في الواقع لا في الخيال والأوهام، وما هو على أرض الواقع أي الحقيقة فهي غير ذلك أي غير الذي تحدثتم به أيها السادة. ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: 15].

استدراك، وتظهر الحقيقة

سبحانك ربي ما أعظمك! ما إن انتهيت من تلك الكلمات، وما إن مرت الأيام، وبعد أقل من شهر، حتى أثبت الأسرى لثلاثتهم، أنهم الأقوى، والأقدر على الصبر والصمود، ولن ينال أحد من كرامتهم، ودائمًا يردون الصاع صاعين، ويتخطون الخطوط الحمر؛ لأنهم ولدوا أحرارًا، وسيموتون كذلك أحرارًا.

فمنذ أكثر من عام، ومصلحة السجون تضيق الخناق على الأسرى، وتتدخل في تفاصيل حياتهم اليومية حتى وصلت إلى تقليص كمية الطعام.. الخ. قام الأسرى بالاعتراض والاحتجاج على هذه السياسة بكل الطرق وبكل الوسائل السلمية من حوار وتفاوض وإضرابات متفرقة عن الطعام والشكاوي في المحاكم، لكن المماطلة والتسويف كانت هي شعار مصلحة السجون.

اليوم طفح الكيل، ورفعت الأقلام، وجفت الصحف، وبلغ السيل الزُبى، وفشل ثلاثتهم في الحصول على أي معلومة تفيدهم في منع الثورة القادمة، التي تغلي منذ زمن، وهم يشعرون بها، وقد وصلتهم صريحة، إلا أن الغرور أهلكهم، فقد انتفضت السجون فجأة، وكان «كريسبل» في إجازة

منذ أكثر من أسبوعين، فقامت وحداته الهمجية باقتحام قسم (1) في نفحة، وأبرز حدث أن دخل أحدهم _أثناء التفتيش_ ليخرج أحد المجاهدين من الحمام عريانًا، في هذا البرد القارس، وتم نقل كل من في القسم، وعُرفت هوية هذا السجان فتم إبلاغ إدارة السجن، بما فعل هذا السجان، وبرروا واعتذروا، وفي اليوم التالي جاء الرد من الأخ المجاهد خالد السيلاوي في صباح يوم الأربعاء الموافق 01/ 02/ 2017م فقام بطعن هذا السجان، طعنةً كادت تودي بحياته، فقامت الإدارة باقتحام القسم وعاثت فيه فسادًا وتخريبًا، ونقل الأخ إلى المحكمة بعد أن لاقى ألوانًا من العذاب، وتم نشر صوره على كافة مواقع التواصل الاجتماعي، وتفاعل الشعب مع الحدث، وخرج بمسيرات وتظاهرات تضامنًا مع الأسرى.

وفي نفس الوقت كانت الوحدات الإجرامية تقتحم أقسام سجن النقب، ولم تنته من غطرستها إلا في المساء، وأثناء العدد المسائي جاء ردٌ آخر وبعد ساعات معدودة قام الأخ المجاهد أحمد نصار بطعن ضابط أثناء العدد، قائلًا له: أين قواتك لتحميك؟! وكانت ردة الفعل نفسها من مصلحة السجون إلا أنها استعانت بالجيش الذي دخل على الأقسام مدججًا بالسلاح الحي والمطاطي والغاز المسيل للدموع فكانت هذه سابقة، وأعلنت حالة الطوارئ في غالبية السجون، وزاد الأسرى من تصعيدهم، وما زالت الأوضاع متوترة؛ لأن الحدث جد خطير، وبعد يومين جاء كبار ضباط مصلحة السجون، ليعرضوا على الأسرى امتيازات لم تعرض عليهم ولم تسمح لهم منذ أن تكونت الحركة الأسيرة في السجون إلا أنهم رفضوها وقالوا الحل بيد الخارج، فوصلتنا أخبار أكيدة أن مصر طلبت وفدًا أمنيًا،

للتحاور معه بخصوص الأسرى الصهاينة في قطاع غزة، لكن الاجتماع فشل بعد 35 دقيقة، وما زالت المعركة مستمرة، واليوم كان هناك اجتماع آخر بين قيادة الأسرى ومصلحة السجون وهناك بوادر للحل.

فأين أمنكم؟! وأين وحدات استخباراتكم؟! وأين عملاؤكم؟! وأين التكنولوجيا التي تفتخرون بها؟!

إذا عزم الأسير وقرر، فلا يوقفه إلا الموت؛ لأنه بحساب الربح والخسارة ليس لديه ما يخسره.

هذا ديدنهم

إن ما يغيظك في هذا الاحتلال فقدانه للموضوعية، تهويل الأمور وتضخيمها، التكبر، التبجح، الغرور، وهذا بإذن الله ما سيهزمهم، فلم ينتهِ فرعون إلا عندما قال: أنا ربكم الأعلى، ولم يطرد إبليس من الجنة إلا عندما تكبر وقال: أنا خير منه، ولم تهزم قريش في بدر إلا لغرورها، هذا الغرور الذي سيقتل صاحبه، هذا الغرور الذي سيهزم هذا الاحتلال.

أما نحن فليس مثلهم، نعرف قوتنا، نتوكل على ربنا، فالحقيقة دائمًا نسبية، فالاحتلال نجح في تجنيد عملاء في السجون، ونحن أيضًا نجحنا، الاحتلال نجح في منع التهريب ونحن هربنا، عندما نفشل فالفشل لا يؤثر فينا بل يزيدنا قوة وإصرارًا، لكن الفشل يؤثر في الاحتلال وقد يقضي ويدمر مستقبله وحياته؛ لأنهم دولة بكامل مقوماتها، بل دولة أمنية لديها كل الإمكانات، أما نحن فأفراد عزل وجماعات ليس لديها عشر معشار ما عند الاحتلال، لكن بتواضعها تحقق النصر تلو النصر وتلحق الهزيمة تلو الهزيمة بهذا المتكبر المغرور، العنجهي المتغطرس.

قبل أيام يفتخر الاحتلال بما يفعله في السجون، فاليوم يفتخر بتصديه لما أسماها أكبر هجمة إلكترونية ضد «دولة إسرائيل»، وهنا يعطي معلومات مجانية للمقاومة لتستفيد منها لذلك ذكرتها هنا، ونسى أو غض النظر عن نجاح الفلسطينيين في الكثير من الهجمات الإلكترونية، وحققوا

اختراقات لم يستطع الاحتلال وقفها أو تعقب مصدرها، وكان آخرها بما عرف بـ «حسناوات القسام» حيث تم إسقاط الكثير من الجنود بهذا الفخ، وقال الاحتلال لا نعرف كمية الخسائر التي لحقت بنا، ولا نستطيع إحصاءها، لكننا متأكدون أن هناك معلومات وصلت إلى المقاومة ما كان لها أن تصل، ولا نعرف مدى خطورة هذه المعلومات لكنها وصلت، وقاموا على الفور بنشر إعلانات على الفضائيات وراديوهات الجيش لتوعية الجنود وتحذيرهم من الحسناوات وعدم التعريف بالاسم والسكن والعمل لأي شخص غير معروف لديك كجندي.

نسوا أيضًا الشاب من بيت لحم الذي اخترق البنوك وحول من كل حساب دولارًا واحدًا ليجمع 450 ألف دولار ويحولها لبنك في الأردن ثم العراق، ويترك لهم حاسوبه الخاص (اللابتوب) معلقًا على شجرة، فما إن وصلوا إليه حتى كان هو يحصي ماله في العراق.

نسوا أن الأخوين الكفيفين اللذين استطاعا اختراق وزارة الدفاع والحصول على معلومات من الحاسوب الرئيسي لوزارة الدفاع.

لا بأس، قولوا ما شئتم، ونحن سنفعل ما نشاء، فاليوم يعلن الاحتلال وبعد سنتين ولأول مرة عن تصديه لهذه الهجمات الإلكترونية، ويسمح بنشرها للجمهور لكي يطمئن ويعتمد على أجهزته الأمنية التي فقد الثقة بها، فجاء في جريدة يديعوت أحرنوت التالي:

جوجل الخاص بالشاباك

إيتمار آيخنر، يديعوت أحرنوت، 18/ 01/ 2017م

ماكنات صنع الثلج والقهوة التي يُحتاج إليها، الأتاري، لعبة الزهر عند حلول وقت التسلية وزاوية لطيفة من الأثاث لمن يريد الراحة، لا ليست هذه مكاتب شركات التكنولوجيا، ولكنها قسم التجسس الإلكتروني التابع للشاباك «الإسرائيلي»، تبديل ممرات غرف التحقيق بغرف فاخرة تعطى انطباعًا جيدًا في أوساط الشاباك يقولون بأنهم استطاعوا وقف هجمة إلكترونية كبيرة كان من المفترض بها أن تكون أكبر هجمه إلكترونية ضد «دولة إسرائيل». مصدر غريب مصنف من بين أعدائها المركزيين «لإسرائيل» في المنطقة تمركز في القنوات الحساسة لمنظومة الاتصالات الإسرائيلية، هدفه كان إدخال خلايا نائمة والانتظار للأوامر من أجل السيطرة على بث التلفزيون والراديو وإحداث فوضى في أوساط الجمهور، هذا ما جرى حسب جهاز الشاباك قبل عامين، لكن هذه الهجمة التي خطط لها جيدا لم تر النور، بسبب عامل أساس واحد وهو وحدة التجسس الإلكتروني التابعة للشاباك.

تفاصيل الهجمة التي يتم كشفها لأول مره تظهر أنه بدلًا من إيقاف محاوله النفاذ فضلوا في الشاباك، مطاردة أحد القراصنة، وتعلم أنماط عملهم، وحتى ساعات عملهم، وعندها قاموا بإنزال برنامج، قام مقاتلو وحدة التجسس بإزالة الخطر ونفذوا هجمة مضادة وذلك بكشف أسماء المهاجمين على الشبكة. «في عوالم القراصنة لا يوجد مهين أو مذل أكثر من

كشف تفاصيلهم وأسمائهم»؛ يقولون في الشاباك بدون التطرق بالتفصيل للحدث نفسه.

في المكاتب المخصصة يعمل على مدار الساعة رجال الشاباك، وشبيهون تمامًا بأولئك الذين اعتدنا على رؤيتهم في شركات التكنولوجيا، ممرات التحقيق المظلمة تم استبدالها بغرف فاخرة فيها تهوية وإضاءة ومزينة بألوان، على جدران الممرات علقت مقولات، وغرف الاستجمام مزودة بماكينات القهوة والثلج، ولعبة «البلاي ستيشن» والـ «إكس بوكس» وأثاث فاخر.

ليس من الغريب أن هذا الوصف مشابه لتجربة العمل في جوجل أو فيس بوك. في الشاباك يعملون بشكل دائم على ثبيت طاقم عمل مهني ونوعي في ظل المنافسة مع القطاع الخاص، في هذا الجانب لدينا فرص عمل بنسبه 100 ٪ لأننا نوفر بيئة عمل متطورة وأجرًا جيدًا خصوصًا أن ذلك حلم للشباب الراغبين بالعمل في هذا المجال، والذين يحلمون بخوض هذه التجربة وتنفيذ العمليات الأكثر ذكاء التي يصعب علينا تخيلها، هكذا قال مصدر في الشاباك، بشكل عام نحن نوفر بيئة تسمح بتطوير الشباب وتجعلهم كأحصنة راكضة مع أوزان أقل. قبل 15 سنة فقط 4 ٪من مجموع طاقم جهاز الشاباك انضموا لوحدة مكافحة التجسس الإلكتروني، واليوم يشكلون ليس أقل من 25 ٪من مجمل القوى العاملة في الخدمة، مع التضخم غير العادي في عدد العاملين، وبنفس الوقت قل الجيل المتوسط لديهم والذي يقف اليوم على 34 سنة «ما يسبب الفشل أو النجاح هم الأشخاص، يقولون في الجهاز بفخر».

مع ذلك يعلمون أيضًا بوجود قلق مستمر من ترك بعض العاملين الخدمة في الجهاز وتوجههم نحو القطاع الخاص، وبالطبع نحن نثابر على أن لا يتم تسريب المعلومات الحساسة، لكننا نعيش بسلام مع من يستخدمون باقي المعلومات _يقولون في الشاباك_ هذا جزء من الواقع الذى نعيشه ونستفيد منه نحن أيضا، وأحيانًا نتلقى مكالمات اتصال من شركة ممر بالو (التوقع) وتقدم لنا مقترحات وابتكارات تكنولوجية مدهشة لأشخاص عاشوا هنا ولم ينسوا من أين أتوا.

لدرجة أن الشاباك (يعتز) بقسم محاربة القرصنة الإلكترونية والذي قرر المشاركة في مؤتمر (سايبرتك) الدولي الذي عُقد عام 2017م، وسيعرض مهارات الوحدة في هذا المجال، ومن أجل المؤتمر سيسمح الشاباك لمجلة «دفاع إسرائيل» الدخول لمقره.

المؤتمر يعتبر الحدث التاريخي بحجمه في العالم بهذا الخصوص، وسيعقد هذا العام للمرة الرابعة خلال ثلاثة أيام من 30 يناير حتى الأول من فبراير في مركز المهاجرين في تل أبيب، وستشارك فيه شركات «إسرائيلية» ودولية وتقدم أحدث ابتكاراتها في الحرب ضد القرصنة الالكترونية وخصوصًا برامج الحماية.

سيفتتح المؤتمر نتنياهو وسيشارك أيضًا عمدة ولاية متشيغن الأمريكية وقاده آخرون وخبرات من القطاع الخاص والصناعات الأمنية في البلاد والعالم..

سيأتي اليوم الذي سنكون به في الحرية، بين أهلنا، وأحبتنا، هناك مكاننا الطبيعي، عندها ستكون المواجهة مباشره بيننا وبينكم، هناك الحقيقة!

سنعيش على الأمل، لن نكل ولن نمل، لم نيأس، لن ننسى، لن نغفل حتى تأتي تلك اللحظة وإنها لقريبة بإذن الله.

يا خير أمة

إيمان، أمانة، أخلاق، عدل، تغيير، حرية

«منظومة من القيم، تتكامل فلا تؤخذ مجزأة، وتلبس لكل حال لبوسها»

كثيرًا ما نسمع عن هذه الآداب، وهذه القيم، من المشايخ، والعلماء، خاصة من أبناء الحركات الإسلامية، فمن السهل أن نفهم هذه المعاني، ومن السهل أن نطبقها أيضًا _هنا إن عزمنا على ذلك_ وربما أصعبها التغيير، تغيير النفس، تغيير الواقع، تغيير الأفكار تغيير كل شيء قد اعترفنا من قبل أنه خطأ يحتاج للتغيير.

هذه القيم المرتبطة ببعضها، كارتباط العقد بعضه ببعض، فبأيهما بدأت، كان سواء، فالقرآن، والسنة بينت لنا هذه القيم، وهذه المعاني، فكان خطاب التغيير يستهدف الإنسان مباشرة عبر الأمة كلها كما يقول المفكر الإسلامي، محمد أبو القاسم حاج حمد في كتابه «الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن»، وهو خطاب تشكل معالمه الرئيسية وترسم خطاه (أمة) عن الأمة، ليست هي بالطليعة (المنعزلة عنها)، أو المجددة لشخص الأمة في ذاتها، وليست هي (النفر، القدوة)، وليست (نفر الفقه الحضاري) وليست (هيئة أمر) أيًا كان أمرها. إنها أمة عن (ذات الأمة) متداخلة معها في كل مؤسساتها أيًا كانت مواصفات هذه المؤسسات، دون تحزب ودون تشيع ودون تفرقة، ودون تميز، متحركة بضمير الالتزام الجمعي، فهي عن

الأمة وإليها تبث إرادتها في الأمة ومن خلال الأمة، تتحرك بإرادة جماعية كيفما كانت قدرات الأمة وقوة الإرادة، وكيفما تبلورت الأهداف وتحددت ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: 103-105].

وهذه (الأمة) عن ذات الأمة، ليست طائفة، وليست فئة، وليست حزبًا، فمن خصائصها أنها لا تمت إلى موروث عصبي سابق، ولا تتفرق حول اجتهاد لاحق، فكل مصدر لعداء سابق مردود (إذ كنتم أعداء) وكل مصدر لخلاف لاحق مردود (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا)، فهي أمة تنأى بنفسها عن موروث الخصومات السابقة، أيًا كان مصدرها، وتنأى بنفسها عن مصادر الاختلافات اللاحقة أيًا كان مصدرها، ولهذا أمر الله _سبحانه وتعالى_ بتكوين هذه الأمة داخل الأمة ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]، وقد قيد الأمر عدم استدعاء موروث ما سبق (الآية 103) وحذر من خلافات قد تقع (الآية 105) ولم يقل _سبحانه_ فئة أو طائفة وإنما (أمة).

الأمة عن ذات الأمة هو ما (يتخللها) لا بما يتجسد بمعزل عنها، فيضع الله _سبحانه_ الميزان بين وحدة الجماعة، ووحدة الأمة الفاعلة فيها،

بها ومن خلالها، وبهذا يفارق النسق الإسلامي في مفهوم (التنظيم) كافة الأنساق الوضعية؛ لأنه يتجه إلى الأمة من خلال الإنسان في الأمة، وليس من خلال الفئة أو الطائفة أو الحزب أو التنظيم المميز، فكل ما عدا ذلك تنظيمًا وحزبًا، طائفة، وفرقة، إنما هو تفرقة، واختلاف بقصد الهيمنة وارتقاء معارج السلطة، ولو حسنت المقولات، وتكون النهاية إهلاك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾. [البقرة: 204-209]

إذن فالخطاب الإلهي محدد: واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا، يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة، ولتكن منكم (أمة) يدعون إلى الخير، فهي أمة تكون (منا-منكم) تخرج من صفوفنا، مهمتها الدعوة للخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

إنها الأمة النابعة (من) المجتمع، التي تستمد مشروعيتها (من) المجتمع (ولتكن منكم أمة)، فنحن مصدر تكوين (تكن منكم، هذه الأمة؛ منا تستمد صلاحيتها وبشكل جمعي (يا أيها الذين أمنوا ادخلوا في السلم كافة) ولا تستمد تكوينها (منا) بالدعاوي الحزبية والتنظيمية: (ومن الناس

ما يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام).

ولتكون هذه الأمة (منا) باختيارنا (الجمعي الحر) فيجب أن نكون (أحرارًا) ليتحقق في تكوينها شرط الانتماء الجمعي إلينا. والحرية تتطلب (نفي الاستلاب) أيًا كان نوعه، طبقيًا أو اجتماعيًا أو فكريًا. فالأمة (البكماء غير القادرة على التعبير) لا تستطيع تجسيد هذه (الأمة منكم)، فالأبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه، حيث بأمره يتوجه، فالعبد المملوك أبكم ولا يقدر على شيء، ومستلب الإرادة سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، فهو (يجسد) كرهًا لمن لا يملك له رزقًا من السموات والأرض شيئًا. يسجد بالولاء والطاعة العمياء، فلا يستطيع أن يجسد هذه (منكم) لأن العبودية قد اتجهت لغير مقصدها وانتهت إلى الاستعلاء البشري: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقٗا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍۖ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ

هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾. [النحل: 71-79]

إن لم نكن فوق كل استلاب، كالطير مسخرات في جو السماء، لا تحقق فينا وبنا هذه الأمة (منكم) فالأمة (البكماء) لا تقدر على شيء، ويوجهها من يعلو عليها إلى حيث يشاء، فلا يأتي هو بخير ولا تأتي هي بخير، إنها أُمة تخون أماناتها، وهنا بداية كل انحراف اجتماع وتدهور.

ذلك حين توكل الأمانات في الأمة إلى غير أهلها، فتضيع الأمم وتتلاشى القيم ويضطرب أمر الأمة فالأمانة (تكليف)، والتكليف (مسئولية) ترتبط بالمؤهل. فحين تخون الأمة أماناتها فيعني ذلك إسناد التكليف إلى غير أهله. وهو ذات التكليف الذي عرضه الله على السموات والأرض فتصدى له الإنسان، وفي الإنسان جهل، وفي الإنسان ظلم، ويتجاوز الله عن تصدي الإنسان للتكليف، ولكنه لا يتساهل مع منافق ومع مشرك، ولكنه _سبحانه_ (يتوب) على من حمل الأمانة من المؤمنين والمؤمنات: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾. [الأحزاب: 72-73]

التكليف، الأمانة، المسؤولية، ذلك يعني أن تضع الأمة كل إنسان في موقعه الصحيح، فلا يتصدى للأمانة من يجور عن مبادئها استكثارًا للمال من مال المسلمين واصطفاء لأولاده من بين أولاد المسلمين، وبذلك تكون الخيانة لله _سبحانه_ ولرسوله في الأمانة، وخيانة للمسلمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾. [الأنفال: 27-29]

إن أولى مظاهر الأمانة، وخيانة الله، وخيانة رسوله تكمن في إسناد المسؤوليات إلى غير أهلها، فلا تكون الأمة المكلفة (منا) وإنما علينا (بالقهر السياسي) أو (فينا) بالمكانة العصبوية أو النفوذ الطبقي والعلو الاجتماعي. فكما (ولتكن منكم أمة) كذلك (أولي الأمر منكم) فلا تبعية ولا بكمة ولا استلاب، هكذا تؤدى الأمانات إلى أهلها فلا يكون إنسان في موضعه غير الصحيح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾. [النساء: 58-59]

هكذا ترتبط الأمانة بالعدالة، أي التكليف بالتأهيل والمسؤولية، فيكون العدل، وتكون الطاعة _في هذا الإطار_ لتلك الأمة (منكم) المجسدة لأولي الأمر (منكم) في إطار مجتمع يقوم على قاعدة (السلم كافة)

وقد تحرر من كل استلاب عبودي بشري، كالطير مسخرات في جو السماء.

منظومة من القيم تتكامل فلا تؤخذ مجزأة، وتلبس لكل حال لبوسها.

فهكذا كتب وهكذا يكون: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾. [المؤمنون: 8- 9]

إذن ليس هؤلاء (حزبًا) أو (طليعة) أو (نفرًا، قدوة) أو (تنظيمًا) إنهم (الأمة من الأمة داخل الأمة من خلال الأمة) فهذه المسؤولية (جماعية) تفرز قواها من داخل الأمة (ولتكن منكم أمة) بشكل جماعي دون استلاب تنتهي معه الأمانات فتؤدى إلى غير أهلها، فالله يأمرنا أن نؤدي الأمانات إلى أهلها.

فحين يكون كل إنسان من الأمة في موضعه الصحيح دون استلاب، حاكمًا كان أو محكومًا نصل إلى نهاية الأزمة.

هذا هو خطاب القرآن باتجاه التغيير، خطاب للإنسان من خلال الأمة متمنطقًا بالأمانة والحرية، فإن لم تحقق الأمة _من ذاتها في ذاتها_ هذا المعنى في وجودها فلا يكون التغيير..

«لقد قطعت جهيزة قول كل خطيب «عرفت فالزم»، إذن الخطاب الإلهي ليس لفئة أو فصيل أو حزب أو تنظيم، فلم التعصب والتشدد والانطوائية ورفض الغير؟! الله نسأل العفو والعافية وأن نكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الله نسأل التطبيق ثم التطبيق ثم التطبيق وأن نكون كالجسد الواحد إذا اشتكى فيه عضو تداعى له سائر الجسد

بالسهر والحمى، هذا الجيل قد فقدنا به الأمل، لكن أملنا في الأجيال القادمة أن تكون خيرًا من الأجيال السالفة.

علينا أن نحمل أماناتنا، وأن يفعل كل منا _دون تأطير_ ما يستطيع الفرد أن يفعله في نطاق نفسه وفى نطاق الجماعة ودون تميز، فماذا فعل الذين تميزوا حتى الآن؟!

إن بداية التغيير هي التزام بالأمانة، فكريًا ونفسيًا، وفى شتى المجالات، فإذا هيأ (الإنسان) نفسه لذلك، انعكس هذا (التهيؤ الإنساني) في (توثب جماعي)، أقوى من إصلاحات فكر النهضة، وأعمق من تحولات فكر الثورة، وأفعل من كافة التنظيمات، أما الحشد (الكمي) دون فكر ومنهج، ودون تغيير في الداخل الإنساني، فهو حشد من أجل (تسلط) وسلطة، والله _سبحانه_ لا يعطى سلطته وسلطة اسمه كيفما يكون.

هكذا قضت جدلية تكويننا، أن نغير ما بأنفسنا، وبالطاقات الذاتية في الإطار الجماعي (التهيؤ الإنساني والتوثب الجماعي) وفى كل المجالات، إنها ثورة الإنسان على نفسه داخل أمته وفى إطارها (دون نموذج) وضعي، تستمد مرجعيتها من الكتاب الكوني المقروء والكتاب الكوني المتحرك، والتفاعل مع جدلية الوجود، فالغيب لا يكف عن الحركة، وهكذا كان وهكذا كتب، فالصيرورة[1] آخذة بتشكيل الإنسان وشحذ إرادته وتنمية دوافعه في توثب جماعي نحو الهدى ودين الحق، والإنسان أن يستجيب أو لا يستجيب، وبمختلف الوسائط الجمعية، وفى كل المجالات، فالصيرورة لا

(1) هو انتقال الشيء من حالة إلى أخرى أو من زمن إلى آخر، وهي مرادفة للحركة والتغيير.

تكـف عـن الحركـة: ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. [النمل: 91-93]

الله أكبر من أين يأتي هؤلاء المفكرون بهذه الكلمات؟ وبهذا التفسير؟ كيف يستطيع الربط بين الأفكار؟ وكيف ربط هنا خطاب الأمة بالإنسان؟ وكيف ربط التكليف بالأمانة؟! وكيف وضح الخيانة والمسؤولية؟! ثم كيف ارتبطت الأمانة بالعدالة أي التكيف بالتأهيل؟! وكيف يكون العدل وتكون الطاعة؟! شيء يبعث على الحيرة، إنهم العلماء ورثة الأنبياء كما أن الشهادة في سبيل الله هي مسألة اختيار واصطفاء (ويتخذ منكم شهداء)، وكذلك العلماء يفتح الله عليهم، ويلهمهم وعده، لينيروا لهذه الأمة طريقها، فإذا كنت ذكيًا فاقرأ لفكر ذكي تكتشف كم أنت غبي وتتواضع قليلًا.

ولكن لكل هذه المحركات التي ذكرناها باتجاه التغيير، مدخل ضروري وحتى واحد هو (الحرية). فالنضال من أجل الحرية لإزالة «البكمة» عن الأمة، ونفي أن تكون «كلا» على قادة أنظمتها عن أولى الأمر علينا و«فينا» ليكون الأمر عنا «ولنا» كما وجهت سورة (النحل) فهذا المدخل الضروري والحتمي باتجاه التغيير.

التغيير الذي تحكمه «جدلية تاريخنا» النافية بدورها للعصبوية الشوفينية[1]، والصراع الطبقي، والأحاديث الأيديولوجية، الانقسامات

(1) هو انتقال الشيء من حالة إلى أخرى أو من زمن إلى آخر، وهي مرادفة للحركة والتغيير.

الفرقية والطوائفية والحزبية، إيذانًا بدخول مجتمع «السلم كافة « كما نصت سورة (البقرة).

فالحرية مدخل كل تغيير، والنضال من أجلها هو النضال عينه من أجل التغيير، على طريقتنا نحن كمسلمين لا على طريقة غيرنا، بأفكارنا لا بأفكار غيرنا.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمه للعالمين.

الفهم الدقيق

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإسلام بالهدى، ونكت في قلوب أهل الطغيان فلا تسعى للحكمة أبدا.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، علمنا وفهمنا، وعلى آله وصحبه دائمًا وأبدا.

إن الفهم بأنواعه وأشكاله من الأشياء النادرة والتي يفتقر إليها الكثير من الناس فبداية الفهم في اللغة: حسب تصور المعنى، والفهم: جودة استعداد الذهن للاستنباط.

ومن معاني الفهم: الفقه.

نقول فقه: بمعنى فهم، وفقه: أي سبق غيره بالفهم، وفقه صار الفقه له سجية[1].

فالفقه: الفهم والعلم، فقه الأمر: أحسن إدراكه[2]، فاقه: غالبه في الفقه أي العلم.

والفقيه: هو العالم الفطن. وذكر في فتح الباري أن أصل الوحي: التفهيم.

أما الفهم اصطلاحًا: فهو حسب الموضوع الذي نتحدث فيه، فهناك

(1) فتح الباري، العسقلاني، (1/ 222).
(2) المعجم الوسيط.

فهم الدين، وفهم العلم، وفهم الحياة، وفهم الأسرة، وفهم الواقع، وفهم الآخرين، وفهم الدعوة... الخ.

والمقصود بالفهم هنا كما بينه الإمام حسن البنا: «هو أن نوقن بأن فكرتنا إسلامية صحيحة وأن نفهم الإسلام كما نفهمه في حدود هذه الأصول العشرين، وسنتحدث عنها لاحقًا».

وسنذكر في البداية العلم[1]: «فاعلم أنه لا إله لا الله» فبدأ بالعلم، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، من أخذه بحظ وافر، ومن سلك طريقًا يطلب به علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]، وقال ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرًا يفقهه». وإنما العلم بالتعلم وذكر هذا الباب العلم قبل القول والعمل، قال ابن المنير: «أراد أن العلم شرط من صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليها؛ لأنه مصحح النية المصححة للعمل، فنية المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: «إن العلم لا ينفع إلا بالعمل»، تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه.

فالناس في الفهم ليسوا سواء، فما أكثر الناس في تفاوت المفهوم، حتى العلماء يتفاوتون.

(1) فتح الباري، ص215-216.

التفاوت الكثير في الأصول والفروع.[1]

فترى أقوامًا يسمعون أخبار الصفات فيعملونها على ما يقتضيه الحس، كقول قائلهم: «ينزل بذاته إلى السماء ويتمثل»، وهذا فهم رديء، وأما في الفروع فكما يُروى عن داود أنه في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه»، فقال: إن بال غيره جاز[2].

فكما يقول الشاعر:

وكم من عائب قولًا صحيحًا وآفتـــهُ من الفهم السقيم

من هنا يتبين لنا أن الفهم نوعان: فهم صحيح وفهم سقيم.

لذلك استعاذ العلماء من سوء الفهم، وكان صلى الله عليه وسلم يدعو ربه: «اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه». وهذا لأن كثيرًا من الجهال أو العامة من الناس يرون الحق باطلًا والباطل حقًا، ويعتقدون اعتقادًا جازمًا أنهم على صواب.

يقول القرضاوي: «أول حقوق العلم على طالبه أو صاحبه: أن يبذل فيه جهده، حتى يحكمه ويتقنه ويهضمه وينتقل به من مرتبة (العلم) إلى مرتبة (الفقه) بمعنى ألا يقف عند الظواهر، وإنما يغوص إلى المقاصد، وألا تشغله الألفاظ عما وراءها من معان، وألا تغرقه الجزيئات فينسى الكليات»[3].

(1) صيد الخاطر، الجوزي، ص388، تحت عنوان «قلة الفهم».
(2) المصدر السابق.
(3) في الطريق إلى الله، القرضاوي، ص121.

ثـم يزيـد ويقـول: «وأول مراتـب الفقـه، أن ينتقـل مـن الروايـة إلى الدرايـة، ومـن الحفـظ إلى الفهـم، فيفهـم عـن الله ورسـوله مرادهمـا، ويسـأل أهـل العلـم».

فعلـماء الأمـة يركـزون دائـمًا عـلى الفهـم ففـي كتـاب «الإسـلام وثقافـة الإنسـان» يذكـر الكاتـب في القسـم الأول مـن كتابـه فهـم العقيـدة فهـما يتفـق مـع الفطـرة[1]؛ لأن الفهـم الخاطـئ لأنـاس الديـن وهـو العقيـدة فهـذا يـؤدى بالإنسـان إلى الكفـر والخـسران المبـين، ففهـم العقيـدة أسـاس كل الأفهـام وأسـاس كل العلـوم.

ثـم يذكـر موضوعًـا بعنـوان «المفاهيـم والمعلومـات»، ويقـول المفاهيـم: «معـاني الأفـكار لا معـاني الألفـاظ»، وذكـر أن المفاهيـم هـي المعـاني المـدرك لهـا واقـع في الذهـن، أمـا معـاني الألفـاظ والجمـل فـلا تسـمى مفهومًـا، بـل مجـرد معلومـات، وتتكـون هـذه المفاهيـم مـن ربـط الواقـع بالمعلومـات أو ربـط المعلومـات بالواقـع.

وأفـكار الإسـلام مفاهيـم وليسـت معلومـة لمجـرد المعرفـة، وكونهـا مفاهيـم لهـا مدلـولات واقعـة في معـترك الحيـاة وليسـت مجـرد شرح الأشـياء التـي يفـترض المنطـق المجـرد وجودهـا، بـل كل مدلـول يـدل عليـه واقـع يمكـن الإنسـان أن يضـع إصبعـه عليـه سـواء كانـت مفاهيـم عميقـة يحتـاج إدراكهـا إلى اسـتنارة، أو كانـت ظاهـره يمكـن فهمهـا بسـهولة[2].

وفي القسـم الثـاني مـن الكتـاب يتحـدث عـن المفاهيـم ومصادرهـا،

(1) الإسلام وثقافة الإنسان، سميح عاطف، ص8.
(2) الإسلام وثقافة الإنسان، سميح عاطف ص 8.

ويبدأ بالتحدث عن الأهم فالأهم مثل مفهوم المبدأ، وحرية الرأي، وحرية العقيدة، والحرية الشخصية، والنظام، والمجتمع الإسلامي والأخلاق والدستور والقانون، وعلوم التربية، وعلوم الاجتماع، والشركات، وأسهم الشركات، والبنوك والنقود[1].

فكل هذه الأشياء وغيرها من أمور الحياة تحتاج إلى الفهم الصحيح حتى لا يزل الإنسان أو يحيد.

وما يؤيد ذلك ما ذكر ابن حجر في باب «رب مبلغ أوعى من سامع»، أي أفهم لما أقول من سامع مني[2] ثم يؤكد ويذكر باب «الفهم في العلم» ورد حديث لابن عمر: «كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتى بحمار فقال: إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم» فأردت أن أقول هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم فسكت، قال النبي صلى الله عليه وسلم: هي النخلة». فهنا ابن عمر لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم المسألة عند إحضار الحمار إليه، فهم أن المسؤول عنه النخلة، فالفهم فطنة يفهم بها صاحبه من الكلام ما يقترن به من القول أو الفعل[3].

وكذلك حين قال صلى الله عليه وسلم: «إن عبدًا خيّره لله» فبكى أبو بكر، وقال: فديناك بآبائنا، فتعجب الناس! وكان أبو بكر قد فهم من المقام أن النبي صلى الله عليه وسلم هو المخير بين الموت والحياة[4].

(1) الإسلام وثقافة الإنسان، ص 109.
(2) فتح الباري، العسقلاني، ص 213، الجزء الأول.
(3) فتح الباري، أصله، ص 197، ص 222، الجزء الأول.
(4) فتح الباري، أصله، ص 223، الجزء الأول.

الفرق بين العلم والثقافة:

يقال في اللغة: علم الرجل علمًا، إذا حصلت له حقيقة العلم.

وعلم الشيء: عرفه، وأعلمه الأمر: أطلعه عليه.

أما الثقافة: الحذق، يقال تقف الكلام ثقافة أي حذقهُ وفهمه بسرعة.

فالعلم اصطلاحًا: هو المعرفة التي تؤخذ عن طريق الأخبار والتلقي والاستنباط كالتاريخ واللغة والفقه[1].

وقيل غير ذلك في كليهما، فهذا تعريف غير حاضر.

فقيل في العلم: هو إدراك الشيء على حقيقته، أو هو إدراك الشيء على ما هو به.

وقيل الثقافة: هي أن تعرف عن كل شيء شيئًا.

يقول سيد قطب _رحمه الله_: «الفرق بعيد، جد بعيد بين أن نفهم الحقائق، وأن ندرك الحقائق».

إن الأولى: العلم، والثانية هي: المعرفة!

في الأولى: نحن نتعامل مع ألفاظ ومعان مجردة، مع تجارب ونتائج جزئية.

وفى الثانية: نحن نتعامل مع استجابات حية، ومدركات كلية.

(1) الإسلام وثقافة الإنسان، ص 282.

في الأولى: ترد إلينا المعلومات من خارج ذواتنا، ثم تبقى في عقولنا متحيزة متميزة.

وفى الثانية: تنبثق الحقائق من أعماقنا، يجرى فيها الدم الذي يجري في عروقنا وأوشاجنا، ويتسق شعارها مع نبضنا الذاتي!

في الأولى: توجد «الخانات»، والعناوين: خانة العلم وتحتها عنواناته وهي شتى. خانة الدين وتحتها عنوانات فصوله وأبوابه، وخانة الفن وتحتها عنوانات مناهجه واتجاهاته.

وفى الثانية: توجد الطاقة الواحدة، المتصلة بالطاقة الكونية الكبرى، يوجد الجدول السارب، الواصل إلى النبع الأصيل[1].

وعودة إلى الفهم الذي بينه الإمام الشهيد حسن البنا، قال: «إنما أريد بالفهم، أن توقن بأن فكرتنا إسلاميه صحيحة، وأن تفهم الإسلام كما نفهمه، في حدود هذه الأصول العشرين، ونذكر منها:

- الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا في دولة ووطن، أو حكومة وأُمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة، سواء بسواء.

- والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع لكل مسلم في تعرف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن طبقًا لقواعد اللغة العربية في غير تكلف

(1) أفراح الروح، سيد قطب، ص 12.

ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث.

- والإيمان الصادق والعبادة الصحيحة، والجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية، ولا تعتبر إلا شرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه.

- والتمائم والرقي والمودع والحملة والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب، وكل ما كان من هذا الباب منكر، تجب محاربته، إلا ما كان آية من آيات القرآن أو فيه رقية مأثورة.

- ورأي الإمام ونائبه فيما لا نص فيه، وفيها يحتمل وجوهًا عدة وفي المصالح المرسلة، معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير حسب الظروف والعرف والعادات.

- وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم، وكل ما جاء عن السلف الصالح رضوان الله عليهم موافقًا للكتاب والسنة قبلناه، وإلا كتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع، ولكنا لا نعرض للأشخاص _فيما اختلف فيه_ بطعن أو تجريح ونكلهم إلى نياتهم، وقد أفضوا إلى ما قدموا[1].

- ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إمامًا من أئمة الدين، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلته، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده

(1) رسائل الإمام حسن البنا، ص 356.

صلاح من أرشده وكفايته، وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر.

- والخلاف في الفروع لا يكون سببًا للتفرق في الدين، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء، ولكل مجتهد أجره، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب.

- وكل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعًا، ومن ذلك كثرة التفريقات للأحكام التي لم تقع، والخوض بين الأصحاب _رضوان الله عليهم_ وما شجر بينهم من خلاف، ولكل منهم فضله.

- معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيد وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يلحق بذلك من التشابه، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء، ويسعنا ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: 7].

- وكل بدعة في دين الله لا أصل لها، استحسنها الناس بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه، ضلالة يجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها،

- والبدعة الإضافية والتزكية والالتزام في العبادات المطلقة خلاف فقهي، لكل فيه رأيه، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان.

- ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 63].

- وزيارة القبور أيًا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًا كان ونداؤهم لذلك وطلب العون منهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر يجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سدًا للذريعة.

- والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة.

- والعرف الخاطئ لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها، والوقوف عندها، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء.

- والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما المطلوب شرعًا وإن اختلفت مرتبتا الطلب.

- والإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء.

- وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر، وكلاهما لن يختلفا في القطعي فلن تصطدم حقيقة علمية بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤول الظن منها ليتفق مع القطعي، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار.

- لا نكفر مسلمًا أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض -برأي أو معصية- إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملًا لا يحتمل تأويلًا غير الكفر.

فإذا علم الأخ المسلم «دينه» في هذه الأصول، فقد عرف معنى هتافه دائمًا «القرآن دستورنا، والرسول قدوتنا»[1].

إذن المطلوب هو أن نفهم إسلامنا فهمًا صحيحًا كما وضحنا سابقًا، وكما بين الإمام حسن البنا.

فمن العجب العجاب أن الفهم هذه الأيام في هذا الزمان أصبح فهمًا منكوسًا، فترى الشاب قبل أن يلتزم بإسلامه هاشًا باشًا، بارًا بوالديه، عطوفًا على أهله، يحب أخاه وأخته، ويصل رحمه، ويرحم جاره، ويخفض الجناح لمن حوله، فلما أنعم الله عليه بنعمة الإسلام إذا به يفهمه بهواه فتراه مثلًا مقطب الجبين، مكفهر الوجه، عبوسًا قمطريرًا، لا يعرف بسمة على شفتيه، لا يرحم صغيرًا ولا يوفر كبيرًا، ينهر أمه، ويغلظ على أبيه، يقاطع أخاه، ولا تراه إلا محتقرًا لمن يراه خاصة إذا خالفه الرأي.

وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصد هؤلاء فيقول: "إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء»، فقيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا كان المَغْنَمُ دُولًا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجلُ زوجته، وعقَّ أمه، وبرَّ صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات

(1) رسائل الإمام حسن البنا، ص 359.

في المساجد، وكان زعيمُ القوم أرذلَهم، وأُكرم الرجل مخافة شره، وشُربت الخمور، ولُبس الحرير، واتخذت القَيْنات والمعازف، ولعن آخرُ هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو خسفًا، ومسخًا".

فلابد للداعي أن يشعر المدعو بعاطفته نحوه، ويشعره أنه لا لغيره ولن يكون عليه يومًا من الأيام، فإن قساة القلوب ينفرون الناس ويفرقون ولا يجتمعون والداعية ليس كذلك.

فكم من المسلمين اليوم بحاجة للفهم الصحيح السليم، فهذه الأيام نراهم يوحون لأوليائهم أن التمسك بالإسلام والعمل به نوع من التعصب، وهنا يقع نوع من اللوم على المسلمين الذين فهموا الإسلام فهم خاطئًا فاعتزلوا الناس وكفروهم أو عبسوا في وجوههم وتكبروا عليهم، والإسلام ليس كذلك.[1]

إن القرآن نزل ليعرف الناس بأمور أربعة قبل أن يكلفهم بأي تكلف وهذه الأمور هي:

1. عرفهم بربهم ليعبدوه.
2. عرفهم بأنفسهم ليبصروا حقيقة وجودهم.
3. عرفهم بالكون ليسخروه ويعمروه.
4. عرفهم بالمصير الذي ينتظرهم في آخراهم.

كل هذا ليتضح التصور الصحيح، والاعتقاد السليم، والفهم الدقيق، فيصبح السلوك تبعًا لذلك؛ لأن السلوك مرتبط ارتباطًا وثيقًا

(1) الدعوة ومنهاج الدعاة، ص 180.

بالتصـور وبصحتـه، وينحـرف بانحرافـه، ولا يسـتقيم السـلوك السـليم إلا بأمريـن همـا (صحـة الاعتقـاد، صحـة الاتبـاع).

فالفهم الفهم يا عبد الله، والحذر الحذر من سوء الفهم!

فأقل موجود في الناس الفهم، والغوص على دقائق المعاني.

اللهم انفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، آمين!

الظن والتجسس

الحمد الذي علمنا ما لم نعلم، والحمد الله الذي نسأله أن يزيدنا علمًا ينفعنا، وعملًا يرفعنا، ونسأله أن يرزقنا قلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، وجسدًا على البلاء صابرًا.

والصلاة والسلام على معلمنا وقدوتنا ومرشدنا وقائدنا محمد صلى الله وعليه وسلم، وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين ومن سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إن الإسلام العظيم هو دين الله الصالح لكل زمان ومكان الذي يراعي متطلبات العباد واحتياجاتهم على مر العصور باختلاف مراحل حياتهم التي يعيشون.

فالشريعة الإسلامية وضعت قوانين ربانية، وطالبت الأمة الإسلامية بتطبيقها؛ لأن فيها الصلاح لهم في الدنيا والآخرة كما طبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك صحابته والتابعون من بعده.

هذه القوانين المتمثلة بترك المنكرات كالغيبة والنميمة وأكل أموال اليتيم وقتل النفس بغير حق والزنا والربا والظن والتجسس... الخ.

وفعل الخيرات كبّر الوالدين والإحسان والجهاد والصدقات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. الخ، فهذا كله وغيره الكثير نجده في كتاب

الله الكريم والسنة المطهرة، والسيرة النبوية.

وهذا بحث مختصر جدًا عما قاله العلماء والمفسرون في الظن والتجسس، معناها، أسبابها، الآيات والأحاديث المتعلقة بها، الجائز وغير الجائز منها، ومردودها على المجتمع المسلم.

وقد أُريد من الحديث عن الظن والتجسس أهداف عديدة منها:

توضيح مدى حرص الإسلام على تعزيز الثقة بين المسلمين وتماسكهم.

بيان السلبيات التي تعود على المجتمع إن وجدت فيه هذه الصفات من تفكك وانهيار.

بيان الإثم الذي سيقع فيه المسلم إذا ظن أو تجسس.

لفت انتباه الدعاة والمربين إلى تربية أنفسهم وطلابهم ومجتمعهم على ترك هذه الخصال المذمومة.

الظن

من العادات والصفات السيئة التي عالجها الإسلام ونهى عنها الظن والتجسس، لما تعود به على الأفراد والمجتمع من كره وحقد وظلم وتفكك وغيره.

فالظن لغة، ظن الشيء: أي علمه بغير يقين، ويقال أظنه: أي اتهمه.

والظن: إدراك الذهن الشيء مع ترجيحه، عندما تأتى بمعنى اليقين،

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 46].

والظنون: كل ما لا يوثق به، والظنة: التهمة.

وما نريد التحدث عنه، هو الظن الذي نهى الله عنه، وهو بمعنى التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله[1].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾. [الحجرات: 12]

هذه الآية تقيم سياجًا في المجتمع الفاضل الكريم حول حرمات الأشخاص وكراماتهم وحرياتهم، بينما هي تعلم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم في أسلوب مؤثر عجيب.

والله سبحانه وتعالى هنا نهى المؤمنين عن كثير من الظن؛ لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا، وكذلك نرى الحرص على الظن الحسن، يقول عمر بن الخطاب _رضى الله عنه_: «لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا وأنت تجد لها في الخير محملًا».[2]

فالله سبحانه وتعالى بدأ بالآية بذلك النداء الحبيب «يا أيها الذين آمنوا»، ثم تأمر المؤمنين باجتناب كثير من الظن فلا يتركون نفوسهم نهبًا لما يهجس فيها حول الآخرين من ظنون وشبهات وشكوك، وتعلل هذا الأمر «إن بعض الظن إثم»، وما دام النهى منصبًا على أكثر الظن، والقاعدة أن بعض الظن إثم، فإن إيحاء هذا التعبير للضمير هو اجتناب الظن السيء

(1) المعجم الوسيط.
(2) ابن كثير.

أصلًا؛ لأنه لا يدري أي ظنونه تكون إثمًا.

بهذا يظهر القرآن الكريم الضمير من داخله أن يتلوث بالظن السي، فيقع في الإثم، ويدعه تقيًا بريئًا من الهواجس والشكوك، أبيض، يكن لإخوانه المودة التي يخدشها ظن السوء، والبراءة التي تلوثها الريب والشكوك، والطمأنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع، وما أروح الحياة التي تكون في مجتمع بريء من الظنون[1].

يقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة: «إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ». [البخاري ومالك]

فهذا أيضًا هو الظن المنهي عنه، فليس المراد هنا ترك العمل بالظن الذي تناط به الأحكام غالبًا بل المراد هنا ترى تحقيق الظن الذي يظن بالظنون به، وكذا ما يقع في القلب بغير دليل، وذلك أن أولئك الظنون إنما هي خواطر لا يمكن رفعها[2].

وقال القرطبي: المراد بالظن هنا التهمه التي لا سبب لها كأن يتهم رجل بالفاحشة وغير دون أن يظهر عليه ما يقتضيه.

فكما نهى الإسلام عن سوء ظن الأخ بأخيه أي على مستوى الأفراد؛ فكذلك نهى كل مسئول أن يجعل سوء الظن أساسًا لمعاملته لمن هو مسؤول منهم لقوله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الأميرَ إذا ابتغى الرِّيبةَ في النَّاسِ أفسَدَهُم»، فيجعلهم لا يثقون ببعض، فيترتب على ذلك ضياع

(1) ابن كثير، الجزء الثالث، ص 364.
(2) الظلال، الجزء السادس، ص3345.

المصالح العامة والخاصة والعديد من المفاسد.

فالأمر لا يقف في الإسلام عند هذا الأفق الكريم في تربية الضمائر والقلوب كما ذكر لنا في الآية والحديث، بل إن هذا النص يقيم مبدأ من التعامل وسياجًا حول حقوق الناس الذين يعيشون في مجتمعه النظيف فلا يؤخذون بظنة، ولا يتحاكمون بريبة، ولا يصبح الظن أساسًا لمحاكمتهم، بل لا يصح أن يكون أساسًا للتحقيق معهم ـ كما نرى في دولنا العربية والإسلامية ـ فلا يكفي الظن لكي تعاقب الآخرين[1].

المعفى عنه من الظن:

الإسلام دين يسر لا عسر، جاء مطابقًا لفطرة الإنسان، فهو دين الفطرة، عالمًا بكل ما يدور في النفس لا يطلب من العبد إلا ما يستطيع، وتساهل وعفا عما لا يستطيع، فقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، وقال صلى الله عليه وسلم: «وإذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ»، أو كما قال فعندما نهانا عن سوء الظن علم أن الظن ملازم لفطرة الإنسان فوضع الحل والخلاص، فقال صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثٌ لازِمَاتٌ لأُمَّتِي: الطِّيَرَةُ، وَالْحَسَدُ، وَسُوءُ الظَّنِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: فَمَا يُذْهِبُهُنَّ يَا رَسُولَ الله مِمَّنْ كُنَّ فِيهِ؟ قَالَ: إِذَا حَسَدْتَ فَاسْتَغْفِرْ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلاَ تَحَقِّقْ، وَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَأَمْضِهِ» [رواه الطبراني]، والشاهد هنا (إذا ظننت فلا تحقق) أي يبقى الناس أبرياء مصونة حقوقهم وحرياتهم، فاطرد هذه الوساوس من رأسك حتى لا تقع في إثم أكبر كالتجسس ثم الغيبة، أما ما لا يقدر عليه المسلم لا يكلف به لقول صلى الله عليه وسلم: «إن الله

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ص 103، الجزء 12.

تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها مالم يتكلموا به»، وهنا نرى ويتبين لنا أن الإنسان إذا تكلم وقع في الخطأ والإثم، وهذه دعوة إلى إمساك اللسان، فكل كلمة تخرج منك إما لك وإما عليك وآفات اللسان كثيرة وكثيرة جدًا[1].

وبما أن الإسلام نهانا عن سوء الظن، فيفهم ضمنيًا أنه أوصانا بعكسه، وهذا ما يعرف «بمفهوم المخالفة» أي أن الإسلام أوصانا بحسن الظن، ونرى ذلك في قول عمر السابق: «لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا وأنت تجد لها في الخير محملًا»، وهذا لما يترتب على سوء الظن من صفات وأفعال مذمومة تنتج عن سوء، فعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أفضل قال: «أفضلُ النَّاسِ كلُّ مخمومِ القلبِ، صدوق اللِّسانِ»، فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقى النقي الذي لا إثم في قلبه ولا بغي ولا غل ولا حسد»، فهذه الصفات لا تكون إلا نتيجة لسوء الظن بالأخلاق والناس.

فحسن الظن بالمسلمين خلق إسلامي أصيل، أرشدنا إليه القرآن الكريم، وتعلمناه من رسولنا الأمين، وطبقه ومارسه الصحابة والتابعون، ليكون لنا خلقًا إلى يوم الدين، فالتفحص المتدبر لآيات القرآن الكريم: يدرك أن حسن الظن من الأخلاق الحميدة التي ينبغي أن يتحلى بها كل فرد وقائد ومسؤول وكل مجتمع مسلم، بل فضيلة من الفضائل التي يجب أن تسود المجتمع الإسلامي المستقيم على أمر الله تعالى، فإذا باع الفرد شيئًا مثلًا حمل على ظاهره الذي وقع العقد به، ولا يبطل بمجرد توهم أنه سلك به مسلك الحيلة[2].

(1) المادة المقررة، الحديث التحليلي.
(2) فتح الباري، جزء 12، ص 103.

والقائد المسؤول لا ينبغي له أن يسجن ويعذب ويعاقب بمجرد أنه توهم كذا وكذا.

وهذا لا يعنى أن يكون المسلم ساذجًا يسخر منه الآخرون ويخدعونه، بل المسلم عاقل لكل ما يدور حوله فالمسلم كما قال صلى الله عليه وسلم: «كيس فطن». فحسن الظن كذلك ليس معناه الغفلة عن كيد الأعداء سواء أعداء الأمه أو أعداء الشخص، وعن مكرهم وسوء سعيهم، وإنما تعنى اليقظة والحذر والحرص، لكن دون شرط، أو تحميل الأشياء ما لا تحتمله، فكم من شائعات كاذبة، وكم من أراجيف باطله، وكم من تهم فاسدة، أساسها سوء الظن دون مبرر، ومبعثها الأحقاد والأهواء والابتزاز والشهوات والانقياد للهوى وللمنافع الذاتية، التي تتنافى مع كل خلق كريم وسلوك حميد.

ولقد ضرب المؤمنون والمؤمنات أروع الأمثال في حسن الظن بغيرهم من المسلمين، فأبو أيوب الأنصاري عندما أشاع مرضى النفوس حديث الإفك عن أم المؤمنين عائشة _رضى الله عنها_، يقول لامرأته: «يا أم أيوب، أسمعت ما يقوله بعض الناس عن عائشة؟»، قالت: «سمعت وهذا هو الكذب»، ثم قالت له: «هل لو كنت مكان صفوان _وهو الذي اتهم عائشة_ أكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءًا؟» قال: لا، فقالت: «ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة خير مني وصفوان خير منك».

ما يجوز من الظن[1]:

ما أظن النفي لا لنفى الظن، والذي وقع في هذا الحديث ليس من الظن المنهي عنه؛ لأنه في مقام التحذير من مثل من كان على حال كحال الرجلين، وإنما النهي عن سوء الظن بالمسلم السالم في دينه وعرضه، وقد قال ابن عمر: «إنا كنا إذا فقدنا الرجل في عشاء الآخرة أسأنا به الظن»، ومعناه أن لا يغيب إلا لأمر سيء إما في بدنه وإما في دينه.

كما أعتقد أنه من الجائز بل الواجب أن نظن بالعدو السيء، وأن نحمل الأمور ما لا تحتمله، وأن نشك في كل شيء يصدر منه، لكن دون تصريح؛ لأن العدو لا يمكن أن يسامح أو أن ينسى أو أن يتنازل أو أن يفعل أي شيء دون مقابل، ولا يمكن أن يتعامل بالأخلاق الإسلامية فالمسلم يلتزم بالعهود مع العدو، ولكن مع الأخذ بأقصى درجات الحيطة والحذر، حتى لا يؤذى ويقع في الفخ ويهلك، وكما يقول سيدنا عمر _رضي عنه_: «لست بالخب ولا الخب يخدعني»، أي ليس المسلم بالخداع الغشاش ولا الخداع يخدع المسلم، لأن المسلم من المفروض أن لا تنطلي عليه الحيل ويكون حذرًا. والله أعلم.

فعلى المسلم أن يجعل من شأنه حسن الظن بإخوانه وأصحابه، وأن يطرد سوء الظن بهم، وأن يرفضه فيهم، فيعينه ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مغمزًا، فإنما يكتفى الشيطان بالقليل من وهنك، فيدخل عليك من الغم بسوء الظن بأصدقائك، ما ينغص لذاذة عيشك.

وأعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة[2] يا ابن آدم عرفتَ فالزم

(1) فتح الباري، جزء 12، ص 108، باب ما يجوز من الظن.
(2) فصول في الإمرة والأمير، سعيد حوى، ص 205.

أما التجسس:

التجسس غالبًا ما يطلق في الشر ومنه الجاسوس.

التحسس غالبًا ما يكون في الخير ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

قال الأوزاعي، التحسس: البحث عن الشيء.

والتجسس: الاستماع إلى حديث القوم.

وفى كلتا الكلمتين (التحسس والتجسس) حذف إحدى التاءين تخفيفًا.

وقال الخطابي، معناها: لا تبحثوا عن عيوب الناس ولا تتبعوها.

فكما وضحنا معنى الظن وما نهى الله عنه منه، ففي نفس السياق أيضًا نهى الله عن التجسس فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾. [الحجرات: 12]

فهنا دل سياق الآية على الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة، لتقدم النهي عن الخوض فيه بالظن فإن قال الظان أبحث لأتحقق قيل له:﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾، فإن قال تحققت من غير تجسس _وهذا صعب بل مستحيل_ قيل له:)وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا(، وإن قال لم أغتب أو استهان بالغيبة، وضح له الله بالمثل بخطورتها وقذارتها وشناعتها فقيل له:)أَيُحِبُّ

أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ(، ثم يأمره بالتقوى والابتعاد عن كل هذه الصفات (وَاتَّقُوا الله).

وهذا يعنى أن التجسس هنا يكون هو الحركة التالية للظن، وقد يكون حركة ابتدائية لكشف العورات والاطلاع على السوءات.

والقرآن الكريم يقاوم هذا العمل الدنيء من الناحية الأخلاقية، لتطهير القلب من مثل هذا الاتجاه اللئيم لتتبع عورات الآخرين وكشف سوآتهم، وتمشيًا مع أهدافه في نظافة الأخلاق والقلوب.

والأمر أبعد من هذا أثرًا، فهو مبدأ من مبادئ الإسلام الأساسية الرئيسية في نظامه الاجتماعي، وفى إجراءاته التشريعية والتنفيذية، «ففي المجتمع الإسلامي الرفيع الكريم يعيش الناس آمنين على أنفسهم وبيوتهم وأسرارهم وعوراتهم، ولا يوجد مبرر ـ مهما يكن ـ لانتهاك الحرمات، حتى ذريعة تتبع الجريمة وتحقيقها لا تصلح في النظام الإسلامي ذريعة للتجسس على الناس، فالناس على ظواهرهم وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم، وليس لأحد أن يأخذهم إلا بما ظهر منهم من مخالفات وجرائم. وليس لأحد أن يظن أو يتوقع، أو حتى يعرف أنهم يزاولون في الخفاء مخالفة ما، فيتجسس عليهم ليضبطهم، فعن مجاهد: «لا تجسسوا: خذوا بما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله».

قال أبو داود: «حدثنا أبو بكر ابن شيبه قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، قال: أتى ابن مسعود، فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمر. فقال: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن ظهر لنا شيء نأخذ به»[1].

(1) الظلال، سيد قطب، ص 3346.

فأين هذا المدى البعيد؟ وأين هذا الأفق السامق؟ وأين نحن من هذا اليوم؟ وأين من يدعون الحرية وحقوق الإنسان؟ والأهم من هذا كله أين المجتمع الإسلامي من ذلك اليوم؟!

ما يستثنى من التجسس:

ذكر الماوردي استثناء للتجسس فقال: «ما لو تعين طريقًا إلى إنقاذ نفس من الهلاك، مثلًا كأن يخبر ثقة بأن فلانًا خلا بشخص ليقتله ظلمًا أو بامرأة ليزني بها، فيشرع في هذه الصورة التجسس والبحث عن ذلك حذرًا من فوات استدراك»[1].

وكذلك جائز التجسس على الأعداء لمعرفة أخبارهم فقد كان صلى الله عليه وسلم يرسل العيون ليأتوه بخبر القوم ليأخذ استعداداته.

فالإسلام نهى عن الظن والتجسس فقال صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا»[2].

وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم».

فهكذا أخذ النص في الآيات والأحاديث طريقه في النظام العملي للمجتمع الإسلامي، ولم يعد مجرد تهذيب للضمير وتنظيف للقلب، بل صار سياجًا حول حرمات الناس وحقوقهم وحرياتهم، فلا تمس من قريب أو بعيد تحت أي ذريعة أو ستار.

(1) العسقلاني، فتح الباري، ص 104.
(2) البخاري، 6066.

لا يسمع إلا نفسه

قلت له أريد منك دفتر (الكشكول) الخاص بك، فأرسل لي دفترين جديدين، عدت إليه قائلًا: أأنت غبي؟! قال: اعتبرني كذلك! قلت: أنت كذلك دون أن أعتبرك! لقد طلبت منك دفترك الخاص، فأرسلت لي شيئًا آخر، قال: عذرًا لم أكن قد فهمت قصدك، اعتقدت أنك تريد دفترًا لتكتب عليه، قلت: كلا، بل أنت لم تسمع كلامي! فكيف ستفقه قولي، فعبرت أمري، أثرت غضبي، ورفعت ضغطي، فلن أشركك _بعد اليوم_ في أمري.

لا يكاد يخلو يوم من الأيام دون أن أتحدث إلى أحد في الشرق، فيجيبني في الغرب، حتى وصل بي الحال قبل أن أتحدث لأحد، أتأكد أن الشخص قد أعارني سمعه، وإذا بدأت بالحديث، وشرع يلتفت يمنه ويسره، وسرح بخياله، غير مصغ ولا منتبه، توقفت! وإن عاد واستيقظ على نفسه بعد دقائق، وطلب مني الاستمرار، أعرضت ورفضت، وتذرعت بأن الحديث انتهي، عملًا بقول علي بن أبى طالب _رضي الله عنه_: «من لم ينشط لسماع حديثك فأرحه من مؤونة الاستماع إليك».

تم تطور الحال، وتفاقمت المشكلة، فلا أكاد أشارك أحدًا في الحديث، أو أستشير أحدًا أو آخذ برأي أحد، أعلم علم اليقين أنه لا يحب أن يسمع إلى نفسه، وأصبحت هذه عادته التي دأب عليها بقصد أو بدون. وكنت وما زلت أقول لنفسي التي ليس لي سواها لأخاطبها عندما

تصبحون مستمعين جيدين، تحترمون الآخر، عندها أطرح رأيي، واستمع إليكم، فلا يعقل أن أستمع لأحدهم ساعة كاملة _وغالبًا أكثر_ حتى عرفت بصبري وتحملي ومقدرتي على الاستماع في المقابل هو لا يستطيع أن يستمع دقيقة واحدة دون مقاطعة.

أيها الثرثار تمهل! لقد قال الذين يجيدون فن الاستماع: إذا أردت أن يحبك الناس، فلابد أن تتعلم فن الاستماع؛ لأن الناس ترتاح لمن يستمع إليهم.

عادة ما يكون هذا الشخص كثير الكلام ثرثارًا، كثير الخطأ، أما لو كان مستمعًا جيدًا، فحقًا سيكون قليل الكلام، قليل الخطأ، قليل الفتنة، بلا غيبة، ولا نميمة، ولا هتك لأعراض العباد، فبالتأكيد كثير الكلام لن يكون في طاعة الله، والخطأ فيه أكثر من الصواب، فالتأني في الاستماع يؤدي إلى التأني في الحديث، والقاعدة تقول: من كثر كلامه كثر خطؤه، تمامًا كما كان شيخه كتابه كان خطأه أكثر من صوابه، فما بالك بمن كان شيخه هوى نفسه ورغباتها وشهوتها وميلوها ونزواتها.

يروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: «يا بنى إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام ثم اجلس (يعني السلام) فإذا أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك في سهامهم (أي ادخل معهم في أمرهم)، وإن أفاضوا في غيره فخلهم وانهض». فما أكثر مجالس السوء مقارنة بمجالس الله!

قال ابن عباس: لجليسي عليّ ثلاث: أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأوسع له إذا جلس، وأصغي إليه إذا حدث.

فاستمع للآخرين ـ يرحمك الله ـ كما تحب أن يستمع الآخرون إليك، لكي ينصحوك ويساندوك ويقيلون عثرتك؛ لأن الذي لا يسمع إلا صوته، كالذي قتل نفسه بيده، فلا أحد يبكي عليه.

لماذا بقي السيد سيدًا؟ لأن العبد بقي عبدًا!

إن الفطرة التي خلق الله الناس عليها تقتضي أن يعبد الخلق الخالق؛ لذلك بحث البشر منذ أن خلقوا عن إله عظيم يعبدونه، فمنهم من اعتقد وعبد الشمس، القمر، النجوم، الليل، النهار، الحجر، الشجر، الحيوان. فكانت العظمة بالنسبة لهم أن لا يشبهه أحد في صفاته وأفعاله، مختلفًا عن البشر، بالرغم من أن منهم من عبد توافه ليس لها أي ميزة كالأصنام والحيوانات، فأقلهم عقلًا عبَد أصحاب القبور الصالحين ظنًا أنهم يمتلكون من الصفات ومكارم الأخلاق ما لا يتملكه العامة من معجزات وكرامات.

ظل الإنسان يبحث عن الكبير العظيم، كل حسب حسن فطرته أو سوئها، فإبراهيم عليه السلام صاحب الفطرة السليمة لم تقنعه الكواكب ولا القمر ولا الشمس فكان عندما يراها يقول مستغربًا مندهشًا متسائلًا: هذا ربي؟! فلما أدرك بعقله أن ما من كبير إلا وهناك أكبر منه، وما من شيء رآه إلا وأفل، فلم يستطع إدراك الإله العظيم قال متسلمًا: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام: 77]، ثم قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 78]، ثم قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79].

لم يكن ذلك إلا لأن عقولهم سليمة، وفطرتهم أسلم، لم يشبها شائب ولم يعكرها معكر، ولم يستطع أن يعبث بها عابث، وليس لأن الله اصطفاهم ليكونوا أنبياءه ورسله وصفوه خلقه _وإن كان_، قس بن ساعدة، ومن كان معه أو على شاكلته وقد اقتربوا العشرين رجلًا؛ لم تقنعهم آلهة قومهم من الأصنام، وبحثوا عن الإله العظيم، تم اعتزلوا الناس وصعدوا الجبال بحثًا أو انتظارًا للحنفية السمحاء، دين إبراهيم _عليه السلام_ ثم كيف توصل الفلاسفة _محبو الحكمة_ اليونانيون إلى وجود الله، الذي لم يعرفوه، ولم يعبدوه، وقالوا في صفاته وكأنه ما قيل في القرآن والسنة، لكن على طريقتهم وبعباراتهم.

قال تاليس: «إن للعالم مبدعًا، لا تدرك صفته العقول من جهة هويته، وإنما يدرك من جهة آثاره، وإن فوق السماء عوالم مبدعة، لا يقدر المنطق أن يصف تلك الأنوار ولا يقدر العقل أن يقف على إدراك ذلك الحسن والبهاء».

وأيد ذلك الفيلسوف أناكسوغوراس وغيره مثل فيثاغورس حين قال في الإلهيات، هو واحد لا كالآحاد، ولا يدخل في العدد ولا يدرك من جهة العقل ولا من جهة النفس فلا الفكر العقلي يدركه، ولا منطق النفس يصفه .

وفي قبيلة الماو ماو آمنوا بإله أسموه (موجابي) وصفوه بأنه واحد أحد، لم يلد وليس له كفؤ ولا شبه ولا يُرى، ولا يعرف إلا من أثاره، وأفعاله، وأنه خالق، رزاق، وهاب، ينزل المطر، ويشفي المريض.

هذه الفطرة التي خلق الله الناس عليها، أما أن يخلقهم أسيادًا وعبيدًا لبعضهم البعض فما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، وما هذا إلا من صنع البشر، الناس أصناف وطبقات في العقل والفهم، الأخلاق، المال، العمل، الفقر والغنى، إلا من السيد والعبد.

خلق الله تعالى الناس سواسية كأسنان المشط، أحرارًا، لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، والله لا ينظر إلى ألواننا وأشكالنا وصورنا بل ينظر إلى قلوبنا.

اختار الإنسان العبودية لأخيه الإنسان، فأصبح السيد والعبد، ففرعون والنمرود وغيرهما من الأقوياء، مارسوا الظلم والبطش والدكتاتورية على الإنسان الضعيف، فصنعوا للشعوب سلاسل وأغلالًا أسموها القانون، وتوجوها بالتخويف والعنف بكل أشكاله وأصنافه ليجبروهم على احترامهم، وتقديسهم والسجود لهم والتسبيح بحمدهم، فتمرد سيدنا موسى، وثار إبراهيم، وسار عكس التيار محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الاضطهاد قبل أن تتنزل عليهم الرسالات مطالبين بحريتهم المسلوبة وكيانهم المصادر.

ثم تطور الأمر، أو بالتوازي معه أصبح العبد أسود عند سيده الأبيض ثم الأبيض الفقير عند الأبيض صاحب المال والسلطة، حتى اختلت موازين العبيد وتغيرت جيناتهم، وأصبح لا يستطيع العيش حرًا فكان يبحث الأسود عند سيد يخدمه، عندما جاء الإسلام، وألغى الرق، وكرّم الإنسان، وحرم بيع البشر، وألغى التمييز وحطم الفوارق بين

الناس، وحديثًا يحاول العالم إلغاء العبودية، يحاول، يفشل، وينجح، بعد حروب إبادة بين السود والبيض، ومازال البيع والشراء قائمًا هنا أو هناك لكنه منبوذ ومحارب.

فما كان من الإنسان بعد هذا، إلا أن يبتكر صورة أخرى من صور العبودية، عبودية مقنعة، فلا يرغب ولا يحلو له العيش إلا تابعًا لأحد، وكأنه قد أحدث خللًا في تركيبته الفسيولوجية، في فطرته السليمة، فالفقير يتقرب من الغني والغني يحابى الملك، والمرؤوس يمدح الرئيس، والمسود يعشق السيد، والجندي يطيع الأمير، كما الصغير لا يسير إلا مع الكبير، ومن يمشى في الظلمة يتبع النور، وإن كان هذا فيه شيء من الفطرة وسنة الكون التي خلق الله الكون عليها، لكن هنا نقصد الذى بالغ في حُبه ومدحه وطاعته ومحاباته ومجاملاته وإطراء من هو أرفع منه منزلة وأعظم منه شئنًا، وهذه هي موضة العصر.

وما ذلك إلا منحة من الناس إلى العظماء، فلولا تواضعك _أخي_ بين أيديهم ما علو، ولولا تصاغرك في حضرتهم ما استكبروا، ولولا انحناءتك أمامهم ما صعدوا، ولولا نفاقك ما صدقوا أنفسهم، ولولا رضاك ما واصلوا ظلمهم، ولولا صمتك ما تكلموا، ولولا جهلك ما فقهوا، ولولا غباؤك ما تذاكوا، ولولا فقرك ما استغنوا، ولولا تراجعك ما تقدموا، ولولا صوتك في الصندوق ما نهبوا، ولولا نومك ما استيقظوا.

من أفضل من محمد بن عبد الله الذي قال: لا ترفعوني فوق قدري، فتقولوا فيّ ما قالت النصارى في المسيح فإن الله اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني رسولًا.

قالوا لفرعون ما الذي فرعنك؟ قال لم أجد من يصدني، لذلك من يعترض أو يقول: لا هم قلة، لذلك لم نصل بعد إلى التغيير المطلوب في العقول والنفوس ولا حتى في الدول فانخلع ظالم وجلس أظلم، وطار فاسد وهبط أفسد، وذهب حقير وجاء أحقر، وكل سيد وله عبيده الذين لا يقولون إلا ما قال، ولا يرون إلا ما يرى، يا أخي إن لم تستطيع أن تقول (لا) فلا تقل (نعم) حتى لا يعتقد السيد أنه على حق، وهذا أضعف الإيمان.

لكن «ما زال الإنسان رهين المحبسين، محبس نفسه ومحبس سيده من المهد إلى اللحد، وكل هذا بإرادته فهل يوجد في الدنيا أكبر من هذا العذاب؟ وهل يوجد سجن أضيق من هذا السجن الذي وضع الإنسان نفسه فيه وبكامل إرادته؟».

وثب رجاء بن حيوة ليصلح سراجًا عند عمر بن عبد العزيز، فأقسم عليه عمر فجلس، ثم قام عمر فأصلح السراج، فقال له رجاء: أتقوم يا أمير المؤمنين؟! قال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز.

ومن قبله كان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وأنا أجمع الحطب»، فهل يستحق سادة اليوم أن نرفعهم إلى تلك المقامات، وليس فيهم على الأقل هذه الأخلاق!؟

من أراد أن يغير من نفسه يجب أن يتحرر من العبودية، والقيود التي وضعها على نفسه، لضعف شخصيته وعدم ثقته بقدراته، ولعشقه للنوم والراحة، عندما يتحرر قيود عقله قبل قيود لسانه وأطرافه، ويفكر كيف

يصبح سيدًا أو على الأقل أنه يقول للسيد كفى أو أقل القليل لا يؤيد ويدعم ويناصر، ويعرف معنى الحرية وقيمة الأحرار ويشعر بثقل القيود والسلاسل والأغلال التي وضعها على نفسه وحملها برضى فوق كتفيه، عندها سيتحرر العبد الفرد والجماعة من قيودهم، ولن يبقى أحد على حاله، فالسيد لن يبقى سيدًا لأن العبد استمال إلى شيء آخر في طريق الحرية، ولم يبق عبدًا.

قف، فكر، من أنت؟ قرر، سيد أم عبد، حر أم مقيد، طليق أم أسير سيد أم مسود، مادح أم ممدوح، متكلم أم مستمع.

يقول مارتن لوثر كنج: «لا يستطيع أحد ركوب ظهرك، إلا إذا كنت منحنيًا».

الفرق بين السيد والعبد كالفرق بين العلماء والجهلاء، فهم سواء لا فرق بينهما إلا أن العلماء يعلمون المعلومات منظمة، والجهلاء يعلمونها مبعثرة، وهؤلاء يحسنون البيان عنها وأولئك لا يبينون _كما يقول المنفلوطي_ وآية ذلك أنك لا تجد الحكمة من الحكم التي يفخر بها العلماء ويعدونها مظهر علمهم وآية فضلهم، إلا وترى في ألسنة العامة، وشوارد أقوالها وأمثالها ما يرادفها ويشاكلها، كما أنك لا تجد قاعدة من قواعد الأدب، ولا قضية من قضايا الأخلاق التي تعدها من ذخائر الأسفار ونفائس الأعلاق إلا وهي ملقاة تحت أقدام العامة، ومذللة بين أيدى الغوغاء والأميين.

الأمم الضعيفة الجاهلة لا مفر لها من إحدى العبوديتين، إما العبودية لحملة التيجان أو لحملة البيان.

حدد لنفسك من تكون، الذكاء في رأس الإنسان كالسيف في يد الشجعان.

رمضان

عادة قديمة قدم الإسلام ربما حديثة حداثة العصر، يداوم الإنسان على الطاعات ويبتعد عن المنكرات، ويجتنب الموبقات حتى يؤجل ويرجئ المباحات إلى ما بعد رمضان.

لعمري إنه لعجب عجاب، فكما قالوا: إن كنت لا تدري فتلك مصيبة، أو كنت تدري فالمصيبة أعظم. المصيبة أعظم، وأدهى وأمر، لعلم الجميع أن رب رمضان هو رب كل الشهور _كما يكررون_ في الخطابات والدروس والمواعظ التي أصبحت مكررة، رتيبة رتابة الليل والنهار، تدور دوران الكواكب والنجوم، بذات المواضيع، ونفس الكلمات وهي تحث المسلم وتحذره أن يكون قرآنيًا لا رمضانيًا، أن يعبد الله في كل الشهور كما يعبده في رمضان.

الأمر مكرور ليس نقيصة، بل لأن القرآن واحد، والسنة واحدة، كما أن الله واحد لكن الإنسان كثير ويتغير ولا يغير من عاداته.

ظل العبد رمضانيًا، يلبس لباسه الأبيض، ينفض الغبار عن مصحفه، يتفرغ قليلًا لعبادة ربه _هكذا يعتقد_ ليغفر الله ذنبه من السنة الماضية، ويدخر قليلًا من الصالحات للسنة المقبلة.

لكن كيف تستوي العبادة مع كثرة الطعام والشراب والإسراف

بكل ما لذ وطاب؟ لا يستوون، لا يستوي الصيام مع النوم والدعة والراحة ثلثي النهار، لا يستوي القيام مع السهر وطيلة الليل على قارعة الطرقات والمقاهي وأمام الشاشات، وخلف وسائل التواصل الاجتماعي وهدر الأوقات، لا يستوي هذا مع ذاك.

كيف لأمة تريد أن تنهض بنفسها ودينها، ولا تعرف كيف تنظم وقتها وتدير عبادتها، وترتب أولوياتها، بدءًا بالأفراد، وانتهاء بالدول الجماعات؟

إذا كان رمضان شهرًا في العام تقلب فيه المفاهيم، تتغير فيه المصطلحات، تتشابك فيه الشهوات بالطاعات، وتخترقه البدع والأهواء، وتغزوه الشهوات، يختلط فيه الحابل بالنابل، والغش بالسمين، وتختل فيه الموازين، لا يتحقق فيه أهم هدف شرع من أجله وهو الشعور والإحساس بالفقراء والمساكين والجياع والرأفة بهم، كيف لأمة هذا ديدنها، وهذه أخلاقها في أفضل شهر عند ربها، كيف لها أن تغير من حالها؟

الأهم كيف السبيل إلى تعديل المسار، والسير على الصراط المستقيم، والنهج القديم القويم؟ ومن تقع على عاتقه عبء هذه الهمة؟ ومن تعلق عليهم الآمال؟ هم الأهل، الآباء والأمهات، فإذا كان رب البيت للدف ضاربًا، فشيمة أهل البيت الرقص.

وإذا قلنا نحيل الأمر إلى العلماء والمشايخ وأئمه الساجد، والمعلم والدكتور، وحالهم ليس ببعيد عن حال الآباء فما أن يبدأ رمضان حتى ينقلب كل منهم ويقلب شهره رأسًا على عقب، فمن نخاطب إذًا؟!

التغيير سيكون أبطأ من سير السلحفاة، فما زال الأمل في الزمن في ظل عدم سيطرة الأهل على الأبناء، وأولًا وأخيرًا الهداية من الله حتى لو بذلت كل الجهد، إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء، فلو خرج شاذ عن القاعدة من كل أسرة وقد هداه الله وأبعده وحفظه من تلك العادات، سيخرج جيل ولو بعد حين لا يمت بصله إلى آبائه وأجداده، يبدأ بتغيير نفسه ثم تغيير مجتمعه وعالمه كله.

لولا فسحة الأمل لقلنا على الدنيا السلام أو الدمار، ففي ظل التقدم التكنولوجي وانتشار وسائل التواصل الاجتماعية واشتعالها في رؤوس وعقول وقلوب المجتمعات اشتعال النار في الهشيم، فما زال الأمل بمن يستغل هذه الصرعة أيما استغلال، يحافظ فيه على الأقل على الخطوط الحمراء على الثوابت والأصول من القرآن والسنة.

ما زالت الآمال معلقة على عاتق كل من يعتبر نفسه مربيًا أو قدوة، بغض النظر إن كان يستحق هذا اللقب أم لا، الجبال من الحصا، والكلمات من حروف، والكتب من المجلدات من كلمات، والكلمة لها تأثيرها على العقل والقلب، ولا بد أن تؤتي أكلها يومًا ما.

الحديث يطول، والكلام معروف ونحن بحاجة إلى تطبيق المعرفة وكفى.

العيد

أعلن عن انتهاء رمضان، غدًا أول أيام عيد الفطر الذي تتمنى أن يكون سعيدًا غير الأعياد التي مضت، صلينا الفجر، جهزنا أنفسنا، ارتدينا أفضل ما وجد من ملبس، اصطف السجان لتفتيشنا، فتحت الأبواب واحدًا تلو الآخر، خرجنا إلى الساحة، الواحد بعد الآخر حتى آخرنا، جلسنا في صفوف الصلاة، كبّرنا ملئ حناجرنا، دقائق معدودة، صلينا ركعتي العيد، خطب الخطيب، أوصانا بالأرحام، والسلام، وترك الأضغان، وإظهار السعادة للسجان الذي يراقب من خلف القضبان.

اصطف الجميع في طابور نصف دائري، ووضع كل منا يده بيد أخيه وشرع بالعناق والأحضان، والتمنيات والدعاء بالفرج والحرية ودوام السعادة والهناء، تناول كل منا حبة تمر ورشفة قهوة، هذه الحلوى التي سمح لنا بها بعد طول نقاش وعناء لكي نضيف قطعة كعك، فوافق بشرط غريب وإجراء همجي تعسفي كإجراءات الدكتاتور وهو أن توضع حبة التمر مع الكعكة في صحن مقعر لا في صحن مسطح؛ لأن الأول يدل على الكآبة والثاني على الفرح والابتهاج. لم يخطر ببالي يومًا أن هناك فرقًا بين الصحون يستدعى الحديث وليس لي إلا أن أقول إنه يهودي، وهذا يكفي لوصفه.

آه ثم آه على حال وواقع معاش لا يخطه قلم، ولا تعبر عنه الكلمات،

ولا تصفه العبارات والأيام تمر، والعمر يمضي ويزداد الملح على الجرح، وتفيض الآهات وتنفجر الآلام والأوجاع في واقع تمسكنا فيه بحبل الله المتين، لم نتخل، لم نتراجع، لم نيأس.

مازلنا ثابتين على حب وعشق الوطن وأهله ومقاومته جهاده رغم كل السلبيات والخلافات، والواقع المرير، رغم بيع من باع، وتخلى من تخلى، صبرنا وما زلنا حتى عجز الصبر عن صبرنا.

صبرنا على ظلم السجان، وصلفه وجبروته، صبرنا على السلطة ممن منعنا أموالنا وحاربنا في لقمة عيشنا، وعلى من لم يعترف بحقنا، وعلى من نسينا أو تناسانا، على من سرق شبابنا قبل طعامنا، على من أساء لنا بلسانه أو أفعاله، على من اتهمنا، على من عادانا، في النهاية على أهلنا كذلك، وظلم ذوي القربى أشد مضاضة من الحسام المهند، ولا يؤلم الجرح إلا من به ألم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بأي حال عدت يا عيد، بأي نعمة من النعم أو صنيعة من الصنائع أو نقمة من النقم، أعدت بالسعادة أم بالشقاء، وقد فرغ الناس من صلاتهم.

ولم يكادوا يضيفون حسنة إلى حسناتهم، حتى تسارعوا وقد أضافوا إلى سيئاتهم الماضية سيئة الغش والخداع والكذب والنفاق، فتناسوا كل ما فعلوه بأنفسهم وبعضهم وقد تصافحت الأيدي، وقد تنافرت القلوب حسب اعتقادهم أن هذا يوم من أيام الله، وهم صادقون وجب فيه الحب والتسامح والتصافح وكل شيء مؤقت، وما أن يأتي آخر النهار وفي أحسن

الأحوال إلى اليوم التالي حتى يعود كل منهم إلى ما كان من أمره وسالف عهده، من الضغينة والحقد والكره والحسد، فأي اعتقاد هذا الذي تحملون؟ وأي شريعة تلك التي تتبعون؟ فإن كان هذا في السجن قليلًا فهو خارجه كثير.

بأي حال عدت يا عيد؟ وقد انتهت الصلاة في الجوامع والعراء وقد خالف الناس طريق عودتهم إلى بيوتهم امتثالًا لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وقد جلسوا مع أسرهم، والتفوا حولهم مسرورين مبتهجين بغض النظر عن المآسي التي تطوف حولهم، فما زالوا أطفالًا منتظرين الخروج إلى الأقارب والشوارع والمنتزهات والملاهي، فرحين بكل زينة وجمال من حولهم، فعيد بلا أطفال لا يسمي عيدًا وليس له بهجة، وإن كان عيد أطفال فلسطين لا يشبهه عيد في ظل احتلال في الضفة وحصار وفقر مدقع في غزة، لكن تبقي الحرية أو معشارها عيدًا بحد ذاته بل عيدًا وسعيدًا، وإن كان الكل يشكو ضنك العيش وسوء الحال؛ لأن الحرية لا يعرف معناها وقيمتها إلا من فقدها سواء حرية الروح أو العقل أو الجسد.

بأي حال عدت يا عيد؟ وقد تذكر الأسير الأهل والأقارب والأصدقاء والقادة والرؤساء والآباء والأمهات الإخوة والأخوات، وكل قد أرسل التهنئة والتحيات، وربما ذرف قليلًا من الدمعات لثوان معدودات أمام الجمهور أو الفضائيات، وقالوا ما يكفي من المجاملات، ثم انصرف كل إلى عيده، ونسي وعده، وغفل عن عهده وظل الأسير وحده لا يسمع صرخاته سامع، ولا يبكي لبكائه باك، ومازال القضاة يحكمون والجند يصادرون ويبطشون والسجانون يعذبون، وقد خلعوا

ثوب الإنسان ولبسوا فروة السبع والمسجونون يصرخون، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ألا أيها الحر بين جدران القصور، اعلم أن بين جدران السجون أنفس أطهر قلبًا وأنقى خلقًا وأكثر بياض وأكثر وعيًا وصبرًا وجلدًا وثقافة وتحملًا وحبًا ودينًا وإخلاصًا ووفاءً من مثيلاتها بين جدران البيوت والقصور.

ألا أيها المسئول الذي أمرنا إليك يؤول! اعلم أنه مخطئ من ظن يومًا أننا سنقول أغيثونا، أنجدونا، أنقذونا كالشعارات التي رفعها ونادي بها الجندي الصهيوني الأسير شاليط هو وأهله وشعبه، كلا لن نفعلها.

تجارتنا مع الله، لا نرفع شكوانا إلا إليه وسيبزغ فجر جديد، على أعمالكم وأعمالنا شهيد، وسنرى شمس الحرية اليوم أو غدًا، وسيعود العيد بكل جماله وبهائه شاء من شاء وأبى من أبى، بعز عزيز أو ذل ذليل.

نظام القيم

لقد أصاب مارسيل إتش مقتلًا بمقالته عن «نظام القيم الغربي، سلاح أخلاقي». من خلال تحليله للحالة الراهنة لنظام القيم الأوربية، استنتج أن المدينة تتجه دائمًا إلى كارثة إذا سمحوا لثلاثة عوامل أساسية بالخروج عن الاعتدال، كما يفعل الغرب اليوم وهي: (العقلانية، الحرية، الحب).

إن الحرية إذا لم تعالج وتلطف بالحب فسينتج عنها استغلال يسبب فوضى كبيرة، أما العقلانية إذا لم تعالج وتلطف بالحب فربما تؤدي إلى محرقة، وأما الحب فإذا لم يعالج ويلطف بالعقلانية فربما يصبح مدمرًا للذات، وكذلك العقلانية دون حرية هي وصفة لأرخبيل جولاج، بمعنى آخر لابد للإنسان أن يقف على ثلاث أرجل، كل رجل بحاجة إلى غذائها الخاص حتى لا تنهار وتؤدي بالجسد إلى الهاوية، والأرجل هي: (العقل، الروح، الجسد)، وغذاء الأول بالعلم، وغذاء الثاني بالعبادة، وغذاء الثالث بالرياضة، وقليل من الطعام هكذا يصبح الإنسان متوازنًا.

بمعنى ثالث في التأني السلامة وفي العجلة الندامة، فكر بالشريعة والقيم والأخلاق قبل أن تخطو الخطوة فتؤدي بك إلى فوضى الرذائل.

الحرية لا تعني التقليد الأعمى واتباع سنة الغير حتى لو دخلوا

جحر ضب والتخلي عن الأصل وعن العادات والتقاليد.

والحب لا يعنى العبودية، «أحب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك يومًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما».

وبمعنى رابع أظن أني تذكرت يومًا تلك الفتاة الشابة الجميلة الذكية وأنا أتابع لقاءها على أحد الفضائيات وفيها من الصفات ومكارم الأخلاق والعلم ما يتمناه كل عاقل، وقد أدهشتني وطنيتها وأفكارها وموقفها من القضية الفلسطينية والاحتلال الصهيوني خاصة في ظل الحملة الشرسة على عقول العالم العربي لقلب حقائق الواقع، وأصبح من كان معك عليك، ومن كان يؤيد القضية انقلب ضدها.

وعلى صغر سنها فقد أنشأت في بلدها الجزائر جمعية من جمعيات المرأة وحقوقها وحريتها، وأضف إلى جمالها، صوتها الندي، تغنى الأغاني ذات المعنى والمغزى والقيمة، وقد دعوت الله أن يحفظها من عين الحساد واللئام، لكن فجأة ودون سابق إنذار سألتها مقدمة البرنامج وما الحق الذي تريدينه للمرأة؟ قالت: المساواة في الميراث!! فسقطت من عيني كما يسقط الحجر في قعر البر، وقد نفت كل إيجابياتها بسلبية واحدة، وقد انهار إعجابي بها انهيار جبل الجليد.

قال أحد كبار الصحابة: أرى الرجل فيعجبني، فإذا تكلم سقط من عيني، فكل هذا الذكاء والعلم، أنساك أن هذا أمر رباني، أنزله الله من فوق سبع سموات بواسطة جبريل على نبيه الأمين قرآنًا يتلى إلى يوم الدين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، آيات الميراث لا

تحتمل التأويل، فهي ظاهرة واضحة لا تحتاج تفسيرًا، جامعة مانعة قطعية الثبوت قطعية الدلالة ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [النساء: 11].

هذه حرية قد انحرفت عن مسار الفطرة وخرجت عن الاعتدال وزاغت عن الحق، وما كانت كذلك إلا لأنها لم تعالج وتلطف بالحب فنتج عنها هذه الفوضى وهذه الكارثة العظيمة.

والحب كذلك إن لم يعالج بالاعتدال ويلطف بالعقلانية فستكون العواقب وخيمة ومدمرة للذات، وستمضي في طريق العبودية بدلًا من طريق الحرية فحب المرؤوس للرئيس والسيد للمسود إذا كان هذا حب مصالح أو مبالغًا فيه سيتحول من المحمود إلى المذموم، وسيصبح الإنسان بلا قيمة ولا احترام ولا كرامة، وسيستحيل من حيوان يتكلم إلى حيوان أعجم، في النهاية كل شيء يزيد عن حده ينقلب ضده كما يقول المثل.

اكتشاف عظيم

بات لا يخفى على أحد مشكلة قطع الرواتب عن أهلنا في قطاع غزة، وقد اقترب الإجراء _كما يسمونه_ من العام والنصف، وكان للأسرى نصيب الأسد من هذا الظلم، ومن هذه العقوبات فقط لأننا ننتمي إلى غزة هاشم، ليس إلا.

تحدثنا مع القاصي والداني، الغريب والقريب حتى شعرنا بالذل والإهانة على أعتاب السادة، واستطردنا بأن راتب الأسير لا يتعلق بشخصه، لأنه باع دنياه، واشترى آخرته، لكن القضية تتعدى لتصل إعالة للأهل والأقارب، بل الجيران والأصدقاء؛ لأن حال غزة الاقتصادي بكل المقاييس كارثي، والأسير يعيش من أجل الآخرين، ولا يكاد يدخر ربع راتبه أو أقل _لو ادخر_!

لم يستمع أحد أيًا كان لهذه المطالبات والصرخات والآهات والآلام، وبمعنى أصح المشكلة لم تحل بالرغم من تعاطف المتعاطفين والنصرة والتأييد.

لم نكف عن التضرع إلى الله واللجوء إليه، وكان الله معنا ولم يضيعنا، فقام الاحتلال بالاقتطاع من أموال المقاصة بحجة أنها تذهب وتدفع لعوائل الشهداء والجرحى والأسرى.

من هنا بدأت الخطابات الجوفاء، والشعارات الرنانة والفيديوهات والتسجيلات، وقل ما شئت، مع أن الإجراءات والمنع ضد غرة وموظفيها كان قبل أن يقرر الاحتلال قراره بأشهر.

انقضت الشهور الأولى وقد انقطع الأمل؛ لأن المصالح العليا لأصحاب الأمر والنهي بهذه القضية، المصالح الشخصية والحزبية الضيقة هي التي تتحكم بالقرار والرقاب دون الالتفات لمعاناة وآلام الأسرى. تغنوا بصمود موظفي الضفة _شطر الوطن الثاني_ الذين يتقاضون نصف راتب منذ شهرين على التوالي ولهم الحق، لكن لماذا لم يتغنوا أو يتعاطفوا مع المقطوعة رواتبهم نهائيًا منذ العام، والمتقاضين نصف راتب من عامين، أبناء وموظفي وأسرى وشهداء وجرحى قطاع غزة الحبيب، إنها لمفارقة عجيبة، نعلم جيدًا كيف يتعامل الرؤساء والأنظمة والحكومات والملوك منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها إلى يومنا هذا مع شعوبها، فلم نهتم ولم نكترث كثيرًا للأمر، لكن ما دعانا للحديث أن في الآونة الأخيرة أصبح الجميع يتغنى بالأسير والشهيد، وقدسيته وقدسية وعدالة قضيته، فلا تكاد تمضى ساعة من الزمن دون أن نرى مشهدًا أو نسمع مقطعًا لهذا المسئول أو ذاك وهو يتغنى بالأسير وكرامته وفضله ورفعة شأنه وتضحياته ومعاناته. قالوا: هذا الشهر سيتم صرف رواتب الموظفين فاكتشفنا أننا لسنا موظفين، فلم يشملنا القرار.

ثم قالوا: سيتم إعادة الرواتب المقطوعة لأبناء المحافظات الجنوبية الشهر القادم، فلم يشملنا القرار، فاكتشفنا أننا لسنا أبناء المحافظات الجنوبية.

ثم قالوا: سندعم صمود المظلومين والمتضررين من إجراءات قطع الرواتب، فاكتشفنا أننا لسنا منهم ولم يشملنا القرار.

ثم قالوا: إن رواتب الشهداء والأسرى خط أحمر، قضية مقدسة، فاكتشفنا أن الأسير ليس بخط أحمر ولا أسود ولا مقدس.

ويوميًا نسمع بالصوت والصورة، ونرى الكتابة بالخط الأحمر العريض أنه: لو بقي معنا قرش واحد فهو لهم؛ للشهداء والأسرى وعائلاتهم وليس للأجيال، فاكتشفنا الاكتشاف العظيم بأن لسنا بأسرى، ولسنا شهداء فالأسير معروف في سجنه يعذب، والشهيد معروف عند ربه حي يتنعم، حتى الكافر في جنهم يحرق، فربما نحن أموات كالجيفة على قارعة الطريق يتجنبها المارون لنتانتها.

والاكتشاف الأعظم أننا ربما لم نخرج من بين الصلب والترائب، بلا وجود، بلا أسماء، بلا هوية، بلا وطن، بلا سكن رغم أننا نعاني مرارة الأسر قبل أن يعتلي أحدهم منصبه أو يمتطي كرسيه.

ربما نحن من بلاد الواق واق، أو ما زلنا _دون علمنا_ مع العراة غير المكتشفين في غابات الهند الشاسعة وجنوب أفريقيا المجهول.

أفيدونا، بارك الله فيكم من نحن؟! ولمن ننتمي؟!

شعب بلا لسان

الذكرى الثانية عشرة للانقسام الفلسطيني، ويعلم طرفا الانقسام كغيرهما من الأطراف أن المستفيد الوحيد والأوحد هو الاحتلال وبعض الأفراد من المتآمرين والمستفيدين.

وكذلك بات لا يخفى على أي طرف من أطراف الأمة جمعاء تلك المصائب والويلات والكوارث والأوجاع التي لحقت بالشعب دون الغالبية الصامتة.

اثنا عشر عامًا، ونحن في تراجع وانحدار نحو القعر إلى الهاوية، وفقط يد الله التي تعمل في الخفاء، هي التي تحمينا حتى اللحظة من السقوط لا شيء غير.

فما زال هناك الأسوأ، إذا ظل الوضع القائم على حاله، جلسة بعد جلسة لقاء تلو اللقاء، موعد يتبعه موعد، اتفاق يصحبه اتفاق، وتوقيع أمام توقيع وورقة خلف ورقة، والنتيجة كالحمار حول الرحى يراوح مكانه، غير أن الحمار يطحن القمح ونحن نطحن الشعب.

هذا وجميع الأطراف تصرح تصريحاتها، وتخطب خطبها، وتعقد مؤتمراتها، بنسخ كربونية من الكلمات والجمل والعبارة التي تحتوي على نفس الشعارات والإدانة والاستنكارات، ونحن في السجون نتألم، فما لهذا

خرجنا ولا من أجل ذلك قاتلنا، ولا لذلك ضاعت زهرات شبابنا.

الطرف الأول: انتهت صلاحياتكم وحكومتكم غير شرعية.

الطرف الثاني: انتهت صلاحيتكم ومجلسكم غير شرعي.

الطرف الأول: نحن نقدم مبادرة وجاهزون للقاء في أي زمان وأي مكان.

الطرف الثاني: نحن نقدم مبادرة وجاهزون للقاء في أي زمان وأي مكان.

الطرف الأول: من على هذا المنبر ندعو لتشكيل حكومة وفاق وطني والتحضير للانتخابات.

الطرف الثاني: من على هذا المنبر ندعو لتشكيل حكومة وفاق وطني والتحضير للانتخابات.

الطرف الأول: لتكن هناك انتخابات رئاسية وتشريعية وبيننا صناديق الاقتراع.

الطرف الثاني: لتكن هناك انتخابات رئاسية وتشريعية وبيننا صناديق الاقتراع.

الطرف الأول: أنتم لستم مقاومة وتنسقون أمنيًا مع الاحتلال.

الطرف الثاني: أنتم لستم مقاومة وتنسقون أمنيًا مع الاحتلال.

الطـرف الأول: هـذا الفعـل يكـرس الانقسـام ويصـب في مصلحـة الاحتـلال.

الطـرف الثـاني: هـذا الفعـل يكـرس الانقسـام ويصـب في مصلحـة الاحتـلال.

الطرف الأول: أنتم تنهبون وتسرقون أموال الشعب الفلسطيني.

الطرف الثاني: أنتم تنهبون وتسرقون أموال الشعب الفلسطيني.

الطرف الأول: هذه الصواريخ التي تطلق بدون تنسيق عبثية وعشوائية.

الطرف الثاني: هذه الصواريخ التي تطلق بدون تنسيق عبثية وعشوائية.

الطرف الأول: أنتم تمارسون الاعتقال السياسي للشرفاء والمقاومين.

الطرف الثاني: أنتم تمارسون الاعتقال السياسي للشرفاء والمقاومين.

الطرف الأول: هذا انقلاب أسود للعصابات المارقة.

الطرف الثاني: هذا حسم أبيض وانتصار على العصابات المارقة.

الطـرف الأول: أفشـلتم اتفـاق مكـة والقاهـرة والشـاطئ ولم تلتزمـوا بـأي تفاهـم.

الطـرف الثـاني: أفشـلتم اتفـاق مكـة والقاهـرة والشـاطئ ولم تلتزمـوا بـأي تفاهـم.

الطرف الأول: أنتم وأفعالكم متساوقون مع صفقة القرن.

الطرف الثاني: أنتم وأفعالكم متساوقون مع صفقة القرن.

الطرف الأول: نحن ضد ورشة البحرين الاقتصادية النابعة من صفقة القرن وسنفشلها.

الطرف الثاني: نحن ضد ورشة البحرين الاقتصادية النابعة من صفقة القرن وسنفشلها.

أعلم أن عندك ألف جملة وجملة، وألف سؤال واعتراض، أضف ما شئت ستصل إلى نتيجة واحدة وهي أن لا نتيجة واضحة وضوح الشمس.

هذا يتحدث باسم الشعب، وذاك يتحدث باسم الأمة، حتى أصبح الشعب بلا لسان، لم يسمع صوته إلا مرة كل ربع قرن، ثم تكسر وتدمر الصناديق، هل سيأتي يوم نقول ما لنا وما علينا لينتهي الخلاف والانقسام ونتبع الحق لتحرير الوطن؟ أي أرض تلك التي تقلنا؟ وأي سماء تلك التي تظللنا؟

أهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم، وأهل الحق لا يكتبون إلا ما عليهم، كن من أهل الحق، ولا تجعل التاريخ يسجل عليك، ولا لأبنائك أن يسجلوا عليك أنك يومًا من الأيام قد غرست مسمارًا في نعش الانقسام، قبل أي شيء أنك لم تغذ هذا الانقسام المرير لو بكلمة.

كثير من المسلمين، قليل من الإسلام

ألقى الدبلوماسي الألماني المسلم، مراد ويلفريد هوفمان، محاضرة أمام 350 شخصًا بعنوان: «النقاط العشر التي أكرهها في ممارستي للإسلام»، وأظن معه كل الحق بهذا الانتقاد، ويعلم ذلك علماء المسلمين، لكن ربما لأنهم يمارسونها أو يمارسون بعضها، فيتغافلون عن انتقادها أو تسليط الضوء عليها، بل هناك من يعتبرها رأس ماله في الخطابات والكتابات، **وكانت تلك النقاط كما يلي:**

- الأسلوب الخطابي في خطب الجمعة وخاصة الأسلوب الذي يتجه إلى العواطف أكثر من العقل، كما يفعل العسكري عندما يدعو جنوده إلى القتال ويحثهم عليه في المعارك.

- الصلة بالعنف بالنسبة لكثير من الناشطين الإسلاميين الشباب الذين يميلون إلى تطبيق أفكارهم بالعنف بدلًا من الاعتماد على حجة الإقناع، وكأن المرء يستطيع استبعاد «المرحلة المكية» من الدعوة حيث تستقطب القلوب والعقول، والدخول مباشرة في المرحلة المدنية لبناء دولة إسلامية.

- ظاهرة التقليد غير الحرج الناتج من الخوف من البدعة الممنوعة والذي يقف في طريق تجديد الفقه الإسلامي المتعلق بالمجتمع المعاصر.

– الغرور الأخلاقي والذي يمكن أن يلاحظ في موقف المتقدمين من المسلمين (العرب والفرس) تجاه المسلمين من الأصقاع الأخرى من العالم، ويستمر هذا الموقف اليوم، على الرغم من الحقيقة التي أوردها محمد أسد حين قال: «إن هناك عددًا قليلًا من المسلمين في الغرب إلا أن هناك الكثير من الإسلام، بينما نجد الكثير من المسلمين في العالم الإسلامي والقليل من الإسلام».

– لقد أصبح التاريخ الإسلامي تاريخًا دكتاتوريًا علمًا بأن الشريعة تفرض حكومة شورى.

– الخوف من التقنية (التكنو فوبيا) أو موقف رفض كل ما يرد من الغرب وكأنه كان هناك التقنية «الإسلامية» و«غير الإسلامية»، وليس هناك من خيار للأمة الإسلامية إلا أن تتمكن من التقنية المعاصرة الحديثة، أو أن تتملكها وتتحكم بها وتستعبدها تلك التقنية.

– الميل الشديد إلى تحويل الإسلام إلى دين «النخبة» بدلًا من أن يكون في متناول الجميع بتقديم ما يسمى «البدعة الحسنة».

– الإفراط بالاهتمام بالقضايا والأمور الجانبية الفرعية، والتي تجعل الإسلام في خطر الوقوع في شرك العقيدة التلمودية، فقد كان الهم كيف يسلم المرء قيادة أموره جميعها إلى الله وليس كيف ينظف أسنانه.

– العالم الإسلام وتفرقه إلى دويلات وجماعات وهذه «الجماعية» تؤدى إلى تطرفات سلبية.

- تهميش المرأة، والذي يعنى تهميش نصف سكان العالم الإسلامي، وبالمناسبة فهذا التهميش يشمل «والدة» كل مسلم من الذكور، ونستطيع أن نضيف غياب التسامح وترك العصبية والجاهلية كما أوصى بها الإسلام.

كان ذلك قبل ثلاثين عامًا، فما بالك اليوم، وقد كتب الدكتور يوسف القرضاوي تحت عنوان «ترشيد الصحوة» خطوات عشر يجب أن تنتقل بها الصحوة:

(1) من الشكل والمظهر إلى الحقيقة والجوهر.

(2) من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل.

(3) من العاطفية والغوغائية إلى العقلانية والعملية.

(4) من الفروع والذيول إلى الرؤوس والأصول.

(5) من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير.

(6) من الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد.

(7) من التعصب والانغلاق إلى التسامح والانطلاق.

(8) من الغلو والانحلال إلى الوسطية والاعتدال.

(9) من القسوة والنقمة إلى الرأفة والرحمة.

(10) من الاختلاف والتشاحن إلى الائتلاف والتضامن.

ويبدأ بشرح كل خطوة ويؤصلها تأصيلًا شرعيًا مدعمًا بأدلته من الكتاب والسنة وذلك حتى تنضح المفاهيم، وتقوم الحجة، ولا تلتبس الحقائق بالأباطيل، وحتى يتعلم الجاهل، ويقتنع المتردد، وينهزم المكابر، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ على بينة.

كما ينبغي أيضًا أن يجمع خطابنا الإسلامي المعاصر عدة خصائص أساسية تجعله قادرًا على الوصول إلى الناس بحيث يقنع عقولهم بالحجة، ويستميل قلوبهم بالموعظة، ولا يحيد عن الحكمة ولا عن الحوار بالتي هي أحسن. ومن هذه الخصائص كما يقول الدكتور:

(1) يؤمن بالله ولا يكفر بالإنسان.

(2) يؤمن بالوحى ولا يغيب العقل.

(3) يدعو إلى الروحانية ولا يهمل المادية.

(4) يعنى بالعبادات الشعائرية ولا يغفل القيم الأخلاقية.

(5) يدعو إلى الاعتزاز بالعقيدة وإلى إشاعة التسامح والحب.

(6) يغري بالمثال ولا يتجاهل الواقع.

(7) يدعو إلي الجد والاستقامة ولا ينسى اللهو والترويح.

(8) يتبنى العالمية ولا يغفل المحلية.

(9) يحرص على المعاصر ويتمسك بالأصالة.

(10) يستشرف المستقبل ولا يتنكر للماضي.

(11) يتبنى التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة.

(12) يدعو إلى الاجتهاد ولا يتعدى الثوابت.

(13) ينصف المرأة ولا يجور على الرجل.

(14) يصون حقوق الأقلية ولا يحيف على الأكثرية.

ألا قد عرفت فالزم.

دير بلا قديس

كلما تعرفت على العالم، وسمعت الأخبار، ونظرت إلى الحال ازداد عشقي لغزة، كلما ازددت فخرًا لانتمائي لهذه البقعة أرض غزة، وشعبها، وبحرها وغبارها حتى لتلوث بيئتها، ورغم سلبياتها أعشقها.

في الماضي القريب كان الشباب يحملون الجنود على أكتافهم ويرقصون مع سلاحهم في حفل زفاف في مدينه يعتبر أهلها أنفسهم، ولوحدهم، من يملك مكارم الأخلاق، العفة والشرف والكرم والغيرة على الدين والعرض والوطن.

ثم تلا ذلك مقتل مستوطنة طعنًا على يد فلسطيني، فاجتمع من يعتبرون أنفسهم (علية القوم) وهم أسافلهم من مخاتير القرى المجاورة، ليقوموا بتقديم واجب العزاء بحكم حق الجيرة وحسن الجوار؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالجار خيرًا، ومازال جبريل يوصيه بالجار حتى ظن أنه سيورثه، ولا يعتبر مؤمنًا من لم يأمن جاره بوائقه.

ولا يكاد يمر شهر وينقضي دون أن يدخل محتل _خطأ_ إلى هذه القرية أو تلك، أو هذه المدينة أو تلك، فيقوم من يدعي أنه فلسطيني، حامى الشعب والوطن بحماية هؤلاء المستوطنين والجنود وحمايتهم وإعادتهم إلى بيوتهم التي سلبوها ودولتهم المحتلة، مع عتادهم العسكري كاملًا دون أن ينقص منه رصاصة لأنها أمانة.

ثم تطور الأمر ليخرج مواطن بسيفه ليدافع ويذب عن مجموعة مستوطنين تاهوا فدخلوا قريته، فحماهم في بيته، لأنهم استجاروا به، والمسلمون أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، وهذا المحتل يبدو أنه أصبح من هذه الأمة ولم يصلنا العلم بعد.

هذا ولا أحد يهتم أو يلتفت لصرخات آلاف الأسرى، وملايين المحاصرين في غزة، والمشردين المنكوبين والجوعى في سوريا واليمن وباقي أنحاء الأراضي الإسلامية، تتوالى عليهم النكبات والحروب بلا معين أو مغيث، واليوم يقوم رئيس مجلس قروي لإحدى القرى بدعوة عدد من (وجهاء المستوطنات) المجاورة لحضور حفل زفاف ابنه، فأكملوا حفلهم ثم خرجوا فخطوا الشعارات، وثقبوا الإطارات وأحرقوا المزروعات، وعاثوا خرابًا في الممتلكات ولم يجدوا من يصدهم أو يعترض طريقهم، فقامت السلطة الفلسطينية بفصله من منصبه وإحالته إلى الأجهزة الأمنية، ثم قام المعنى بالتبرير والتوضيح وخلق الأعذار ولكن سبق السيف العذل.

ألا أيها الشعب الفلسطيني، أيها الأبناء، أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، إن فلسطين تقع وتقبع تحت نير الاحتلال الصهيوني وليس العكس، فنحن الضحية وهو الجلاد لا كما تصور لكم ماكنته الإعلامية، لا يختلف اثنان عاقلان على طبع الاحتلال.

إن كنتم نسيتم فتذكروا أن بلاد المسلمين المحتلة الجهاد فيها فرض عين على أهلها، فإن تقاعسوا أو قعدوا عن الدفاع عنها انتقل الواجب إلى من يليهم من جيرانهم المسلمين، الأقرب فالأقرب ثم على من يليهم

حتى يشمل المسلمين كافة، وقد أجمع فقهاء الإسلام على أن جهاد الدفع (مقاومة الاحتلال) فرض عين وتسقط هنا الحقوق الفردية لتعارضها مع الحق العام للأمة، فلا يحتاج الابن إلى إذن أبويه، ولا المرأة إلى إذن زوجها، ولا الخادم إلى إذن سيده، وما دون ذلك من الفتاوى المعاصرة فما هي إلا تضليل والتفاف على الدين، وتزوير للحقائق، وقلب للوقائع.

ألا أيتها الأمة استيقظي!

الحق والواجب

كل بضع سنوات، يطفو على السطح عادات وأخلاق وأفكار خاطئة، كما تخبو أخلاق أخرى، خاصة عند جيل الشباب، فمرة ينتشر الكذب والفخر بما لم يفعل، ومرة البعد عن الدين، النصب والاحتيال، الجهل والغباء، حب النفس والأنانية، حب المال وعبادته، عدم احترام الكبير وتوقير الصغير، ومرة المخدرات والمسكرات، الزنا وعشق الأفلام الإباحية، الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي بلا عائد إيجابي، إهدار الوقت، الإدمان على النوم، التذمر، ممارسة دور الضحية، الغدر والخيانة، السهر، قلب موازين شهر رمضان، البدع ومره _وهي كثيرة_، ظهور العظاميين واختفاء العصاميين.

أما السنوات الأخيرة، فقط ظهر الجهل، بدءًا من القراءة والكتابة إلى المعلومات العامة في التاريخ والجغرافيا وأخبار العالم، وليس انتهاء بالصلاة والصيام والعبادات، ثم الكذب وكثرة الكلام، والمطالبة بالحقوق من غير التفات إلى أداء الواجبات التي تلازمها، وتناسيها وإغفالها تمامًا، فلا يسأل الفرد إلا عن ما له، ويلجأ إلى كل الوسائل لنيل ما يريد وأهمها التكرار والإلحاح دون كلل أو ملل، وأبكم، أعمى، أصم، غبي عندما تحدثه عن الواجب.

أما تصحيح وتقويم هذا الخلق لمن هذه صفته ولمن هو كذلك فهذا من الصعوبة بمكان، لكن ليس مستحيلًا، لأن «من شب على شيء

شاب عليه»، ومن الصعوبة أن يعترف هذا الفرد بتلك النقيصة ويغيّر هذا الخلق، فهذا ليس سهلًا، لكن لا بأس بالمحاولة.

أما الحل الأمثل أن لا يقترب الإنسان من هذا الخلق الذميم وغيره، وذلك يبدأ من التربية في البيت، «لأن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر» ثم في المدرسة والمسجد، حتى يصبح المجتمع كله يتحلى بمكارم الأخلاق والفضائل وما دون ذلك يصبح شواذ، بدل أن يحدث العكس فتعمم الرذائل و تندر الفضائل.

أداء الواجب يؤدى إلى تحقيق السعادة؛ لأن الفرد حينها لا يعيش لنفسه فحسب بل يعيش لغيره بل وينسى نفسه، ولا يسأل عن النفع العائد إليه والفائدة من الإقدام على هذا الواجب.

الواجب فيه من المشقات التي ينبغي أن نتحملها، وعندما يقوم الفرد بالواجب فتلقائيًا، دون تخطيط أو بذل جهد سيعود النفع والفائدة على الفرد والجماعة.

الأمة المتأخرة إنما بقيت؛ لأن أفرادها طالبوا بالحقوق، ولم يفعلوا الواجبات، الواجب يجب أن يؤدى؛ لأنه واجب لا طمعًا في ربح أو هربًا من خسارة، فهو واجب وليس صفقات تجارية، إنما نؤديه راحة لوجداننا، والذين يؤدون واجبهم رغبة أو رهبة، إنما هم تجار يبيعون اليوم ما يقبضون ثمنه غدًا.

يقول عباس محمود العقاد: «الطاعة من دلائل النظام، وفضائل

الأمـم القويـة، والأمـم التـي لا طاعـة فيهـا لا يعـرف أفرادهـا الواجـب، ولا يلـزم أحـد فيهـا حـده، إن الطاعـة هـي أن يعـرف كل إنسـان حـدًا لنفسـه يلتزمه، وحـدًا لغـيره يحترمـه، وحيـث لا واجـب ولا تبعـه لا يكـون عمـل شريـف ولا فضيلـة نبيلـة عـلى أن فرقًـا بـين الخـوف والطاعـة، فـإن الخـوف اضطـراري والطاعـة اختياريـة».

الفضيلة

قبل قرن من الزمان أو يزيد بحث الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي عن خالة له فأسماها الفضيلة، فتش عنها بين سمع الأرض وبصرها أعوامًا طوالًا حتى عيي بأمرها فما وجد إليها سبيلا.

فتش عنها في حوانيت التجار، فرأي التاجر لصًا في أثواب بائع، وجده يبيع بدينارين ما ثمنه دينار واحد.

فتش عنها في مجالس القضاء، فرأى أن أعدل القضاة من يحرص الحرص كله على أن لا يهفو في تطبيق القانون الذي بين يديه هفوة يحاسبه عليها من منحه هذا الكرسي الذى يجلس عليه مخافة أن يسلبه إياه، أما إنصاف المظلوم والضرب على يد الظالم فهي عنده ذيول وأذناب لا يأبه لها فإذا دان البريء وبرأ المجرم وعتب عليه في ذلك عاتب، كانت معذرته إليه حكم القانون عليه، وكأنما يريد أن يجعل العقل أسير القانون، وما القانون إلا حسنة من حسنات العقل وصنيعة من صنائعه.

فتش عنها في مجالس السياسة، فرأى أن المعاهدة والاتفاق والقاعدة والشرط ألفاظ مترادفة معناها الكذب.

فتش عنها بين رجال الدين فرآهم _إلا من رحم الله_ يتاجرون بالعقول في أسواق الجهل، ورأى أن كلًا منهم قد ثغر له في كل رأس من

رؤوس البشر ثغرة ينحدر منها إلى الأخلاق فيفسدها، والمشاعر فيقتلها لتتوسد بذلك إلى الذخائر فيسزفها والخزائن فيسلبها.

فتش عنها في كل مكان يعلم أنه تربتها وموطنها فلم يعثر بها، ثم يتساءل ليت شعري هل أجدها في الحانات والمواخير أو في مغارات اللصوص، أو بين جدران السجون؟!

ثم إنه لم ينكر وجودها، لكنه يجهل مكانها، فكل الناس يدعي الفضيلة، وينتحلها، وكلهم يلبس لباسها، ويرتدى رداءها، ويعد لها عدتها من منظر يستهوي الأذكياء والأغنياء، ومظهر يخدع أسوأ الناس بالناس ظنًا، فمن لي بالوصول إليها في هذا الظلام الحالك، والليل الأليل.

أيها المنفلوطي العظيم، كيف لي أن أقف على قبرك اليوم، بعد هذه السنين والأحقاب، أخاطبك وتسمعني، وأناجيك فتصغى، وأزيدك علمًا بحالنا اليوم لتعلم أنك كنت وما زلت على حق وصواب.

إن الفضائح الذي ذكرت بالأمس ما هي إلا ملك اليوم، أصبحت عادة لا تستطيع إنكارها أو انتقادها، فما زال التاجر لصًا وفنانًا، وقالوا «التجارة شطارة».

والسياسة كذب ونفاق وقالوا: «هي فن الحكمة»، والقضاء ظلم وجور وأسموه قانونًا، وقلّ الأسياد أو زادوا، وازداد عبيدهم ولم ينقصوا، والكل يدعي الفضيلة، وما وجدت مبدعًا له نصيب منها.

أما رجال الدين، أو من رجال الدين، تاجر دعاء، أو عبد مال، أو

مفتى سلطان أو بائع كلام، أو مُضل وضال، على وسائل الإعلام، فظهر الأتباع، وقتلوا باسم الدين ودمروا باسم الإسلام، واغتصبوا باسم الديان، وعاثوا في الأرض فسادًا باسم الجهاد، فضّل العباد، وكفروا بأصحاب العمائم في البلاد، وبالكاد مازالوا يحافظون على الصلوات، ويطلبون رحمة من الرحمات أو نعمة النفحات ومن كان غير ذلك فهم معتقلون وأسرى في سجون الطغاة، ممن يسمون أنفسهم ملوكًا وأسيادًا، يصرخون تحت سياط الجلاد، أو ينتظرون ضربة السياف وما زالوا فيه صبر وثبات.

أيها العظيم! أما ما لا تعرفه فإن اليهود قد احتلوا فلسطين، وأسموا دولتهم «إسرائيل»، ودنسوا مسجدها منذ أكثر من سبعة عقود، وقتلوا مجاهديها، وأسروا شبابها، وبقروا بطون نسائها، وقطعوا أشجارها، وأحرقوا زرعها، وهدموا بناءها وأذلوا أهلها وأهانوا شيوخها، ومازال المسلمون في غفلتهم ما بين ساكت أو متآمر، وصدق فيهم قول الحبيب: «غثاء كغثاء السيل»، وما زلنا نسمع الشعارات الجوفاء والخطابة المنمقة، وليس لنا إلا الله.

وكان لنا نصيب في غياهب سجون الاحتلال، فمن أراد أن يضيف إلى تاجه درة، أو إلى صدره نيشانًا فليس له إلا أن ينادي باسم فلسطين وباسم الأسير وحريته وقداسته، فبحثت عن الفضيلة بين جلالته وسيارته فلم أجد لها طريقًا.

أيها الشامخ تحت التراب! لقد تطور العالم وتقدم، وأصبحت الكرة الأرضية كأنها قرية صغيرة، أسموه زمن (العولمة)، لقد وصلوا إلى القمر، وأنشأوا شاشات التلفزة الفضائية، والشبكة العنكبوتية، والهواتف المحمولة

اللاسلكية، فبضغطة زر تستطيع أن ترى بالصوت والصورة، ومن أي مكان على سطح البسيطة ما تريد وما ترغب وما تحب من حسن وقبيح، من فضائل ورذائل، من سعادة وتعاسة.

احتل الغرب عقول الشرق، ودمر ثقافته حتى استعبدوا أصحاب الكراسي والمناصب، وقلدتهم العامة، وقد صادروا ثقافتنا، وسرقوا تاريخ أجدادنا، ونهبوا ثرواتنا، وحاربوا إسلامنا وأدخلوا فيه ما ليس منه، وادعوا الحق ونادوا بحرية نسائنا فأضلوهن ولم يبقوا على شيء من الحضارة.

إذا ما بحثت عن الفضيلة في ظل العولمة، فتجد كل رذيلة في ازدياد وكل فضيلة في تناقص وتراجع، فالكل تعلم من أساليب وخطط وأفكار الكل الآخر، فازداد التاجر سرقة، والسياسي كذبًا، والشيخ نفاقًا، والصديق خيانة، والحليف غدرًا، والمعاهد نقضًا، والغني غنى والفقير فقرًا، على مستوى الفرد والجماعة، والكل نفسي نفسي، فصار الحق باطلًا، والباطل حقًا، بل اختلط الحابل بالنابل ولم يعد هناك شيء بيّن لكثرة الشبهات، ومن الصعوبة بمكان أن تميز.

إذا ما بحثت يا سيدي عن الفضيلة _كما قلت_ في الحانات والمواخير بين الراقصات والعاهرات، بين السكارى والمسكرات، بين اللصوص والزناة، حتمًا ستجد بينهم من يدعى الفضيلة، بل إن أكثر من يدعي الفضيلة هم أولئك، فهم أكثر من نراهم ونسمعهم على الشاشات ونقرأ عنهم في الصحف والمجلات، يقولون ما يشاؤون، ويدعون ما يرغبون دون حسيب أو رقيب، وأصبحوا هم قدوة الأمة وشبابها ونسائها.

اختلت الموازين، وانقلبت المفاهيم، وتغيرت النفوس، والحق أصبح خائفًا من الشر والظلم الذي لبس فروة السبع، فشحذ أظافره وكشر عن أنيابه، ليهجم على الخير وأهله.

قد أنجبت الأمة رتبها، وقد تطاول العراة الحفاء رعاء الشاة في البنيان، وقد حكم الأولاد وأداروا شئون العباد والبلاد، وقد اتبعوا كل ناعق وأصبحوا إمعات، وخرجت الكاسيات العاريات من المواخير والحانات إلى العلن على الشاشات ولهن حقوق مقدسات، ومجرم من دعا عليهم بالويلات.

تزوج الذكر من الذكر والأنثى من الأنثى وقد أنجبوا الأطفال، وقد غيّروا وبدلوا في خلق الله، وسنن كونه، وفطرته التي فطر الناس عليها وتركوا شرعه.

غيروا من خلقهم كما غيروا أخلاقهم، فمن لم تعجبه فحولته قلب جسده أنثى، ومن لم ترضَ عن أنوثتها قلبتها ذكرًا، فلا تستطيع أن تحكم على الرجل رجلًا ولا على الأنثى أنثى إلا بعد تدقيق وتمحيص.

لقبوا ونادوا على القاتل شجاع، والسارق ذكي فطن، واللص التاجر شاطر، والمحتال عالم، والخداع عاقل، والأناني حسن التدبير، والمحتل صاحب أصيل وصاحب الأرض والحق معتد شرير، أما العاقل فجبان، والفقير صغير، وطيب القلب مغفل، وطاهر السريرة بليد، والحليم عاجز، يفتخرون بالرذائل ويستحون من الفضائل، أضف إلى ذلك يسمون المتذلل

المتعلم الدني متواضعًا، ويسمون الرجل إذا ترفع بنفسه عند الدنايا وعرف حقيقة منزلته من مجتمعه متكبرًا.

يستعر الفرد والجماعة من الحديث بلغته العربية، أو لهجة بلده، فأدخلوا اللغات الأعجمية، ظنًا منهم أنها سترفع من قدرهم، ومكانتهم، فنسوا لغتهم الأم واندثرت المعاني وأعجمت الألفاظ، فلا يكاد أحد يعرف معنى كلمة الفضيلة دون الرجوع إلى معنى اللغة.

آه يا سيدي، سأواسيك وأقول لك مازال هناك أحاد من الناس يبحثون أيضًا عن الفضيلة، ومثلك لا ينكرونها، ولكنهم يجهلون مكانها، سينقطع النفس وينتهي العمر ويأتي الأجل دون أن نعطي الفضيلة حقها في البحث عنها فما زلنا في زمن الرذائل ونحتاج لطول عمر لنصل إلى زمن الفضائل.

اللهم أحينا ما دامت الحياة خيرًا لنا، وأمتنا ما دام الموت خيرًا لنا.

البخلاء

كان قديمًا وما زال حديثًا، فيمن أعرف من الناس في سجني هذا، رجال، بل ذكور ـ فليس كل ذكر رجل ـ لم يعرف الأسرى أبخل منهم، ذاك لأن من ميزات السجن أنك تعيش مع النزلاء على مدار اللحظة والدقيقة والساعة واليوم، فلا تحتاج إلى الشهور والسنوات، والمواقف والذكريات، وكثير من المعاملات لكي تكتشف أي صفة من الصفات أو خصيلة من الخصال.

فمهما تصنّع الإنسان في قول، أو تكلف في عمل فسرعان ما يعود إلى سجيته وإلى عادته وإلى أصله وإلى طبعه الذي طبع منذ نعومة أظفاره.

مهما حاول أن يظهر علمه، فما أن يتحدث تعرف حقيقته، وإن وعد فستعلم وفاءه من إخلافه، وإذا أؤتمن فيظهر لك أمانته من خيانته، حتى إذا عبد ربه تعرف صدقه من كذبه، حقيقته من زيفه، وإذا أنفق ستكتشف كرمه من بخله.

يقول الأصمعي: ثلاثة يُحكم لهم بالنبل حتى يُدرى من هم، وهم: رجل رأيته راكبًا، أو سمعته يُعرب، أو شممت منه طيبًا، وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يُدرى من هم، وهم: رجل شممت منه رائحة نبيذ في محفل أو سمعته في مصر عربي يتكلم بالفارسية أو رجل رأيته على

ظهر طريق ينازع في القدر.

وقول الأصمعي يفسره قول علي _رضي الله عنه_ ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاث: لا يعرف الشجاع إلا في الحرب، ولا الحليم إلا عند الغضب، ولا الصديق إلا عند الحاجة، ونضيف إليها ولا الكريم حتى ينفق، ولا الرجل حتى يفصح.

فما أسرع على الفطين أن يكتشف الفضائل من الرذائل، ومكارم الأخلاق وسوءها والصفة ونقيضها في السجن، فليس هناك فرق بين الظواهر والبواطن أو حد يفصل بينها، فالباطن مكشوف في أغلبه بحكم ضيق المكان وطول العشرة والاحتكاك الدائم والتجربة الوفيرة، والمواقف الغزيرة، حتى يستوي سّر الإنسان وعلنه.

من رأيت من البخلاء أشد الناس اشتهاءً للطيبات من المأكل أو الشرب والملبس دون أن يبذلوا بذلك قرشًا واحدًا، وأشدهم تملقًا وعبودية لغيرهم، وأقلهم إنفاقًا وأداء للواجب، وأكثرهم أنانية وتذمرًا ويأسًا وثرثرة وجبنًا ونكتًا وغيبة ونميمة واعتراضًا وشكوى.

وداهية الدواهي القول المقلوب والفهم المعكوس، الكلام العقيم والفهم السقيم يستحسنون ما يستقذره الناس، ويقذعون مما يستحسنه الناس، يستهوون القبيح ويذمون الجميل، غباء مستفحل، وجهل مستشرٍ تجده أقرب إلى الحيوان الأعجم منه إلى الحيوان الناطق، فليس لهم من الإنسان إلا الصورة والمظهر لما اشتملوا عليه من سوء خلق، فأصبح الواحد جسدًا بلا روح، جيفة ليس فيها إلا الروائح النتنة والمنظر

المستقذر، أما إذا أراد الشيء لنفسه ليشبع رغباته، ويلبي طلبات شهوته، حسد ثم انقلب فأصبح أذكى الأذكياء وأفقه الفقهاء وأعلم العلماء.

لا تعرف قيمة الأشياء إلا بعد فقدها، والأسير فاقد لكل شيء تقريبًا إلا أنه ميت يتنفس وقلبه ينبض بالدم فقط، كما أنه أكثر الناس معرفة بقيمة الحياة الحقيقية، فيتعامل معها كما هي حياة زائلة، كما أنه أكثر الناس معرفة بقيمة المال الذي لا يدوم، فينفق ويبالغ، وهو أقدر الناس على معرفة الصبر والتعامل معه فأن تعيش الشيء والموقف والمحنة شيء، وأن تسمع أو تقرأ عنها شيء آخر تمامًا، وهو أكثر الناس معرفة بالرذائل فيجتنبها، وبالفضائل فيمارسها؛ لأنه يرى الاثنين أمامه أكثر من غيره وله الخيار، ولا يتمنى إلا الخير للآخر فلا يحسد، ولا يدعو له إلا بالمزيد فلا يحقد.

فأن تجد أسيرًا حاقدًا حاسدًا! ولماذا؟ وعلى ماذا؟ على قلم في يدي! أو لقمة في فمي! أو حذاء في قدمي! أو ملبس يسترني! أو سبحة بين أناملي! أو ساعة على رسغي! أو خاتم في بنصري! أو قميص على بدني! أو حتى على ابتسامة على شفتي أو خبر سرني! أو على نعمة أصابتني، وأي نعمة تصيب الأسير في أسره؟!

فالبخل ليس حب المال المفرط فقط، وليس الأنانية وحدها، وليس كتمان العلم وحسب، بل يتعدى ليجمع بين طياته كافة الرذائل، فهو لا يبخل بإخراج ما لديه فقط، بل يحب أن يكون مثال كل شيء إليه، لعمري هذا مرض زؤام لا تصلحه الأيام.

«إن العلاقة بين البخل والمال ما هي إلا كالعلاقة السطحية بين

العلم والأوراق، وبين الشجاعة والسيف، وبين الزمن والساعة، وقد وجد البخل قبل أن تحتجن الأموال وتمسك النقود، كما سلف العلم قبل أن تصنع الأوراق، وتقدمت الشجاعة قبل أن تطبع السيوف، ودار الفلك قبل أن تخترع الساعة، ولو أصبحت الدنيا قد انقرضت منها الأموال وفني من أيدي الناس الذهب والفضة والدينار والدولار لما قضي ذلك بفناء البخل من قلوب البخلاء»[1].

«إنما البخل عاهة تحجب الفكر وتفسد الطبع وتفرد المرء عن الفطرة العامة بين بني جنسه بفطرة منكوسة عوجاء، وتذره خلقًا عجيبًا كل حظه من الحياء أن يحرم نفسه حظوظ الحياة، وليس البخل عاهة واحدة بل هو جملة من عاهات ممثلة في هذه العاهة، فهو مزيج من الجبن الدفيء الذي يصور للمرء الخطر المستحيل كأنه قضاء حتم لا مرد له، ومن الخمسة التي يتساوى عند صاحبها الفخر والعيب.. وعنده من البلادة التي تميت فيه كل أريحية حتى لا تهتز في نفسه أمنية أو عاطفة تقوى على كسر قيود شحه وجبنه».[2]

«وقد ظهرت هذه الخلال للناس قبل أن يتمدينوا بآلاف السنين ومقتوها فمقتوا البخل متفرقًا قبل أن يمقتوه مجتمعًا، وغاية الفرق بيننا وبينهم أنهم كانوا يستضعفون من تكون فيه خلة من هذه الخلال، فينبذونه عنهم ويهضمون حقه، ويدوسون حرمته، ولربما تبرأ منه ولاة دمه، وأما في مدينتنا هذه التي وضعت سنة المال موضع سنة الحياة، فقد صار البخيل

(1) كتاب (الفصول)، عباس محمود العقاد، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، الطبعة 2019م.
(2) المصدر السابق.

فيها يحل ويبرم، ويؤخر ويقدم، ويحلل ويحرم، ويستشفع إليها بيد فيها المال ويد فيها جبنه وخسته وبلادته فتقبل منه هذه كتلك».[1]

ألا أيها البخلاء صبرًا سيأتي اليوم الذي تمرضون، وتنامون على فراش الموت، وستنفقون ما كنتم له خازنين، وسيسبق القدر وتنقلون من ظاهر الأرض إلى باطنها، ومن قصورها إلى قبورها، وسيئول ما جمعتم إلى ورثتكم، ليتمتعوا بما أشقاكم، ولن يحرموا أنفسهم ما حرمتم أنفسكم إلا إذا كانوا أمثالكم، ولا أظنهم إلا معتبرين من حالكم.

فاعتبروا يا أولى الألباب!

(1) المصدر السابق.

المستقبل

لا يكاد يخلو إنسان على وجه هذه البسيطة قبل أن يضع رأسه على الوسادة في كل مساء إلا ويفكر في غده القريب وغده البعيد، سنة الله التي فطر الناس عليها، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، وكلما ضاقت، وكلما استحكمت حلقاتها ازداد الهم والغم والألم والعذاب، وازداد التفكير في المستقبل إلى أن يصبح العقل يعمل كالآلة الأوتوماتيكية التي لا سيطرة للإنسان عليها، وربما قاده هذا إلى مرض عضال أوصله إلى الهاوية.

يفكر الإنسان في نفسه، حاله، وشأنه، في ماله ورزقه، تجارته وظيفته، في أهله زواجه وعياله، في هدوئه واستقراره، في حريته وأمانه.

للأسف فنادرًا أو قليلًا ما يفكر المرء في آخرته وقبره، جنته أو ناره، حياة النعيم أو حياة الجحيم، فكر قاصر خياله محدود، لا يتعدى المنظور من الدنيا، والمحسوس من الشهوات الزائلات، وهو على يقين بذلك، لكنه عالم المتناقضات الذي بالكاد تستطيع أن تفهم منه شيئًا.

نعلم حق العلم أن ما نفكر فيه في المساء، ربما نتمه وربما يعترضه عارض من عوارض الدهر؛ لأننا لا نعرف من شئون المستقبل شيئًا؛ لأن الغد في علم الله وما أفكارنا إلا خيالات وأوهام وأضغاث أحلام، يتحقق ما يتحقق ويتبخر ما يتبخر.

في الصباح نلبس أثوابنا، ولا نزال نلبسها حتى لحظة التفكير بأمرها، لكن لا تعلم هل نخلعها بأيدينا أم تخلعها يد الغاسل.

مع إشراقة كل شمس نروح لأعمالنا دون أن نعرف هل سنغدو إلى بيوتنا أم لا، كل ما يفكر به البشر في مسائهم أو صباحهم، في يومهم أو غدهم، في حاضرهم أو مستقبلهم، فالأسير في أسره، والمعتقل في زنزانته، والمتهم في محكمته، والسجين في سجنه يفكر بأضعاف مضاعفة لما يفكر به أهل القصور؛ لأن المستقبل بالنسبة له شبح مخيف مجهول مبهم يتراءى للناظر من مكان بعيد، فربما كان ملكًا رحيمًا، وربما كن شيطانًا رجيمًا، بل لا يراه إلا سحابة سوداء يتربع فوقها إبليس ليقبض روحه بدلًا من ملك الموت.

الانتظار بالنسبة له موت بطيء، يفكر بالأحلام والمستقبل الذي بناه والناس في عقود كيف سيبنيه في شهور؟ وكلما رأى الأحلام، وعلق الآمال الصغار والكبار وتمنى الأماني الحسان اعترضه عارض نسف له أماله نسفًا، فتركها قاعًا صفصفا، لا يسمع فيها عوجًا ولا أمتًا.

رغم أن الأحلام تتحطم على صخرة الواقع الذي يخفي بين جنبيه ما لا أذن سمعت ولا عين رأت، ولا خطر على قلب بشر إلا أنه لا ييأس، ولا يكف عن الأحلام، ليزرع في نفسه الآمال، التي تعينه على أعباء الطريق، وإن كان هذا الأمل بعيد المنال.

ألا أيها الغد رفقًا بأحلامنا، فيا عالم الخفيات، ومدبر كل ما هو آت، الطف بنا يا لطيف.

ما زالت الدنيا بخير

وبينما أنا جالس في ساحة سجني، وأمامي منضدة، أكتب وأقرأ، وبجواري جمع من الأسرى، يلتفون حول رقعة شطرنج، التفافة الأكلة حول قصعتها، بين لاعب ومشجع، متحدث وصامت، قائم وقاعد، ناصح ومفسد، وأمامي آخر الساحة، طويل القامة، شامخ الهامة، يمشي هنيهة، ويقف أخرى ليواصل تمارينه الرياضية في هذا الطقس الحارق من أيام صحراء النقب الملتهبة منتصف النهار والشمس عمودية.

لم ألحظ وجود هذا الشاب، وكنت مستغرقًا في الصفحات الأخيرة من الكتاب، منفصلًا تمامًا عمن حولي، مستظلًا بجدار شاهق، تعلوه قضبان الحديد وسلك، بل أسلاك شائكة حلزونية وعمودية كأنها أعواد المشانق.

على حين غرة، انتبهت للشاب، بكل أدب واحترام وتقدير يعتذر عن المقاطعة وقد احمر وجهه حياءً وخجلًا، فقال: هل هناك مانع لو خلعت البلوزة ولعبت وأنا ألبس (الشلحة)؟ فعرفت أنه من الضفة لأن غزة تقول (شباح) للرجل أما شلحة فللمرأة، أما الضفة فللباس الرجل والمرأة الداخلي العلوي (شلحة).

تركت كتابي، اعتدلت قائمًا نظرت إلى عينيه احترامًا وتقديرًا، ووضعت يدي بيده إجلالًا وتوقيرًا، ولم أزد على أن قلت: لا مانع، فشكرني ومضي خالعًا رداءه، ومستمرًا في تمارينه.

جلست لأتم الصفحة الأخيرة من الكتاب، فقرأت وكررت دون تركيز أفكر في هذا الشاب، وهذا الخلق، فألقيت الكتاب جانيًا وشرعت بالكتابة، وقلت لنفسي، ما زالت الدنيا بخير.

أكتب وعيني تختلس النظر إليه محاولًا أن أدخل لسريرته لأعرف أو أحاول على الأقل أن أفهم من أي نوع من الرجال، موقف صغير لا يكاد يذكر، فالرجال مواقف، لم يستغرق من الوقت إلا لحظات، لكنه ترك الأثر الكبير فاحترمت الرجل أيما احترام، وقدرته أيما تقدير.

أن ترى مثل هذا الموقف، من شاب في بداية عمره، فلم أرَ مثل هذا الخلق منذ ما يقارب العقدين وأنا في غياهب سجون الاحتلال، فمن أنا ليسألني؟ ولماذا يسأل وهو يلعب بعيدًا عني؟! وليس بيني وبينه أي معرفة مسبقة؟ ولم أره قبل هذه اللحظة؟ ولست بالشيخ الكبير أو العالم الجليل أو الناصح الأمين لكي يتوجه إليّ بسؤاله.

لم أجد أي فارق بيني وبينه يدعوه لسؤالي، فنحن سواسية في كل شيء تقريبًا.

ثم إن هذه مسألة خاصة، وهذا شأنه، وله ما يريد، خاصة وأنه بفعله لا يزعج من حوله، ولا يسيء لزملائه، ولا حتى برائحة عرقه، فلم أجد إلا مكارم الأخلاق، سألت عنه فقالوا لي الاسم والعمر، فسألت عن الأخلاق فأثنوا عليه ومدحوا كثيرًا من صفاته ثم ازددت له حبًا واحترامًا وتقديرًا عندما عرفت أنه طبيب.

يشتاق المرء في هذا الزمن لأن يرى مكارم الأخلاق تدب على الأرض شوق الأرض الجدباء إلى مطر السماء؛ لأننا في زمن رأس الهرم فيه المال والفضة والذهب، وأوسطه القوة والنار واللهب، وأسفله أي شيء إلا الأخلاق والأدب، إذا ذكرت المناقب قالوا يا للعجب، وإذا ذكرت الفاسد قالوا ذا الأدب، فلا مكان للمكارم والفضائل وقد استحال الحق باطل، والفضائح شمائل والمحاسن رذائل، وما كان بالأمس مستقذرًا فهو اليوم مستحسنًا.

ظهرت (الموضة)، فارتدى الرجل لباس المرأة، والمرأة رداء الرجل، إذا ما أردت أن تبتاع هندامًا يقيك برد الشتاء أو يحميك من حر الرمضاء، عليك أن تطوف الأرض وستعجز عجزك، ثم إلى الخياط يخيط لك طلبك.

اختل الميزان، وانتشر الاتفاق على القبيح، فلا يمكن أن تفكر ما يصف أو يشف، الرجل بثلث أو ربع بنطال، إذا جلس شمر عن باقي رجليه، وإذا ما قلت استر نفسك قال: الجو حار، وإذا ما لبس الملابس احتاج لبرميل زيت يغمس جلده فيه لينزلق داخل ملابسه أو تنزلق داخله.

ملابس تكاد أن تتمزق لضيقها، هذا إن لم يكن التمزيق مقصودًا، عند ركبتيه وفخذيه كأنها فتحات تهوية، وإذا ما جلس ظهر مفرق مقعدته، والرجل والمرأة على حد سواء، كل شيء اسمه (الموضة) بلا خجل ولا حياء، بلا اعتراض أو انتقاد، أما الشعر وأشكاله وألوانه، والكلام وحروفه ومخارجه فحدث ولا حرج، وبعد كل هذا تجد رجلًا أو شابًا ما زال فيه من الحياء والخجل والأدب ما فيه، يحترم ويقدر ويستأذن، لعمري

هذا في الحياء لبديع، وكان بجواره زميل من الأولى أن يستأذن إذ كان يستمع إلى الراديو المعلق على الجدار مسببًا إزعاجًا وصداعًا وغضبًا، وهناك من يدرس أو يقرأ أو يكتب أو يحفظ القرآن.

أجلس أمام المنضدة وعليها أوراقي، أقلامي، كتبي، ودفاتري، وأمامي من يمشي، ومن يجلس، ومن يلعب، ومن يتحدث كحال السجن، فيأتي أحدهم حديث عهد في السجن فيلملم أغراضي، ويكدس كثيرًا، ويجمع كلًا على الطاولة، ويضعه أرضًا، ثم يعود ويسألني، متي سنقوم للمشي؟ بعد أن همّ بأخذ الطاولة يريد أيضًا الكرسي ليجلس يلعب الشطرنج!

انظر، استغرب، أندهش، وبصمت أترك له الجمل بما حمل، وأجلس وأضع دفتري على رجلي وأواصل الكتابة؛ لأن العرب قالت قديمًا إن لم تستح فافعل ما شئت، ثم لا أرضى لنفسي أن أنزلها النزعة التي أنزله نفسه فيها.

ويأتي آخر، وبملء فيه: أنتم جهلاء، لا تعرفون طبيعة الحياة في الخارج وقد أكل عليكم الزمان وشرب، وظهرت عليكم العفونة في السجن.

وآخر: أنتم مرضى نفسيون، ومعقدون ليس بإمكانكم أن تتأقلموا وتتكيفوا مع الواقع في الخارج، أنتم بحاجة إلى علاج.

وغيره: يتذمر من سوء الحال، وصعوبة السجن، ويندب حظه، ويدعو بالفرج لنفسه، مدعيًا أننا تعودنا على السجن.

وغيره: يطالب بما لم يحصل عليه من سبقه من حقوق، يعتبر نفسه مساويًا لمن له عشرات السنين في الأسر، لا يختلف مع القديم في الجهاد والمقاومة والألم والسبق.

وغيرهم: يجلسون رجلًا على رجل، يتعاملون مع القديم خادمًا، يطلبون ما يشتهون من الأكل والشرب ولا يكلفون أنفسهم بالمبادئ في النظافة أو غسل ملعقتهم على الأقل.

وغيرهم، وغيرهم، وغيرهم ويكفي الرد عليهم أن من سبقهم يعلم وتعلم من العلم ما لم يعلموا، وصبر على ما لم يصبروا.

لو قلنا أن أحدهم لا يعلم من العلم إلا القشور، ولا يدري من التاريخ إلا سطورًا، وليس عنده من الدين إلا اليسير لكنا ظالمين؛ لأنه لا شيء فارغ تمامًا، الأرض الجدباء الخاوية على عروشها فيها أكثر مما فيه، لا يعرف للصلاة طريقًا ولا للوضوء سبيلا، ولا للصوم مذهبًا، ولا للاستنجاء كيفية، ولا للاحترام موضعًا، ولا للتقدير مكانة ولا للمعاناة معنى تلزمه بالدروس إلزامًا، ونجبره بالمحاضرات إجبارًا، ونغصبه على الحضور غصبًا، ليخرج من سجنه بحال أفضل من التي دخل بها، عل أهله يقدرون صبرنا ومعاناتنا مع هذا الابن الذي تركوه للشارع واستسلم لأهوائه وشهواته.

أهذا ما جنته أيديكم من التكنولوجيا والتطور؟ أهذا ما حفظتم من وسائل التواصل الاجتماعي؟ أهذا ما عادت به عليكم (العولمة)؟ أهذا ما ورثتموه من الآباء والأمهات والمدارس والجامعات؟ أيها المربي كفي

انحدارًا، أغيثوا شبابكم قبل الانهيار، قبل فقدان الأمل، من لم يحسن تربية ولده سيصبح يومًا نكبته الكبرى في حياته وعاره الدائم بعد مماته. ثروة العقل والأدب خير ألف مرة من ثروة الفضة والذهب.

المرض النفسي

زميل معاناة منذ ما يزيد عن العقد، وحالته تتفاقم يومًا بعد يوم، وما هو إلا مثال على كثير من أشباهه، باءت كل محاولات الإصلاح بالفشل، وكلما مرت الأيام أصبح عصيًا على العلاج.

ازداد بعدًا عن الناس، وعزلة عن المجتمع، وانطوائية، يرى كل شيء بوشاح السواد، لا يرى إلا السلبيات والإخفاقات، ولا يتحدث إلا عن السقطات والهفوات، ولا ينسى الكبوات، لا يرى الصواب إلا في نفسه ولا يرى الخطأ إلا في غيره، لو أشعلت له أناملك العشرة بالشموع، فلن يرى إلا الظلام الدامس، يعيش بدور الضحية التي تكالب عليها الناس، لا يتسامر إلا مع السفلة، ولا يصاحب إلا الرزية، ولا يأنس إلا لكل مرجف كذاب، ومفتون مرتاب، إذا أردت الألفة والتقريب أراد الفرقة والتخريب.

لا يسمع همسة هامس، ولا نصيحة ناصح؛ لذلك يزداد بعدًا عن العلاج، بدأ كل هذا معه في أول يوم سجن فيه حيث كان وحيدًا في الظلام، في زنازين الاعتقال وانطلقت حالته بالتراجع.

أول العلاج الاعتراف فمن لا يعترف جبان، ونحن نقر أن كل إنسان عنده مرض نفسي خفي، عرضي أو مستفحل، يظهر غالبًا في واقع الضغط والمعاناة والألم والعزلة ومصائب الدهر، فمن يعترف على الأقل يستطعْ

أن يسيطر على المرض ويمنعه من الانتشار، لكن المريض النفسي غالبًا لا يعرف بمرضه، فالمبالغة بالفرح والسعادة والحزن والتعاسة، وفى ردة الفعل، أو الإحساس بالحب أو الكره بدرجة عالية جدًا، فهذا كله يحتاج إلى علاج، لذلك على كل إنسان أن يزور الطبيب النفسي كما يزور طبيب الأسنان، هذا إن أراد لحياته أن تكون أكثر واقعية واتزانًا.

من يمارس أي فعل أو قول قبيح رذيل كالغدر والخيانة والكذب والخداع فهو في الأصل مريض نفسي، فما مارس هذه الرذيلة أو تلك إلا لشعوره بالنقص في جانب من الجوانب، فأراد أن يعّوض هذا النقص بالكذب أو الزنا أو غيره.

من يفكر بسلبية حتمًا ستكون النتيجة سلبية، وما زميلنا إلا مثال، وكم من نسخة له في المجتمع ومن ضعفت همته قلت ثقته بنفسه، وكم من ضعيف همة في هذا الزمن، والنتيجة كره الآخر، وإذا كرهته فلن تتقبل منه أي قول أو عمل، وبالتالي إما أن تصبح منبوذًا أو صورة للمنبوذ والاثنان سواء.

تنتقد الحاسد وأنت مثله، وتغتاب اللص وأنت شبيهه، وتذكر الكاذب بسوء وأنت أكذب منه، وتظهر كرهك للغادر والخائن وأنت شريكه، باختصار إذا ما نظرت إلى المرآة ستجد أنك لا تنظر إلا لصورتك، ولا تحدث إلا نفسك، لكنك تنكر هذه الحقيقة فأصبحت كالذي يرى القذارة في عين أخيه، ولا يرى الجذع في إست أبيه، ولا يشعر بالخازوق في

إسته، قف أمام المرآة وحاول أن ترى نفسك.

«إن أكثر الناس وقوعًا في أعراض الناس، وجدًا وراء صغائرهم وخسائس جبلاتهم هم أكثر فضائح وأرذلهم مروءة؛ لأن النفس الكريمة تتأذي من انكشاف عورات الناس ولا تطيق النظر إليها، تأذيها واشمئزازها من رؤية جيفة نتنة على قارعة الطريق».[1]

«إن حب الذات ينشأ عن ضعف حاسة الواجب وهو مرض من الأمراض النفسية العقلية».[2]

فكل مرض يؤدي إلى آخر وكل رذيلة تؤدي إلى أخرى، كما أن الفضائل لا يتبعها إلا الفضائل، لا تسمح لنفسك أن تدخل في اضطرابات نفسية تؤدي بها إلى الشذوذ.

(1) عباس العقاد، الفصول.
(2) ماكس نوردو.

جلسة استكبار

قلت له: كيف حال فلان؟ فجلس جلسة استكبار! والقدم على القدم! وبدأ يذم وينم! قلت: أسألك عن الحال وليس عن الأخلاق فاختصر.

قلت: كيف حال علان؟ فمدح ومدح وأطال، فقلت: أسألك عن الحال فواصل مدحه! مع أن الأول إنسان محترم في نظر كل من عرفه، والثاني يستحق الذم، لكن الأول لم يسانده على الخطأ، والثاني شهد معه شهادة زور، فمدح الثاني وذم الأول بناء على أهوائه.

قال المنفلوطي في النظرات: قولًا تحت عنوان «الإغراق» وقد قطع بقوله قول كل خطيب، وذلك قبل قرن من الزمن: «بين الإغراق في المدح، والإغراق في الذم، تموت الحقيقة موتًا لا حياة لها من بعده، إلى يوم يبعثون».

يسمع السامع أن زيدًا ملك كريم، ثم يسمع أنه شيطان رجيم، فيخرج منه صفر اليدين، لا يعلم أين مكانه من هذين الطرفين.

يقولون إن المشعوذين إذا أرادوا أن يسحروا أعين الناس علقوا في سقف من السقوف قطعة من المغناطيس، ووضعوا مقابلها في الأرض قطعة أخرى ثم يتركون في الفضاء قطعة من الحديد، لا تزال تقترب بين

هذين الجاذبين، هكذا تضطرب الحقيقة في أيدي المغرقين اضطراب الحديد في أيدي المشعوذين.

لو علم الذي ينصّب نفسه للموازنة بين الأشخاص أنه جالس على كرسي القضاء وأن الناس يسألونه عما قال كما يسألون القاضي عما حكم، ما طاش سهمه في حلمه، ولا ركب متن الغلو في تقديره.

كما أنه يجب على القاضي أن يقدر لكل جريمة ما يناسبها من العقوبة، كذلك يجب على الكاتب والمتحدث أن يضع كل شخص في المنزلة التي وضعته فطرته فيها، وأن لا يعلو به فوق قدره، ولا ينزل به دون منزلته.

يقول الجاحظ: «أنفع الحوائج للمادح وأجداها على الممدوح، وأبقاها أثرًا وأحسنها ذكرًا أن يكون المديح صدقًا، وللظاهر من حال الممدوح موافقًا، وبه لائقًا، حتى لا يكون من المعبر عنه ولا الواصف له إلا الإشارة إليه والتنبيه عليه».

ليس بين كتاب العصر من لم يقرأ في التاريخ القديم متناقضات الحكم على الأشخاص، وليس بينهم من لم يتمن أن يكون في موضع أولئك المؤرخين المتطرفين حتى لا يغلو غلوهم، ولا يتطرف في أحكامهم.

أيها الكتاب المحزونون: لا يحزنكم ما كان، فقضى ذلك الزمان بخيره وشره، ولا سبيل إلى رجوعه، ولئن فاتكم أن تكونوا مؤرخي العصر الماضي، فلن يفوتكم أن تكونوا مؤرخي العصر الحاضر، وكما أن للماضي

مستقبلًا وهو حاضركم هذا، فيكون لهذا الحاضر مستقبل آت يحاسبكم فيه رجاله على إغراقكم في أحكامكم، كما تحاسبون اليوم رجال الماضي على غلوهم في أحكامهم، وتطرفهم في آرائهم.

إن من التناقض بين أقوالكم وأعمالكم أن تنقموا من المؤرخين المتقدمين ما أنتم فاعلون اليوم، وتأخذوا عليهم ما أنتم به آخذون.

كل كاتب عندكم أكتب الكتّاب، وكل شاعر أشعر الشعراء، وكل مؤلف أعلم العلماء، وكل خطيب رئيس الأمة، وكل فقيه إمام الدين، وكل متحدث أصدق من القائلين، فأين الفاضل والفضول؟ وأين الرئيس والمرؤوس؟ وكيف يكون زيد اليوم أفضل من عمرو؟ ويكون عمرو غدًا أفضل منه؟ وأين ملكة التمييز التي وهبكم الله إياها لتميزوا بها بين درجات الناس ومنازلهم؟ وهل بلغ التفاوت بينكم في عقولكم وأذواقكم أن يكون الرجل الواحد في نظر بعضكم خير الناس، وفي نظر البعض الآخر شر الناس؟!

إن حبست الآن قلمي عن الكتابة لأتجرد من نفسي ساعة من الزمان، فتخيلت كأني رجل من رجال العصور الآتية، وأني ذهبت إلى دار من دور الكتب القديمة لأراجع تاريخ أحد عظماء عصركم هذا، فقرأت ما كتبتموه عنه في كتبكم وجرائدكم، فرأيته تارة عظيمًا وأخرى حقيرًا، ومرة شريفًا ومرة وضيعًا، ورأيته عالمًا وجاهلًا، وذكيًا وغبيًا، وعاقلًا وغرورًا في آن واحد، فخرجت أضل مما دخلت، لا أعرف من تاريخ الرجل أكثر من أنه رجل، أي أنه ذكر بالغ من بنى آدم.

أيها القوم! إنكم لا تستطيعون أن تكونوا رجالًا عادلين في أحكامكم وآرائكم إلا إذا أصلحتم نفوسكم أولًا، وتعلمتم كيف تستطيعون أن تتجردوا من أهوائكم وأغراضكم قبل أن تتناولوا أقلامكم.

أيها القوم! إن عجزتم عن أن تكونوا عادلين، فكونوا راحمين، فارحموا أنفسكم واعفوها من الدخول في مآزق أنتم عاجزون عنها، وارحمونا فقد ضاقت صدورنا بهذه المتناقضات، وسئمت نفوسنا من تلك المبالغات.

كان ذلك قديمًا، وما زال قائمًا حديثًا، يستوي فيه العامة والمثقفون، وربما يعذر الكتاب أحيانًا عندما لا يبالغون، لكن لا تعذر العامة، فلو نظرت إلى هذا الذي نصّب نفسه للموازنة بين الناس، فلو رأيت حركاته وسكناته لوجدت أنك بحاجة إلى ألف عالم ليقيّم أخلاقه، فهو من السفاهة والوضاعة ما يعجز عن إصلاحه المصلحون أو أن يصفه الواصفون.

انتبه لنفسك إن كنت من هؤلاء! عالج سريرتك لتكون خير خلف لخير سلف!

اللسان

قال الجاحظ: في اللسان عشر خصال، أداء يظهر بها اللسان، وشاهد يخبر عن الضمير، وحاكم يفصل بين الخطاب، وناطق يرد به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الأشياء، وواعظ يُعرف به القبيح، ومعز يرد به الأحزان، وخاصة يُذهب بالصنيعة، وقلّه يوفق الأسماع.

الحسن البصري: «إن الله تعالى رفع درجة اللسان، فليس من الأعضاء شيء ينطق بذكره غيره. أفضل شيء للرجل عقل يولد معه، فإن فاته ذلك فمال يعظم به، فإن فاته ذلك فعلم يعيش به، فإن فاته ذلك فموت يجتث أصله».

خالد بن صفوان: «ما الإنسان لولا اللسان إلا ضالة أو بهيمة مرسلة أو صورة ممثلة».

قال صلى الله عليه وسلم: «رحم الله امرأً أصلح من لسانه».

وأيضًا: «من ضمن ما بين لحييه، وما بين فخذيه ضمنت له الجنة».

أي المسلمين أفضل؟ قال صلى الله عليه وسلم: «من سلم المسلمون من لسانه ويده». «من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة»، «أمسك عليك لسانك».

إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفّر اللسان، تقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن إعوججت إعوججنا.

قال حكيم لأولاده: يا بني أصلحوا من ألسنتكم فإن الرجل لتنوبه النائبة فيستعير الدابة والثياب ولا يقدر أن يستعير اللسان.

الكتب

«الكتب كالناس، منهم السيد الوقور، ومنهم الكيّس الظريف، ومنهم الجميل الرائع، والساذج الصادق، والأديب المخطئ، ومنهم الخائن والجاهل، والوضيع والحليم، والدنيا تتسع لكل هؤلاء، ولن تكون المكتبة كاملة إلا إذا كانت مثلًا كاملًا للدنيا.

إن القارئ الذي لا يقرأ إلا الكتب المنتقاة، كالمريض الذي لا يأكل إلا الأطعمة المنتقاة، يدل ذلك على ضعف المعدة أكثر ما يدل على جودة القابلية.

واعلم أن من الكتب الغث والسمين، والسمين يفسد المعدة الضعيفة، وأنه ما من طعام غث إلا والمعدة القوية مستخرجة منه مادة غذاء، ودم حياة وبقاء، فإن كنت ضعيف المعدة فتحام السمين كما تتحامى الغث، وإن كنت من ذوي المعدات القوية، فاعلم أن لك من كل طعام غذاء صالحًا.

ثم اعلم أنه ليس بأنفس الكتب ولا بأجلها الكتاب الذي تتوق إلى إعادته بعد قراءته، وليس بأفرغ الكتب بأقلها الكتاب الذي تقنع بتركه بعد الفراغ منه، فإنك ربما صادفك الكتاب الأجوف المغلق فأعجبتك رنته، فجعلت تقلبه على كل جنب لعلك أن تخلص إلى لبابه ولا لباب

لـه، وربـما صادفـك السـفر القيـم الشـافي فانتهيـت إلى آخـره مرتاحًـا مصدقًـا، فقنعـت بذلـك فيـه، وقـد عهدنـا النـاس يمنعهـم البخيـل فيراجعونـه ويلحـون عليـه، ويعطيهـم المنعـم الكريـم فيهجرونـه ويعرضـون عنـه، وتلـك ضرائبهـم مـن مصاحبـة الكتـب، فـلا تكـن في المطالعـة مـن هـؤلاء».[1]

(1) عباس العقاد، الفصول.

إعدام وإعلام

رأيت فيما يرى النائم أحدهم يحدثني بالهاتف، وبالكاد أفهم صوته المتقطع، ثم ختم: سلم لي على أم نصار وأخبرها بموت أخيها، فقلت: إن شاء الله، ذهبت لأسأل إن كان هذا الاسم عندنا في القسم، قالوا: لا، فقلت: طيب إياد؟ أم؟ أبو إياد؟ نصار؟ أي اسم على هذا الوزن؟ قالوا: لا.

استيقظت من النوم، واستغربت من هذا الكابوس، نظرت إلى الباب، وإلى الطاقة وسط الباب، وإلى سلة المهملات، وإلى النائمين، فوجدت كل شيء مكانه، وهذا ليس كعادة كل صباح، فأدركت أن هناك حالة طوارئ وأن السجن والأقسام مغلقة ولم يخرج أحد من زنزانته.

قلت: أصبحنا وأصبح الملك لله، اللهم إني أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده، وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده، اللهم أعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال، اللهم إني أعوذ بك من قهر الرجال فلا يعرف القهر إلا المقهورون.

فتحت التلفاز، وما زلت مكاني، أدرت القنوات وإذ به على شاشة فلسطين، بالخط الأحمر العريض خبر عاجل: استشهاد الأسير نصار طقاطقة من بيت فجار قضاء بيت لحم في سجن الرملة (عزل نيسان)،

فقلت لاحول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، يا لطيف الطف بنا، وعادت بي الذاكرة قبل 17 عامًا عندما كنت مع أفضل الناس وأحب الناس وخيرة الرجال محمد وماجد و إياد ونضال طقاطقة، وبعد هذه السنين لم أجد لهم أخًا أو شبيهًا، فقد كانوا نعم الأخ ونعم الصديق، كانوا يحملون قلبًا لم أجد له مثيلًا، ولا أشك أن نصار كان مثلهم، فكل عائلة فيها الصالح والطالح، أما هذه العائلة لم أر ولم أسمع إلا عن الصالحين، لم أجد للطالحين بينهم مكانًا.

يسقط الشهيد تلو الشهيد، كل يوم يلاحقنا الموت بين أزقة الزنازين، تنتظرنا أعواد المشانق، تلتف حول أعناقنا حبال الإعدام يسقط من يسقط، وينجو من ينجو، استفحلت بنا الأمراض، بلغنا من العمر عتيا، واشتعل الرأس شيبا، والموت البطيء يقترب رويدًا رويدا، كل يوم تموت أم من لوعة الانتظار، ويلحق بها أب إلى العزيز الغفار، الوقت من صالح الموت وليس من صالحنا، ولا نعلم إن كان ما زال في العمر بقية، هل سنعود إلى أهلنا مشيًا على الأقدام، أم حملًا على الأكتاف؟

سقط في القبور أو بقى في ثلاجات الموتى، أو ينتظر في كيسه الأسود، أو مددًا تحت سكاكين الجزار ليأخذ منه قطع غيار إلى شعبه «المختار»، سقط ما يزيد عن 220 شهيدًا، منذ عام 1967م حتى اليوم، وقد أسقطوا من التاريخ والإعلام معاناة شعب وأسرى قبل هذا التاريخ بـ 20 عامًا (1948م)، ودفنوا قبلها حوالي ثلاثين عامًا فترة الاحتلال البريطاني، طمسوا التاريخ بمعاناة شعب، بالشهداء، والأسرى، والجرحى، والأرض، ولا تجد ذلك إلا في الكتب القديمة المهترئة الصفراء.

قبل خمسة أشهر بتاريخ 06/ 02/ 2019م التحق بالركب، استشهد الأسير فارس بارود بعد انتظار حوالي ثلاثة عقود، التحق بأمه التي سبقته بأشهر، والتي انضمت إلى أبيه الذي سبقها بأعوام، واجتمعوا هناك مع الإخوة والأخوات والأصدقاء، لم يكن له زوج ولا ولد، فبعد هذه العقود من الأوجاع والآهات كان استشهاده، رحمة ورأفة بحاله، التي تعبت ووهنت وضعفت ودب فيها المرض الزؤام وأعيته الإفراجات والصفقات وهو يراها أمام عينيه، الواحدة تلو الأخرى وتفتح كل الزنازين إلا زنزانته.

اختار الله له الأفضل والأحسن والأرحم ليكون شاهدًا على أحزاب متناحرة، وفصائل متفرقة، وشعب مبعثر، ووطن مقسم، وأقصى مدنس، وقيادة تلهث، وأمة غثاء، كغثاء السيل، وجريح يستنجد، وشهيد يستغيث، وأسير منسي يعاني، ووصية الرسول كانت «فكوا العاني»، فكانت نهايته يا خلاني.

ليكون شاهدًا على من خلط السياسة بمصير الأسير فكانت جريمة، ومن نسي الأمير فتلك خيانة، ومن لم يبذل كل جهده فكانت طامة، ومن لا يعلم بحال السجون فتلك مصيبة، ومن يعلم ويدعي المتابعة فالمصيبة أعظم، لا عذر لأحد أمام الله من الأمة أن يترك فلسطين محتلة، ولا عذر لشريف أن يترك أسيرًا خلف القضبان، ولا عذر لمسئول أو قائد أن ينعم بالعيش ووطنه ممزق مشتت محتل، لا عذر لفرد ولا لجماعة ولا للعامة، لا عذر لأحد، تستطيع أن تختلق الأعذار اليوم، تستطيع أن تقول ما تشاء لكن أمام الله لا يقال إلا الحق ويقبل إلا الصدق، ولن ترى إلا العدل فتدارك نفسك قبل أن يدركها الموت.

ورحم الله الشهداء، وألحقنا بهم ثابتين غير مبدلين، والحرية للأسرى، والمسرى، والشفاء للجرحى، والصبر للمعذبين المهجرين، والدعاء للنائمين الغافلين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حقيقة وليس هزلًا

2015م، كنت عائدًا من محكمة بئر السبع المركزية إلى سجن نفحة الصحراوي، في زنزانة الفحص والتفتيش والانتظار، قبل دخولنا أقسام السجن، التقيت بشاب أجعد الشعر، هزيل البدن، رث الثياب، لا يتكلم إلا ليطلب، فطلب سيجارة من السجان، وهذا خط أحمر عند الأسرى، والغريب أن السجّان أعطاه، فعاتبته بغضب كيف تطلب من السجان دخانًا؟ قال: أريد أن أدخن!

أن تدخن، أن تنحرق أو نموت ممنوع أن يتكرر هذا الأمر.

– ما اسمك؟

– محمد.

– عزيزي محمد هل أنت جديد في السجن؟

– لا أعرف.

– شو ما بتعرف؟

– اسم العائلة؟

– لا أعرف.

– اسم أبيك؟

– لا أعرف.

- أين تسكن؟
- نسيت لكن أظن رام الله أو نابلس.
- منذ متى وأنت في السجن؟
- زمان.

كم تقدر هذه «زمان»؟

- لا أذكر.
- طيب قبل المونديال أم بعد؟
- شو يعني مونديال؟
- يعني كأس العالم لكرة القدم، يعنى مباريات بين دول العالم.
- أي عالم؟
- خلص انسى، يعنى غزة والضفة، خلص اترك كل هذا الكلام.
- هل أنت متزوج؟
- نعم.
- الله أكبر متأكد أنك قلت نعم؟!
- عندك أطفال؟
- نعم.
- الحمد لله ربنا يطرح لك البركة فيهم.
- كم عمر أطفالك؟
- لا أعرف.

- كم طفلًا؟
- نسيت!
- عندما سجنت كم كان عمرهم؟
- لا أعرف!
- هل زرتهم؟
- نعم.
- كم تقدر عمرهم؟
- لا أعرف.
- يا سيدي انسَ كل تلك الأسئلة، السؤال الأسهل: لماذا اعتقلت؟
- ضربت جندي (بكس).
- لماذا؟
- مشكلة كانت في الحارة.
- يعني ليس عملًا وطنيًا، أو ردة فعل على جرائم الاحتلال، أو جهادًا في سبيل الله؟!
- لا، هو نحن لنا مشكلة مع اليهود؟
- فقلت له: لا، أبناء عمومة وأصدقاء وجيران محترمون اليهود!
- المهم، بعد ذلك ماذا حدث؟
- ضربوني وكسروني.
- وبعد ذلك؟

– دخلت السجن.

– أي سجن؟

– لا أعرف.

– ثم؟

– ضربت الممرض (بكس).

– ثم؟

– نقلوني.

– إلى أين؟

– إلى سجن بعيد وزنازين معتمة لا أعرف مكانها.

– ثم؟

– ضربت السجان (بكس).

– وبعد ذلك؟

– ضربوني ونقلوني.

– إلى أين؟ سجن مثل المستشفى، وبقيت مقيد بالسرير.

– وبعد ذلك؟

– ضربت (بكس) أحدهم، سجان أو ممرض لا أذكر.

– ثم؟

– نقلوني.

– إلى أين؟

- إلى هنا.

هنا؟ أين أنت الآن؟

- لا أدري.

- أنت في سجن نفحة الصحراوي يا صديقي، أسوأ سجن.

- وبعد ذلك، في أي قسم أنت الآن؟ ومن عندك؟

- لا أعرف.

- طيب الآن عندما تخرج من هذا الباب، يذهب بك السجان يسرة أو يمنة؟

- لا أعرف.

وأشاح بيده إلى شباك الغرفة.

- هذا شباك يا عم، هنا الباب، قل لي شيئًا واحدًا تعرفه حتى أقدر أساعدك.

- لا أعرف.

- تمام، يعني أنت تعرف أنك لا تعرف، هذه أول خطوة في الاتجاه الصحيح، عليك أن تخزن معلوماتك من جديد، وأي شيء يخبرك به أحد عليك أن لا تنساه، اتفقنا!

- اتفقنا!

خرجت إلى الضابط المناوب، وقلت له: عندي أسير لا يعرف شيئًا، وهذه بطاقته عندك في الألبوم، وباقي المعلومات في الحاسوب، وكان أمامه الحاسوب ليتأكد من بيانات كل أسير، ويطابق بصمة الأصبع مع الحاسوب.

خـرج الشـاب، وضـع إصبعـه في المـكان المخصـص، فخرجـت كل المعلومـات عـلى شاشـة الحاسـوب، ومـا أن قـرأ لي الضابـط الاسـم حتـى كنـت قـد اسـترقت النظـر وقـرأت كل المعلومـات في لمـح البـصر، ثـم أضـاف أن الأخ في العـزل الانفـرادي، فطلبـت منـه أن يعطيني دقائـق لأتحـدث مـع الأخ حتـى أفهـم مشـكلته ونقـوم بحلهـا مـع مديـر السـجن أو مـع مـن هـو أعـلى منـه رتبـة، لنخرجـه مـن العـزل، فوافـق.

جلسـت مـع الأخ وتلـوت عليـه اسـمه كامـلاً وبناتـه وأسـماءهن وأعمارهـن وحكمـه وتاريـخ اعتقالـه حتـى حفـظ كل شيء، وراجعـت معـه المعلومـات، واتفقنـا عـلى الكيفيـة التـي سـنحل بهـا المشـكلة، والخطـوات المتبعة حتـى لا تسـوء حالتـه أكثـر.

كان ذلـك عـلى مـرأى ومسـمع عـدد مـن الأسرى الذيـن سـاعدوني في الأسـئلة وبعـض المعلومـات، فقفـز أحـد الصامتـين، ولم يـرق لـه الحديـث، فقـال: اتركـوا الرجـل في حالـه!

– ما علاقتك به؟

– نازل في الرجل أسئلة أسئلة! اعتق الرجل!

فقلت حتى نحل مشكلته.

أدركـت أن حالـة هـذا ليسـت بأصلـح مـن حـال ذاك المسـكين، فبادرتـه: عرفنـي عـن حالك!

– شو يعني؟

– يعني ما اسمك؟

– علي.

– سكنك؟

– بيت لحم.

كم أمضيت بالسجن؟

– خمسة أشهر.

– تنظيمك؟

– ليس عندي تنظيم.

– كم حزبًا وتنظيمًا على الساحة الفلسطينية؟

– وما أدراني لم أسألهم، كثير.

– أعزب أم متزوج؟

– شو يعني أعزب؟

– لا شيء، انسَ.

– من فاز بكأس العالم؟

– ألمانيا.

– آه، هذه تعرفها.

– ما اسم تلفزيون فلسطين؟

– لا أعرف.

– ما اسم أشهر ممثلة في العالم؟

– فيه كثير.

– مثل؟

– أنجلينا جولي، ولها فلم جديد.

– خلص بكفي، ما عاصمة مصر؟

– نسيت.

– لبنان؟

– لا أعرف.

– ليبيا؟

– لم أزرها من قبل.

– يعني زرت غيرها؟

– لا.

– تونس؟

– لا أدري.

– موضوع آخر، ما اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟

– ما أشهر أسماء للصحابة؟

– أشهر المعارك والغزوات؟

فلم يجب على شيء، ولله الحمد.

– طيب، أنا بقول نغير الموضوع وتختصر على نفسك وتقول لي ماذا تعرف؟

- ولا شيء.

- وماذا تعلمت في المدرسة والجامعة؟

- نسيت.

- يعني طلعت أسوأ من صاحبك، فهذا الرجل يعرف أنه لا يعرف، لكن أنت لا تعرف شيئًا ولا حتى تعرف أنك لا تعرف، كالذي سئل في كتاب «سأخون وطني»:

- من أي قرية أنت؟

قال: لا قرى عندنا.

- من أي مدينة أنت؟

- لا مدن عندنا.

من أي شعب أنت؟

قال لا شعوب عندنا.

كان الكاتب محمد الماغوط يشخص الحالة العربية بطريقة هزلية، فأصبح اليوم كل شيء حقيقة وواقعًا.

آه ثم آه مئات مثل هؤلاء، وقد التقيت بأغلبيتهم في سنوات 2015-2016م، وكأن السواد الأعظم من الشباب على هذا الحال، وإن كان أفضلهم يعرفون أسماءهم الرباعية، لكن لا يعرفون كيف تكتب، ويعرفون الصلاة، ولكن لا يعرفون كيف تؤدى، والصيام ولم يجربوه من قبل، ولا

يعرفـون مـن الوطـن إلا اسـمه، والأحسـن والأفضـل يعرفـون عاصمتـه وأن «إسرائيـل» كيـان محتـل.

شيء يدعو للغثيان أو للموت قهرًا وكيدًا.

خيبة أمل

منذ يومين أرسل «نتنياهو» في طلب لقاء عاجل بأهالي الأسرى المفقودين في غزة، ولم يعلم أحد بما يجرى خلف الكواليس حتى خرجت الأمهات وتحدّثن عن المقابلة.

أم شاؤول: لقد طلبوني فجأة، وعلى عجل فاستبشرت خيرًا، فلم أنم ليلتي وارتفعت دقات قلبي إلى 120، وكل ما خطر ببالي أنه سيبلغني بأن ابني سيعود بعد أسبوع أو اثنين.

أم هدار: ازددت فرحة عندما رأيت عائلة «هشام» و«منغستو» و«شاؤول»، وقلت لنفسي وزوجي لابد أن هناك تطورات مهمة بعد خمس سنوات من الانتظار، لابد أنهم توصلوا إلى اتفاق مع غزة من أجل إعادة أبنائنا.

ثم بدأت المؤتمرات واللقاءات الصحافية، والوقفات الإعلامية التضامنية، مع تلك الأمهات المريضات اللواتي غزا أجسادهن المرض، واقترب منهن الموت وهن يدفعنه دفعًا انتظارًا لعودة أبنائهن، وما كان كل هذا التأخير إلا بسببهن وتشجيعًا منهن للحكومة.

الصحفي: لماذا خرجت من الاجتماع وأنت تبكين؟

أم هـدار: لأن رئيـس الحكومـة كان ينظـر إليّ كأني هبـاء، لا شيء، وأنـا لسـت كذلـك، ثـم لم يحـترم عقـلي واسـتهان بـه عندمـا قـال: اسـتدعيتكم لكـي تذهبـوا إلى الأمـم المتحـدة! وكأنـه لا يعلـم أننـا منـذ سـنتين كنـا هنـاك! هـل يعتقـد أننـا بحاجـة إلى نزهـة؟!

الصحفي: لم يعد؟ لم يقل شيئًا يدعو إلى التفاؤل؟

لقـد أصبـت بخيبـة أمـل، كـدت أفقـد الوعـي، أصبـت بالدوار، شـعرت بالاشـمئزاز مـن حديثـه، لم يقـل إلا مـا ينغـص علينـا حياتنـا، لقـد ضرب بأوجاعنـا عـرض الحائـط.

الصحفي: ما الذي أصابك أثناء الاجتماع؟

أم شـاؤول: مـاذا تعتقـد بعـد خمـس سـنوات سـيحدث لي؟ والمـرض لم يتركنـي، وهـم يدعـون كذبًـا أن ابنـي قُتـل، ولم يقتـل.

الصحفي: شعورك كأم أم لديك معلومات؟

أم شـاؤول: الاثنـان معًـا، شـعوري كأم أنـه لم يمـت، ثـم أنـه كان خـارج دبابتـه، اختطـف إلى داخـل النفـق، ثـم دارت الحـرب، واقتـادوه إلى المستشـفى، ولا يوجـد دليـل لـدى الحاخـام أو الجيـش عـلى أنـه قتـل، والتقريـر الـذي قـدم إليّ فـارغ لا يوجـد بـه شيء.

الصحفي: ما موقفك الآن؟ ماذا ستفعلين؟ شعورك؟

أم شـاؤول: لقـد أصبـت بخيبـة أمـل، بالإحبـاط، لقـد يئسـت مـن رؤيـة

ابني، لم يبق في العمر 37 عامًا أخرى ليعود لي مثل «السلطان يعقوب»، إن نتنياهو يستهين ويتاجر بآلامنا وعذاباتنا ودموعنا وأوجاعنا، لقد توجهت إلى زوجته (سارة) لقاء من أم لأم، ربما تفهمني وتقنع زوجها.

الصحفي: أنا معك في كل ما تقولين، وسأدعم حملتك الإعلامية، لكنْ سؤال يُطرح، ربما الثمن سيكون باهظًا؟

أم شاؤول: لا يعنيني الثمن، أنا أنجبت، وربيت، وأرسلت ابني للجيش ليدافع عن الدولة والشعب، ورئيس الحكومة من أرسله إلى غزة، فواجبه أن يعيده إلى أرض الوطن، وأنا أدعو كل الأمهات في «إسرائيل»، نحن مقبلون على انتخابات، فكرّن جيدًا قبل أن تدليّن بأصواتكن في صناديق الاقتراع، انظرن إلى حالي، لا ترسلن أبناءكن إلى الجيش، ها أنا أمامكن، اعتبرن، لا أريد لأم أن تصبح مثلي، لا أعرف للطعام طعمًا، وللنوم لونًا، لا أعرف معنى العيد، ويوم السبت يقتلني، أموت في اليوم مائة مرة ومرة، الانتظار هدني، انهرت كجبل الجليد، أرسلت أبنائي من أجلكم، واليوم لا أحد يلتفت إلى حالي، لا أحد يواسيني، مات زوجي وهو ينتظركم، سأصمد أنا من بعده، لا أريد أن أرى أحدًا، لا أريد من أحد أن يزورني، كلكم تمارسون الكذب والنفاق عليّ، كل من زارني وعد وأخلف، وحدث وكذب.

ماذا تنتظرون بعد خمس سنوات، كم خمسًا في العمر؟ اخجلوا على أنفسكم، أليس في وجوهكم ذرة حياء، التفاوض حول إعادة أبنائنا فاشل بكل المقاييس؛ لأنكم عدتم صفر اليدين حتى لو عاد أبناؤنا الآن قبل

الغد، فبعد خمس سنوات هذا دليل فشلكم.

اليوم سيتحدث الأخ المجاهد (أبو عبيدة) عن مصير الأسرى المفقودين، انتظره الأسرى على أحر من الجمر، واستبشروا خيرًا، وجاء الوعد، وتحدث بما لديه، وانتهي الخطاب وانتظرنا الخبر، فلم نجده، فأصبنا بخيبة الأمل، وحالنا وحال أهلينا، من حال أمهاتهم، مع قليل من الفرق؛ إذ إن حكومة الاحتلال بدعم وتأييد من أمهات الجنود هم من يماطل ويسوف.

فالصبر أيها الأسرى، الصبر يا أمهات الأسرى، الصبر يا أهل الأسرى الصبر يا غزة، فإنما النصر صبر ساعة.

ماذا يعني أنك أسير من غزة؟!

في العالم ودوله أجمع، هناك أفراد وجماعات، قبائل وأحزاب، أعراق وقوميات، تتألم، تتعذب، تثور، تنتفض، كل له أسبابه ومبرراته، خاصة في وطننا العربي الإسلامي، من مصر إلى تونس، من اليمن إلى العراق، من الخليج إلى المضيق، من البحر إلى النهر حتى لبنان وطوائفها، وفلسطين واحتلالها، وجدت ولا حرج وعدد إلى أن ينقطع النفس.

ففي كل بؤرة هناك جرح بل جراحات، أما فلسطين فقد جمعت جراحات وآلام وأوجاع وآهات كل البؤر، فمعاناتها الخاصة تكمن أولًا وأخيرًا بوجود الاحتلال الصهيوني منذ قرن إلا ربعًا من الزمان، بدعم من العالم الغربي والشرقي، المسلم والكافر، السري والعلني، وبقي الفلسطيني وحيدًا.

أما كونك من قطاع غزة، فهذه معاناة خاصة الخاصة، كالنواة من البذرة، فهي البقعة التي ما زالت ترفع الراية، ليس معها إلا الله وصديق أو اثنان، حتى اتفق عليها أبناء الوطن الواحد نظرًا لخلافات سياسية وأفكار حزبية.

أما أن تكون أسيرًا في سجون الاحتلال ومن غزة، ومعك في ذات الزنزانة زملاء الأسر والألم من كافة أرجاء الوطن ومصر والأردن ولبنان

وسورية وغيرهم، فجراحاتهم جميعًا في كفة، ومعاناة أسير غزي في كفة.

عندما أسر الجندي الصهيوني من دبابته على حدود قطاع غزة، مُنع أسرى القطاع خمس سنوات متتالية من زيارة أهليهم وذويهم أو حتى الاتصال بهم هاتفيًا، أو إدخال حاجياتهم الخاصة من ملابس ومتاع، والبقية يزورون أهلهم من الدرجة الأولى كل أسبوعين، وبالكاد تجد من يسألك عن أخبارك مع كل أسف.

وعندما ثار الأسرى ضد سياسة السجان وقرروا كسر هذه الحواجز بتهريب الهواتف المحمولة ذات الكاميرات المدمجة ليشاهدوا أهليهم، عام 2010م كان أسرى غزة في سجن نفحة في المقدمة، وقد كلّفهم ذلك كغيرهم ملايين الدراهم، وواصلوا طرق التهريب، ومنها من فشل ومنها ما نجح، وقد ازدادت محكوميات من فشلت عملياتهم، وما زالوا مستمرين حتى لا ينفصلوا عن الحرية.

وكذلك عندما انتفض الأسرى في وجه السجان عام 2012م بإعلانهم الإضراب المفتوح عن الطعام ضد سياسة السجان القمعية النازية ولإخراج إخوانهم من العزل الانفرادي الذي أمضوا فيه ما يزيد عن العقد من الزمن، كان أبناء غزة من جميع الأطياف السياسية دون استثناء في المقدمة حتى اتهموا بأن هذا إضراب غزيين، فلم يساند الجميع هذه الخطوة من شركاء الألم والمعاناة _مع الأسف_، وبعد شهر _وبحمد الله وتوفيقه_ من الجوع حقق الإضراب نجاحًا باهرًا رغم مشكلة زيارة الأهل.

عندما سمح لأسرى غزة بزيارة عائلاتهم بعد الإضراب كانت

الزيارة كل شهرين مرة، بدل مساواتهم بالآخرين كل أسبوعين مرة، بل منعوا من زيارة الإخوة والأخوات حتى في ظل عدم وجود الوالدين بوفاة أو مرض عضال، وكذلك منعوا من إدخال الكتب كالعادة، أو اصطحاب الأجهزة النقالة معهم في السفر، والمماطلة والتأخير المقصود في معبر بيت حانون لكي يندم الأسير على هذه الزيارة، فيخرج الزائر صحيحًا ويعود مريضًا من عناء السفر.

كان أسرى غزة في سجن النقب جنوب فلسطين المحتلة، ولأنه أوسع والساحات أكبر وصحيًا أفضل والملابس أكثر والنوعية والجودة أحسن حتى الطعام مختلف؛ لذلك تم نقلهم ومصادرة ملابسهم ومقتنياتهم وأدواتهم الكهربائية إضافة إلى الأجهزة المحمولة المهربة، وتم توزيعهم على السجون الأكثر سوءًا وتحصينًا وقيودًا، وحرّم عليهم دخول النقب كغيرهم.

عندما تكون أسيرًا من غزة هذا يعني أنك مراقب على مدار اللحظة أكثر من غيرك؛ لأنك في أي غفوة منه متوقع أن تفعل ما لا يخطر ببال، كما فعل أبناء غزة عام 2015م بخلع سقف أحد الممرات الفولاذي والخروج منه لاستلام الأجهزة النقالة المهربة، وعلى إثرها طارت وتبخرت رتب عسكرية، وتجمدت أخرى حتى السجان الذي لا يحمل رتبة جندي بعد قد تم نقله وعقابه.

2019م ثار الأسرى كعادتهم وانتزعوا السماح لهم بالاتصال بذويهم عبر أجهزة الهاتف العمومية، وتمت الموافقة على تركيبها في بعض الأقسام

كتجربة حتى تعمم خلال عامين على كافة السجون، فاشترط العدو استثناء أسرى غزة من الاتصال، فتم رفض ذلك جملة وتفصيلًا، ووصلت المفاوضات إلى طريق مسدود وشرعوا بالإضراب حتى وافق العدو على مساواة أسرى غزة بالجميع في الاتصال الهاتفي ثلاث مرات أسبوعيًا.

عندما تكون أسيرًا من غزة ستشعر بالعزة عندما يقول لك صاحب أعلى رتبة عسكرية في استخبارات مصلحة السجون: أنا أنام وأحلم بأسرى غزة، وأستيقظ أمامي أسرى غزة، ولو كانت المرأة تحمل جنينًا عن طريق الهاتف لغيرتم المعادلة الديمغرافية في فلسطين؛ لأن الأسرى من جميع أنحاء الوطن هربوا النطف ورزقهم الله بالأولاد وهم خلف ظلم وقهر وقضبان السجون.

عندما تكون أسيرًا من غزة ستعلم علم اليقين أن إدارة السجن ستمارس معك سياسة التسويف والمماطلة في علاج مرضك أكثر من غيرك حتى تموت موتًا بطيئًا، وإذا أراد أحدهم شتم وسب زميله لأنه لا يجرؤ على مسبتك، سيقول اذهب إلى غزة وليس اذهب إلى الجحيم _كما يقولون_.

عندما يتم حصار قطاع غزه فالأسير وأسرته أول المحاصرين، وعندما يتم فصل غزة عن الضفة فالأسير أول المفصولين، وعندما يتم فرز الفصائل والأحزاب عن بعضها فالأسير أول المفروزين، وعندما تشن الحروب على قطاع غزة (2008، 2010، 2012، 2014) والجولات التي ليس لها عدد، فكان الأسير أول المتضررين بنسف بيته أو اغتيال عائلته،

وبين الجولات إذا أطلق صاروخ أو دوت صافرات الإنذار خطأ فالأسير أول المنكوبين، فتغلق المعابر، وتلغى الزيارة، وسينتظر شهرين أخرين، تم تتكرر الحادثة، لتكون النتيجة زيارتين أو ثلاثًا طوال العام.

إذا عادت بك الذاكرة إلى انتفاضة الحجارة 1987م وانتفاضة الأقصى 2000م ستجد أن الأسير الغزي قبل أن يكون أسيرًا أول من انتفض، وأول من ثار، فكان في المقدمة، وما زال يعاني في سجنه منذ ربع قرن تقريبًا، وهذا لا ينفي تضحيات من أمضى ثلاثة وأربعة عقود متتالية وما زال.

عندما تطلب إدارة المسجد اسم خطيب الجمعة تتمنى أن لا يكون غزيًا، وعندما تقرأ أسماء من سيزورون العيادة تتمنى أن لا يكون بينهم غزي، وعندما يقدم لها طلب عامل داخل القسم يتم رفضه لأنه غزي، عندما يطلب السجان من ممثل المعتقل إخراج من يستلم الطعام مثلًا تشترط أن لا يكون غزيًا، لكن لا يستسلم الأسير ويتم الموافقة له تحت الضغط.

عندما تتحدث عن الإفراجات والصفقات فهناك ستجد ظلمًا واضحًا _وإن كان غير مقصود_، وتقصيرًا لا ريب فيه، فظلّ أسرى غزة يعانون الأمرين، مرارة السجن، ومرارة تدمير قطاعهم الحبيب على من فيه وليس لهم حول ولا قوة وهم يشعرون بالعلقم والقهر؛ لأنهم يكحلون أعينهم برؤية ثرى وطنهم كاملًا موحدًا، ومازال عندهم الأمل أن يعودوا إلى بيوتهم قبل أن تصبح خاوية على أهلهم.

عندما تتحدث عن الإجراءات أو العقوبات التي اتخذت ضد قطاع

غـزة؛ كان الأسـير الغـزي أول المتضرريـن، وكان مؤلمًـا أكثـر لمـن أسروا قبـل أن يعتـلي أحـد منصبـه ويتبـوأ كرسـيه ومركـزه، فاقتطعـت الرواتـب إلى النصـف لمـدة عـام، ثـم عـام مثلـه اقتطعـت صفـرًا لأنـه أسـهل للحسـاب، والمؤلم أكثـر أن مـن قطـع ومنـع هـذا الراتـب يتغنـى ليـل نهـار باسـم الشـهيد والجريـح والأسـير، والأدهـى والأمـر الـكل ينفـي علاقتـه بالأمـر، ومـارس سياسـة التضليـل والتجهيـل وقلـب وتزويـر الحقائـق والوقائـع، والأسـير لا يعـرف مـن أيـن سـيأكل؟! أو يلبـس؟ ولا كيـف سـيوفر العيـش والحيـاة الكريمـة لأهلـه وأبنائـه كبقيـة زملائـه الأسرى، وأوشـك أن يتحـول إلى متسـول عـلى أبـواب المسـؤولين، وأمنيتـه أن يتسـاوى مـع زملائـه في الحقـوق والذيـن يعيشـون معـه نفـس الجـرح في ذات الزنزانـة، فقـد نجـح الاحتـلال في تفرقتنـا وتمزيـق وطننـا ونجحنـا في تفتيـت وتشـتيت ذواتنـا، كل في مكانـه يعـاني ويتوجـع، فالسـجن لا نتمنـاه لعدونـا الـذي أسرنـا، فليـس بعـد السـجن ألم، لكـن الأسـير الغـزي لآلامـه وأوجاعـه وصرخاتـه وأهاتـه وتأوهاتـه نغمـة أخـرى وطعـم مختلـف ومـرارة أشـد مـن العلقـم، مصائـب ليـس كمثلهـا مصائـب، ودواءٍ لا تشـبهها دواءٍ، فـكل شيء أضعـاف مضاعفـة.

كل ذلـك لأنـك مـن قطـاع غـزة، دفعـت وسـتبقى تدفـع ضريبـة حريـة وطـن، فلنـا الفخـر ولـك الله والعـزة يـا غـزة، سـنبقى كلمـا مـرّ بنـا الزمان نعشـق غـزة، وكلمـا نزلـت عليهـا نازلـة مـن النـوازل ازداد حبنـا وتمسـكنا وفخرنـا بهـا وبأهلهـا، متيمـون بـك يـا غـزة حتـى لـو منع عنـا مـاؤك وهـواؤك ورؤيـة ترابك ولـو عـلى حجـر ذبحنـا، ولـو في السـجن قتلنـا.

الأمينة

اخترت بأن تكون النهاية معها؛ لأنها عاشت حياة مثل حياتنا، ولاقت ألوانًا من العذاب كالتي لاقيناها، فقد اعتقلت عدة أشهر في السجن الحربي مع أخيها وزوجها، إنها الطاهرة أمينة قطب، أخت سيد قطب، وزوجة كمال السنانيري، خطبها زوجها في ريعان شبابها، وهو في السجن يقضي محكوميته البالغة 25 عامًا، فانتظرته 17 عامًا، وكلما خيرها بالبقاء أو الانفصال كانت تقول دعني أشاركك الطريق.

تزوجها عام 1975م، وبعد ست سنوات أُعيد اعتقال زوجها، واستشهد في سجنه عام 1981م.

هي أخت العمالقة، سيد قطب ومحمد قطب، وحميدة قطب، فبعد استشهاد أخيها سيد إعدامًا، وزوجها كمال تعذيبًا، اشتغلت بكتابة الشعر، ولها ديوان: «رسالة إلى الشهيد».

كانت قصيدتها «هل ترانا نلتقي؟!» من أروع قصائد ذلك الديوان، بل من أروع قصائدها على الإطلاق، والتي انتشرت، واشتعلت في الوطن العربي اشتعال النار في الهشيم، خاصة أن الأدب العربي يندر فيه الغزل في الزوج، فأحبتها الشعوب، وأنشدوها في مناسباتهم واجتماعاتهم، وأحزانهم، وأفراحهم.

ولـدت أمينـة قطـب سـنة 1927م، وتوفيـت سـنة 2007م، فرحمـة الله عـلى روحـك الطاهـرة يـا أمينـة، وعـلى أرواح المسـلمين أجمعـين.

فبعد استشهاد زوجها كتبت إليه تقول:

هـل ترانـا نلتقـــي أم أنهـــا ... كانت اللقيا على أرض السراب؟!
ثم ولَّت وتلاشـــى ظلُّهـــا ... واستحالت ذكـرياتٍ للعـــذاب
هكـذا يسـأل قلبـــي كلمـــا ... طالـت الأيـام مـن بعد الغيـــاب
فـإذا طيفـك يرنـــو باســمًا ... وكأني في اسـتماع للجـــواب
أولم نمـضِ عـلى الـــدرب معًـا ... كـي يعود الخـير للأرض اليبـاب
فمضينـا في طريـــق شائـــك ... نتخـلى فيـه عـن كل الرغـــاب
ودفنَّـا الشـــوق في أعماقنـــا ... ومضينا في رضـاء واحتسـاب
قـد تعاهدنـا عـلى السـير معًـا ... ثـم عاجلـت مُجيبًـا للذهـــاب
حيـنما نـــاداك ربٌّ منعـــم ... لحيـاة في جنـان ورحـــاب
ولقـاء في نعيـــم دائـــم ... لجنـود الله مرحـى بالصحـــاب
قدَّمـوا الأرواح والعمـر فـــدا ... مستجيبين عـلى غـير ارتيـــاب
فليعُـد قلبـك مـــن غفلاتـــه ... فلقاء الخلد في تلك الرحـــاب
أيهـا الراحـل عـذرًا في شـــكاتي ... فـإلى طيفـك أنَّـات عتـــاب
قـد تركـت القلـب يدمى مثقـــلًا ... تائهًـا في الليـل في عمق الضبـاب

وإذا خطـوي وحيـد حائـــر أقطع الدرب طويلًا في اكتئـــاب
وإذا الليـل خضـمٌّ موحِـــشٌ تتلاقـى فيـه أمـواج العـــذاب
لم يعُـد يـبرق في ليلـــي ســـنًا قـد تـوارت كل أنـوار الشـــهاب
غـير أني ســـوف أمـضي مثلـما كنـت تلقـاني في وجـه الصعـاب
سـوف يمـضي الـرأس مرفوعًـا فلا يرتضي ضعفًا بقول أو جـواب

خاتمة

في ظل غياب الوعي الناتج عن الهجمة الغربية التي اكتست ثياب العولمة الإعلامية الموجهة التي تدار خيوطها بعناية فائقة، وفق خطة مدروسة؛ لتداهم عقول المسلمين، وخاصة الشباب منهم، فتعمل فيها تشويهًا، وتخريبًا، يطال الأفكار والعقائد والقيم.

وبعد فشل الحروب العسكرية الطويلة، والمتواصلة التي شنها الغرب على هذه الأمة لإذلالها ومحوها وتركيعها، وتحطم هذه الحروب جميعًا على صخرة الدين القيم والعقيدة الراسخة لهذه الأمة الباقية الشاهدة.

وفى ظل انتشار مواقع التواصل الاجتماعي على الشبكة العنكبوتية، وفق ذلك المخطط الشيطاني، والتي شكلت بديلًا للمؤسسة القيمية والتربوية الإسلامية، بعد مرور ردح من الزمان على غياب القائد الشرعي، والرائد الدعوى، ممثلًا في دولة الخلافة، التي تحمى بيضة الإسلام، وجوهر الدين، تنفى عنه انتحال المبطلين، وتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، فيبقى هذا الجوهر نقيًا ناصعًا، غضًا طريًا، كأنه اليوم أنزل، ينهل منه المريدون، ويسير بهدية المسلمون، ويقيس بميزانه _لا بغيره_ مجتمع المؤمنين في هذه الدولة الوسط القومية.

في ظل كل ذلك، وسعي الغرب الحديث لتدمير الأخلاق، وطمس

الهويات، ونشر ثقافة الانحلال والفجور، والتي أذابت الحواجز بين الحلال والحرام، بل أحبت الحرام، وحرمت الحلال، فأصبح الحليم حيران، والهوى مطاعًا، والشيخ متعبًا، والدنيا مؤثرة، وكل شيء رأى معجبًا برأيه، والناس جماعات وأحزاب، وطوائف، والقابض على دينه كالقابض على الجمر، يشار إليه بالبنان، ويدفع بالأبواب كشاة جرباء في غنم، أو مسكين كريم على مائدة لئيم، أو عابر غريب ليس له من يؤويه، في زمان صدق عليه وصف الرويبضة: سفهاء يتكلمون، ودهماء يتبعون كل ناعق.

في ظل هذا الواقع الأسوأ المرير، من سيذكر أبنائي؟ من سينصح لهم؟ من سيلفت انتباههم إلى هذه المعادلة المنكرة؟ وهذا الظلم الظاهر البين الذي تساق فيه شعوبنا للذبح كالخرفان، «فإسرائيل» في فلسطين، وأمريكا في المسلمين شرقًا وغربًا، و«التحالف العربي» في اليمن، والبوذيون في بورما، والهندوس في الهند كشمير، مسموح لهم أن يذبحوا، ويقتلوا، ويضلوا، ويشردوا، والشعوب حرام عليها الدفاع عن نفسها، أو الاعتراض، أو حتى الفرار، فهم يفرون من طاغية إلى طاغية، في حلقة من الظلم الذي لا ينتهي. ملئت الأرض ظلمًا وجورًا، لم تر البشرية من قبل له مثيلًا.

وصدق الشاعر عندما قال:

لله أشكو أننا في عالم ... يحيا بلا خلق ولا ميزان
الحق فيه تصدعت أركانه ... والظلم أضحى ثابت البنيان

أبنائي الأحبة: ما دام في الجسد روح، وما دام القلب ينبض بالحياة،

وما دامت البشرية في انحطاط، وما دام الله ينير لنا الدرب، ويفتح علينا ما يشاء من البصيرة والصواب، فسأظل أكتب ما استطعت لعل هذه العبارات أن تكون الحادي الذي يحدو ركبكم نحو الفضيلة والشريعة والحياة والحب والأمل.

وأخيرًا:

إن تجد عيبًا فسد الخللا ... جل من لا عيب فيه وعلا
تم الكلام وربنا محمود ... وله المكارم والعلا والجود
ثم الصلاة على النبي محمد ... ما صاح قمري وأورق عود

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

شعارنا في هذا الأسر:

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري ... سأصبر حتى ينظر الرحمن أمري
وأصبر حتى يعلم الصبر أني ... صبرت على شيء أمر من الصبرِ

إخلاصًا لذكرى

العذابات والأشواق

والآلام التي عشناها معًا

فهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	5
مقدمة	7
النية والإخلاص	11
القراءة	17
فكّر واعقل	21
الوطن والوطنية	25
المدح	29
الإعجاب	33
رياضة كرة القدم	37
رسائل	41
رسائل المرض	45
رسائل الأصدقاء	47
شعارات (إيمان، وعي، ثورة)	53
الشرف والعار	59
حقوق المسلم	63
الخيانة، في ذكرى أوسلو	67
الرجولة	75
الطعام	79
لا أعرف	83
نعم أخطأنا، هل يجرؤ أحد على قولها؟!	87
الهم الذاتي	99
القط والفأر	111
هذا ديدنهم	141

الموضوع	الصفحة
يـا خير أمة (إيمان، أمانة، أخلاق، عدل، تغيير، حرية)	147
الفهم الدقيـق	157
الظـن والتجسـس	171
لا يسمع إلا نفسـه	183
لماذا بقي السيد سيدًا؟ لأن العبد بقي عبدًا!	187
رمضان	193
العيـد	197
نظـام القيـم	201
اكتشاف عظيم	205
شعب بلا لسـان	209
كثير من المسـلمين، قليل من الإسلام	213
دير بـلا قديـس	217
الحق والواجـب	221
الفضيلـة	225
البخلاء	231
المسـتقبل	237
ما زالت الدنيا بخـير	239
المرض النفسي	245
جلسة استكبار	249
اللسـان	253
الكتـب	255
إعدام وإعلام	257
حقيقة وليس هـزلًا	261
خيبـة أمـل	271
مـاذا يعني أنـك أسـير مـن غـزة	275
الأمينـة	281
خاتمـة	285

» تعريف بالكاتب الأسير

- الاسم: عمار محمود سلمان عابد.
- مكان الإقامة: مدينة دير البلح - محافظة الوسطى.
- تاريخ الميلاد: 1984/07/17م.
- الحالة الاجتماعية: متزوج.
- الإعتقالات: 1.
- تاريخ الإعتقال : 2002/11/21م.
- الحكم: 20 عامًا ونصفًا.

الشهادات التعليمية:

- بكالوريوس تاريخ - جامعة الأقصى.

له مجموعة من المؤلفات، أهمها:

1. رواية، زاويرا.
2. رواية، المعمعة.
3. أزاهير من وصايا السابقين.
4. كورونا، فرصة استغلال الوباء لتطوير الذكاء.

» في هذ الكتاب

ليس العلم ما حفظت، بل العلم ما انتفعت به، ونقلته لغيرك، فلقد وقفت وانتظرت لسنوات طويلة، كنت أسأل فيها نفسي: من هذا الذي سأنقل إليه ما حفظت، وما علمت، وما كتبت من هذه الكلمات داخل أسوار السجن، في قلب المعاناة والألم، ومع صرخات المظلومين، وآهات المعذبين، وأنين المكلومين؟!

يقول الأسير الكاتب: "وأخيرًا وبعد طول انتظار علمت لمن سأكتب: إنهم أبنائي المفترضون الذين لم أنجبهم بعد، وإن تزوجت وأنجبت فلا أظن أنني سأعيش لأراهم أطفالا، وإن رأيتهم فلا أظنني سأراهم شبابًا! فأعمار المسلمين ما بين الستين والسبعين وأنت القارئ الفطين".